العقد الفريد

للإمام الفاضل شهاب الدين أحمد
المعروف بابن عبد ربه الأندلسي

الجزء الثامن
الطعام والشراب والنتف والهدايا
والفكاهات والملح

مكتبة صادر بيروت
مكتبة لسان العرب

العقد الفريد
٢٩

طبائع الإنسان والحيوان

مكتبة صادر
بيروت

طبائع الانسان و الحيوان

العقد الفريد

من اشهر المجموعات الأدبية عند العرب.
فيه ادب– وأقوال – ونوادر – وملح–
وتاريخ – واخبار الخ . الخ . . . .

•

طبائع الانسان والحيوان

هو كتاب الزبرجدة الثانية من العقد ،
مضبوط ومشروح بقلم

كرم البستاني

Ibn ʻAbd Rabbih

العقد الفريد

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

٢٩

al-ʻIqd al-farīd

طبائع الإنسان والحيوان

V. 8

مكتبة صادر
بيروت

كتاب الزبرجدة الثانية

في بيان طبائع الانسان ، وسائر الحيوان ، وتفاضل البلدان

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه رحمه الله : قد مضى قولنا في المُتنبئين والممرورين ، والبخلاء والطفيليين ، والمحدودين .

ونحن قائلون ، بعون الله وتوفيقه ، في طبائع الإنسان وسائر الحيوان ، وتفاضل البلدان ، والنعمة والسرور ، إذ لم يكن مدار الدنيا إلا عليها ، ولا قوامُ الأبدان إلا بها ، وإذ هي ثمرُ الفِراسةِ[1] ، وتركيب الغريزة ، واختلاف الهمم ، وطيبُ الشيم ، وتفاضلُ الطُّعوم .

وقد تكلم الناس في النعمة والسرور ، على تباينِ أحوالهم ، واختلافِ هممهم ، وتفاوت عقولهم ، وما يُجانِسُ كلَّ رجلٍ منهم في طَبعِهِ ، ويؤالفُهُ في نفسه ، ويميل إليه في وَهمه .

وإنما اختلفَ الناسُ في هذا المَذهب لاختلافِ أنفسهم ، فمنهم مَن نفسُهُ غضبيّةٌ ، فإنما هَمُّه منافسةُ الأكفاءِ ، ومُغالبةُ

---

١ الفراسة : ادراك الباطن من النظر الى الظاهر .

الأقران ، ومكاثرةُ العشيرة . ومنهم مَن نفسُه ملكيّةٌ ، فإنما همُّـــه التّفنُّن في العلوم ، وإدراك الحقائق ، والنظر في العواقب . ومنهم مَن نفسُه بهيميّةٌ ، فإنما همـه طلب الراحة ، وإهمالُ النفس[1] على الشهوةِ من الطعـامِ والشراب والنِكاحِ ، وعلى هذه الطبيعة البهيمية قسمت الفُرسُ دهرها كلّه ، فقالوا : يومُ المطرِ للشُربِ ، ويومُ الريحِ للنوم ، ويوم الدّجنِ[2] للصيدِ ، ويومُ الصَحو للجُلوس . وهي أغلبُ الطبـائع على الانسان ، لأخذِها بمجامع هواه ، وإيثارِ الراحة ، وقلّة العمل ، فمنـه قولهم : الرأيُ نائمٌ والهوى يقظان . وقولهم : الهوى إله معبود . وقولهم : رَبيعُ القلبِ مـا اشتهى . وقولهم : لا عَيشَ كطيبِ نفسٍ .

•

---

١ إهمال النفس : إرسالها وتركها .

٢ الدجن : الغيم المطبق .

النفس الملكية

قيل لضِرار بن عمرو : ما السرورُ ؟
قال : إقامةُ الحجّةِ ، وإيضاحُ الشُبهة .

•

وقيل لآخرَ : ما السرور ؟
قال : إحياءُ السُنّةِ ، وإماتةُ البِدعة .

•

وقيل لآخر : ما السرور ؟
قال : إدراكُ الحقيقة ، واستنباطُ الدّقيقة .

•

وقال الحجّاجُ بنُ يوسف لخُريم الناعم : ما النّعمةُ ؟
قال : الأمنُ ، فإني رأيتُ الخائف لا يَنتفع بعيشٍ .
قال له : زِدني .
قال : فالصحّة ، فإني رأيت المريضَ لا يَنتفعُ بعيش .
قال له : زِدني .
قال : الغِنى ، فإني رأيت الفقير لا ينتفع بعيش .

قال له : زدني .

قال : فالشباب ، فإني رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش .

قال له : زدني .

قال : ما أجد مزيداً .

•

وقيل لأعرابي : ما السرور ؟

قال : الأمن والعافية .

•

النفس الغضبية

قيل لحُضين بن المُنذر : ما السرور ؟

قال : لواءٌ منشورٌ ، والجلوسُ على السريرِ ، والسلام عليك أيها الأمير .

•

وقيل للحسن بن سهل : ما السرور ؟

قال : توقيعٌ جائزٌ ، وامرٌ نافذ .

•

وقيل لعبد الله بن الاهتم : ما السرور ؟

قال : رفعُ الأولياء ، ووضعُ الأعداء ، وطولُ البقاء ، مع الصحة والنماء .

•

وقيل لزياد : ما السرور ؟

قال : مَن طالَ عُمره ، ورأى في عدوه ما يسرُّه .

•

وقيل لأبي مسلم صاحب الدعوة : ما السرور ؟

قال : ركوبُ الهماجة[1] ، وقتل الجبابرة .

●

وقيل له : ما اللذة ؟

قال : إقبال الزمان ، وعز السلطان .

●

---

١ الهماجة : الواحد هملاج ، وهو الدابة الحسنة السير في سرعة وبخترة .

النفس البهيمية

قيل لامرىء القيس : ما السرور ؟

قال : بيضاء رُعبوبة[١] ، بالطِّيب مَشبوبة[٢] ، باللحم مكروبة[٣] .

وكان مَفتوناً بالنساء .

•

وقيل لأعشى بكر : ما السرور ؟

قال : صَهباء صافية ، تَمزجها ساقية ، من صوب غادية .

وكان مُغرماً بالشراب .

•

وقيل لطَرفة : ما السرور ؟

فقال : مَطعم هنيّ ، ومشرب رويّ ، وملبس دفيّ ، ومركب وطيّ .

---

١ الرعبوبة : الناعمة .
٢ المشبوبة : الموقدة .
٣ مكروبة : مشدودة .

وكان يؤثر الخَفض والدَّعة[1] .

•

وقال طرفة :

فلولا ثلاثٌ هُنَّ من عيشة الفتى ،
وجَدِّكَ ، لم أحفِل متى قام عُوَّدي[2]

فمنهنَّ سَبقُ العاذلات بشَربة
كُميتٍ ، متى ما تُعْلَ بالماء تُزبد

وكَرِّي، إذا نادى المُضاف، مُحَنَّباً،
كسِيد الغَضا ، في الطَّخية ، المتورِّد[3]

وتقصيرُ يوم الدَّجن، والدَّجنُ مُعجِب ،
ببَهْكَنةٍ ، تحت الخِباء المُمدَّد[4]

وسمع بهذه الأبيات عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه ، فقال : وأنا والله لولا ثلاث لم أحفِل متى قام عُوَّدي : لولا أن

---

١ الخفض : هناء العيش . الدعة : السكينة والراحة .
٢ وجدك : قسماً بحظك .
٣ المحنب : الفرس في يده انحناء . السيد : الذئب . الغضا : شجر صلب . الطخية : الظلام .
٤ البهكنة : الشابة الغضّة .

أعدلَ في الرعيّة ، وأقسِمَ بالسويّة ، وأنفِرَ في السريّة .

•

وقال عبدُ الله بنُ نَهيك على مذهبِ طرفة :

فلولا ثلاثٌ هُنَّ من عيشة الفتى ،
وربِّك ، لم أحفِل متى قام رامسُ

فمنهنّ سَبقُ العاذلات بشَربة ،
كأنّ أخاها ، مطلعَ الشمسِ ، ناعِس

ومنهنّ تقريطُ الجَواد عِنانَه ،
إذا ابتدر الشخصَ الكميَّ ، الفَوارس[1]

ومنهن تجريد الكواكب كالدُّمى ،
إذا ابتُزّ ، عن أكفالِهنّ ، الملابس

•

وقيل ليزيد بن مزيد : ما السرور ؟
قال : قبلةٌ على غفلة .
وكان صاحب وصائف .

•

---

١ تقريط الفرس : إلجامه ، أو جعل عنانه وراء أذنه عند طرح اللجام .

وقيل لحُرقةَ بنت النعمان : ما كانت لذة أبيك ؟
قالت : شُربُ الجِرْيال[1] ، ومحادثة الرجال .

•

وقيل لحُضَين بن المُنذر : ما السرور ؟
قال : دارٌ قَوراء[2] ، وجارية حَـوراء ، وفرس مُرتبط بالفناء .

•

وقيل للحسن بن هانىء : ما السرور ؟
قال : مجالسة الفِتيان ، في بيوت القيان ، ومنادمـةُ الاخوان ، على قُضُب الرَّيحان . وأنشأ يقول :

قلتُ، بالقُفْص، لمُوسى ، ونَداماي نِيـامُ[3]
يا رَضيعَيْ ثَديِ أمٍّ ، ليس لي عنـه فِطام
إنّمـا العيشُ سَماعٌ ، ومُـدامٌ ، ونِدامُ
فإذا فاتك هـذا ، فعلى الدنيـا السلامُ

•

---

١ الجريال : الخمر .
٢ قوراء : واسعة .
٣ القفص : قرية بين بغداد وعكبراء .

وقال معاوية لعبد الله بن جعفر : ما أطيبُ العيش ؟

قال : ليس هذا من مسائلك يا أمير المؤمنين .

قال : عزمت عليك لتقولنّ .

قال : هتكُ الحيا ، واتّباع الهوى .

•

وقال معاوية لعمرو بن العاص : ما العيش ؟

قال : ليَخرجْ مَن هاهنا مِن الأحداث .

فخرجوا . فقال : العيش كله في إسقاط المُروءة .

•

وقال هشام بن عبد الملك : ألذُّ الأشياءِ كلّها جليسٌ مُساعد ، يُسقِطُ عني مؤونة التحفظ .

•

وقيل لأعرابي : ما السرور ؟

قال : لُبسُ البالي في الصيف ، والجديدِ في الشتاء .

•

وقيل لآخر : ما النّعيم ؟

قال : الماءُ الحارُّ في الشتاء ، والباردُ في الصيف .

البنيان

قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : من بنى بنياناً فَلْيُتقنه .

•

وقالت الحكماء : لذة الطعامِ والشراب ساعةٌ ، ولذةُ الثوبِ يومٌ ، ولذة المرأةِ شهرٌ ، ولذة البنيان دهرٌ . كلما نظرتَ إليه تجدّدت لذّتُه في قلبِك ، وحسنُه في عينك .

•

وقالوا : دارُ الرجل جنّتُه في الدنيا .

•

وقالوا : ينبغي للدار أن تكون أولَ ما يُبتاعُ وآخرَ ما يُباع .

•

وقال يحيى بن خالد لابنه جعفر بن يحيى ، حين اختطّ دارَه ليبنيها : هي قميصُك ، إن شئت فضيّق ، وان شئت فوسّع .

•

وقال هارون الرشيد لعبد الملك بن صالح : كيف منزلُك بمنبج ؟
قال : دون منازلِ أهلي ، وفوقَ منازلِ أهلها .
قال : وكيف ذلك ، وقدرُك فوقَ أقدارِهم ؟
قال : ذلك خُلقُ أميرِ المؤمنين أحتذي مثالَه .

•

ولما دخل هارونُ مَنْبجاً قال لعبد الملك بن صالح : هذا منزلُك؟
قال : هو لأمير المؤمنين ، ولي به .
قال : كيف ماؤه ؟
قال : أطيب ماء .
قال : كيف هواؤه ؟
قال : أفسح هواء .

•

وذُكر عند جعفر بن يحيى الدارُ الفسيحةُ الجو ، الطيبةُ النسيم ، فقال رجلٌ عنده : لقد دخلتُ الطائفَ فكأني كنت أبشَر ، وكأنّ قلبي ينضَحُ بالسرور ، ولا أجد لذلك علة إلا طيبَ نسيمها ، وانفساحَ هوائها .

•

وقيل للحسن بن سهل : كيف نزلت الأطراف ؟
قال : لأنها منازلُ الأشراف ، ينالون فيها ما أرادوا بالقُدرة ، وينالهم فيها من أرادهم بالحاجة .

قولهم في الدار الضيقة

ما هي إلا قُوَارةُ حافر[1] ، وما هي إلا وِجار ضَبُع ، وما هي إلا قُتْرة قانص[2] ، وما هي إلا مَفحص[3] قَطاة .

•

وقالوا : ما هي إلا مَحلة يَعسوب برأس سنان[4] .

•

ومن مات في دار ضيقة قيل فيه : خرج من قبر الى قبر .

---

١ القوارة : ما استدار من باطن الحافر .
٢ القترة : ما يبنيه القانص ، اي الصياد ، كالبيت ليستتر فيه عن الصيد .
٣ المفحص : المكان الذي تفحص ، تحفر التراب عنه لتبيض فيه .
٤ اليعسوب: رئيس القوم وسيدهم. وكان الرئيس إذا قُتل جُعل رأسه على سنان.

من كره البنيان

كتب سعدُ بن أبي وقّاص إلى عمر بن الخطاب يستأذنه في بناء بيته ، فقال : ابنِ ما يُكنّك عن الهواجِر ، وأذى المطر.

•

وكتب عامل لعمر بن عبد العزيز يستأذنه في بناء مدينة ، فكتب إليه : ابنِها بالعدل ، ونَقّ طرقها من الظلم .

•

ومر عمرُ بن الخطاب ببنـاء يبني بآجُرّ وجص[1] ، فقال : لمن هذا ؟

فقيل : لعامل من عُمّالك .

فقال : أبتِ الدراهم إلاّ ان تُخرجَ أعناقَها .

وأرسل إليه مَن يُشاطره ماله .

•

وقيل ليزيد بن المُهلّب : ما لك لا تبني ؟

قال : منزلي دار الإمارة ، أو الحَبس .

•

---

١ الآجرّ : القرميد . الجص : الكلس .

ومر رجلٌ من الخوارج بدار تُبنى فقال : مَن هـذا الذي يُقيم كفيلًا ؟

والخوارج تقول : كلُّ مـالٍ لا يخرجُ بخروجِك ويرجعُ برجوعِك ، فإنما هو كفيل بك .

•

ولما بنى أبو جعفر داره بالأنبار دخلها مع عبدالله بن الحسن، فجعل يُريه بنيانه فيها، وما شيّد من المصانع والقصور، فتمثّل عبد الله بن الحسن بهذه الابيات :

ألم ترَ حَوشَباً أضحى يبنّي قُصوراً ، نَفعُها لبني بُقَيله
يؤمّل أن يُعمّر عُمْرَ نوحٍ، وأمرُ الله يَحدثُ كُلَّ ليله

•

وقالوا في الحجاج بن يوسف ، إذ بنى مدينة واسط : بناها في غير بلده ، وأورثها غير ولده .

اللباس

إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال : رأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثوبان مصبوغان بالزعفران: رداء وعمامة .

•

علي بن عاصم عن أبي إسحق الشيباني قال : مررت بمحمد بن الحنفية واقفاً بعرَفات ، وعليه بُردٌ ومطرفُ خزّ أصفر[1] .

•

الشيباني عن ابن جُريج ، أن ابن عبّاس كان يرتدي رداءً بألفٍ .

•

أبو حاتم عن الأصمعي ، أن ابن عون اشترى بُرنساً ، فمرت عليه معاذةُ العدوية ، فقالت : مثلك يَلبَسُ هذا ؟

قال : فذكرت ذلك لابن سيرين ، فقال : ألا أخبرتها ان تميماً الداريّ اشترى حلّةً[2] بألفٍ يصلّي فيها .

•

---

١ المطرف : الرداء . الخز : الحرير .

٢ الحلة : كل ثوب جديد .

وقال معمر : رأيتُ قميصَ ايوب السختيـــاني كاد يَمسُّ الأرضَ ، فسألته عن ذلك ، فقال : إن الشهرةَ كانت فيما مضى في تذييل القميص ، وإنها اليوم في تشميره .

•

وفي موطإ مالك بن أنس رضي الله عنه ، أن جابر بن عبد الله قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني أنمار ، فبينا أنا نازل تحت شجرة ، إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : هلمّ يا رسول الله إلى الظل . فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال جابر: وعندنا صاحب له نجهّزُه يذهبُ يرعى ظَهرنا. قال: فجهزته ، ثم أدبرَ يذهب في الظّهر ، وعليه ثوبان قد أخلقا ، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، فقال : ما له ثوبان غير هذين ؟

قلت : بلى يا رسول الله ، له ثوبان في العَيبة[1] كسوته اياهما.

قال : فادعُه ، فمُره يلبسهما .

قال : فدعوته فلبسهما ثم ولّى . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ما له ، ضرب الله عنقَه ، أليس هذا خيراً له ؟

فسمعه الرجل فقال : في سبيل الله يا رسول الله .

---

١ العيبة : كالصندوق .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : في سبيل الله . فقُتل الرجل في سبيل الله .

•

العتبي قال : أصابت الربيع بن زياد الحارثي نُشّابـة[1] على جبينه ، فكانت تنتقض عليه في كل عام ، فأتاه عليّ بن أبي طالب عائداً ، فقال : كيف تجدُك يا أبا عبد الرحمن ؟

قال : أجدُني لو كان لا يُذهِب ما بي إلا ذهابُ بصري لتمنّيت ذهابه .

قال له : وما قيمةُ بصرِك عندك ؟

قال : لو كانت لي الدنيا فديتُه بها .

قال : لا جَرم . ليعطينّك اللهُ على قدرِ ذلك إن شاء الله ، إن الله يعطي على قدرِ الألم والمُصيبة ، وعندَه تعالى تَضعيفٌ كثير .

قال له الربيع : يا أمير المؤمنين ، ألا أشكو إليك عاصمَ ابن زياد ؟

قال : وما له ؟

قال : لَبِس العَباء ، وترك المُلاء ، وغَمّ أهله ، وأحزَنَ ولده .

---

[1] النشابة : واحدة النشاب ، السهم .

فقال : عليَّ عاصماً .

فلما أتاه عبس في وجهه ، وقال : ويلكَ يا عاصم ، أترى اللهَ أباحَ لي اللذاتِ وهو يكره أخذَك منها ؟ لأنتَ أهونُ على الله من ذلك ، أوَما سمعتَه يقول : « مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلتقيان. بينهما بَرزخ لا يبغيان . » ثم قال : « يَخرُج منهما اللؤلؤ والمَرجان . » وقوله : « ومن كلٍّ تأكلون لحماً طريّاً وتَستخرجون حِلية تلبسونها . » أما والله إنّ ابتذال نِعَم الله بالفِعال أحبُّ إليه من ابتذالها بالمَقال . وقد سمعتَه عزّ وجل يقول : « وأما بنِعْمة ربك فحدِّث . » ويقول : « قُل من حَرَّم زينةَ الله التي أخرج لعباده والطيِّبات من الرزق . » وإن الله عز وجل خاطب المؤمنين بما خاطب به المُرسلين فقال : « يا أيها الذين آمنوا كُلوا من طَيِّبات ما رَزَقناكم . » وقال : « يا أيها الرُّسلُ كلوا من الطيِّبات واعملوا صالحاً إنّي بما تَعملون عليم . »

فقال عاصم : فعلامَ اقتصرتَ أنت يا أمير المؤمنين ؟

قال : على لبس الخَشِن وأكل الخشن .

قال : إن الله افترضَ على أئمة العدل أن يقدّروا أنفسَهم بالعَوامّ لئلا يتسعَ على الفقير فقره .

قال : فما برحَ حتى لبس المُلاء ونَبذ العباء .

لباس الصوف

قدم حمَّاد بن سلَمةَ البصرةَ ، فجاء فرقد السَّبخي وعليه ثياب صوف ، فقال له حماد : ضَع عنك نصرانيتَك هذه ، فلقد رأيتُنا ننتظرُ إبراهيم ، فخرج علينا وعليه مُعصفرةٌ ، ونحن نرى أن المَيتة قد حلّت له .

•

قال أبو الحسن المدائني : دخل محمد بن واسع على قُتيبة ابن مسلم ، والي خراسان ، وعليه مدرعة[1] صوف ، فقال له قتيبة : ما يدعوك إلى لباس هذه ؟

فسكت عنه .

فقال له قتيبة : أكلّمك فلا تجيبني ؟

قال : أكره أن أقول زهداً فأزكّيَ نفسي ، أو أقولَ فقراً فأشكوَ ربي .

•

وقال ابن السَّمّاك لأصحاب الصوف : والله لئن كان لباسكم

---

١ المدرعة : ضرب من الثياب .

وفقاً لسرائرِكم لقد أحببتم أن يطّلعَ الناس عليها ، ولئن كان مخالفاً لها لقد هلكتم .

•

وكان القاسم بن محمد يلبَس الخَزّ ، وسالم بن عبد الله يلبَس الصوفَ ، ومقعدهما واحدٌ في مسجد المدينة ، فلا يُنكِر بعضُهم على بعض شيئاً .

•

وقال محمود الورّاق في أصحاب الصوف :

تَصوّفَ كي يقالَ له أمينٌ ، وما يَعني التصوّفَ والأمانه

ولم يُرِد الإلهَ بـه ، ولكنْ أراد به الطريقَ إلى الخيانـه

التزين والتطيب

دخل رجل على محمد بن المُنكدر يسأله عن التزيُّن والتطيّب، فوجده قاعداً على فرش حَشايا مصبّغة، وجارية تُغَلِّفُه بالغالية[1]. فقال له: يرحَمُكَ الله، جئتُ أسألك عن شيء فوجدتُك فيه.

قال: على هذا ادركتُ الناس.

•

وفي حديثٍ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إياكم والشعثَ[2]، حتى لو لم يجد أحدكم إلا زيتونةً، فليعصرها وليدّهن بها.

•

وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة: ما لي أراك شعثاءَ مَرهاءَ، سَلتاءَ؟

قالت: يا رسولَ الله، أوَلَسنا من العرب؟

قال: بلى، وربما أُنسيَتِ العربُ الكلمةَ فيعلّمنيها جبريل الشعثاء: التي لا تدّهن. والمرهاء: التي لا تكتحل

---

[1] الغالية: نوع من الطيب.

[2] الشعث: تلبد الشعر واغبراره.

والسلتاء : التي لا تختضب .

•

وقال صلى الله عليه وسلم : ما نلتُ من دُنياكم إلا النساءَ والطيب .

•

وروى مالك عن يحيى بن سعيد أن أبا قتادة الأنصاري قال : يا رسول الله ، إن لي جُمّةً[1] ، فأرجّلها يا رسول الله ؟

قال : نعم وأكرِمها .

قال : فكان أبو قتادة ربما دهنها في اليوم مرتين .

•

وروى مالك عن زيد بن أسلم أن عطاء بن يسار أخبره قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، فدخل رجل ثائرُ الرأس واللحية ، فأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن اخرج ، فأصلِح رأسك ولحيتك . ففعل ثم رجع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس هذا خيراً من ان يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان ؟

•

وقد تمادحت العرب بحُسن الهيئة وطيب الرائحة ، فقال

---

١ الجمة : مجتمع شعر الرأس .

النابغة :

رقاقُ النّعال ، طيّبٌ حُجزاتُهم ،
يُحيّون بالرّيحانِ يومَ السّباسبِ [1]

يُحييهمُ بيضُ الوَلائدِ بينهم ،
وأكسية الإضْريج فوق المَشاجب [2]

يَصونون أجساداً قديماً نعيمُها ،
بخالصة الأردان ، خُضر المناكب [3]

•

وقال الفرزدق :

بنو دارمٍ قَومي ، ترى حُجزاتِهم ،
عِتاقاً حَواشيها ، رقاقاً نعالُها [4]

---

١ رقاق النعال : ملوك ناعمو العيش . طيب حجزاتهم : أعفاء محصنون . يوم السباسب : يوم الشعانين ، الاحد الذي قبل احد الفصح .

٢ الاضريج : الخز الأحمر . المشاجب ، الواحد مشجب : ما تعلق عليه الثياب.

٣ الاردان : الاكمام . الخالصة : البيض . وقوله خضر المناكب : اي من اثر السلاح .

٤ الحجزات ، الواحدة حجزة : معقد الازار . العتاق ، الواحد عتيق : الكريم . الخيار من كل شيء . حواشيها : جوانبها .

يَجرُّون هُـدّابَ اليماني ، كأنهم
سُيوفٌ جَلا الأطباعَ عنها صِقالُها[1]

•

وقال طرفة :

أسُدُ غِيـلٍ ، فإذا ما فزعوا ،
غيرُ أنكاسٍ ، ولا هُوجٍ هُذُرْ[2]

فإذا مـا شربوهـا وانتشوا ،
وَهَبـوا كُلَّ أمون وطِمِرّ[3]

ثم راحـوا عَبَقُ المسك بهم ،
يُلحِفون الارضَ هُدّابَ الأزُرْ[4]

•

---

١ الهداب من الثوب : الخيوط التي تبقى في طرفيه من عرضيه دون حاشيتيه . اليماني : أي الثوب اليماني . الاطباع : الصدأ .
٢ الغيل : الشجر الملتف . الانكاس ، الواحـد نكس : الجبان . الهوج : الحمقى . الهذر ، الواحد هذور : الكثير الكلام .
٣ الامون : الناقة الموثقة الخلق . الطمر : الفرس الطويل المشرف .
٤ يلحفون الارض : يجرون اذيالهم .

وقال كثيرُ عزة :

أشمُّ ، من الغادين في كُلّ حلةٍ ،
يَميسون في صِبغ ، من العَصْب ، مُتقنِ [1]

لهم أُزُرٌ حُمرُ الحواشي يَطَونها
بأقدامهم في الحَضْرميّ المُلَسَّنِ

•

وقال آخر :

من النفر الشُّمّ ، الذين إذا اعتزوا ،
وهابَ الرجالُ حَلقةَ البابِ ، قَعقعوا

جلا الأذفر الأحوى ، من المِسك ، فَرقَه ،
وطيبُ الدهان رأسَه ، فهو أنزَع [2]

إذا النفرُ السود اليمانون حاولوا
له حَوكَ بُردَيه ، أرَقّوا ، واوسعوا

•

وقال آخر [3] :

يُشَبَّهون مُلوكاً في مجلّتهم ،
وطولِ أنضيةِ الأعناقِ واللّممِ [4]

---

١ العصب : ضرب من البرود .

٢ الاذفر : الشديد الرائحة . الاحوى : اراد به الاسود . الانزع : من انحسر شعره عن جانبي جبهته .

٣ هو الشمردل اليربوعي .

٤ المجلة : الجلال . الانضية ، الواحد نفي : السهم الذي لم يرش .

إذا غدا المسكُ يجري في مَفارقِهِم ،
راحوا ، كأنهمُ مَرضى من الكرمِ

•

وقال آخر في علي بن داود الهاشمي :

أمّا أبوك ، فذاك الجودُ نَعرفُه ،
وأنت أشبهُ خَلقِ الله بالجودِ

كأنّ ديباجتَي خدّيه من ذَهبٍ ،
إذا تَعصّب في أثوابه السّودِ

•

الرجلة والركوب

سمع عمرو بن العاص رجلاً يقول : الرُّجْلة قطعة من العذاب . فقال له : لم تُحسن ، بل العذاب قِطعة من الرُّجْلة .

•

ولما مشى هارون إلى مكة ومشت معه زُبيدة كانت تُبسَطُ الدرانك[1] أمامَهم وتُطوى خلفهم ، فلما اعيا دعا بخادم له ، فألقى ذراعه عليه وتأوّه ، وقال : والله لركوبُ حمارٍ شموسٍ خير من المشي على الدرانك .

•

قال الشاعر :

وما عن رضاً صار الحمارُ مطيّتي ،
ولكنّ مَن يمشي سَيَرضى بما رَكب

•

وقال اعرابي :

يا ليتَ لي نَعلين من جِلد الضَّبُع ،
كُلّ الحذاء يَحتذي الحافي الوَقِع[2]

---

١ الدرانك : أنواع من البسط ؛ الواحد درنوك .
٢ الوقع : الذي يشتكي لحم قدمه من غلظ الارض والحجارة .

الخيل

قد مضى من قولنا في وصف الخيل وفضائلها في كتاب الحروب ما كفى عن إعادتها هنا .

البغال

قال مَسلمة بنُ عبد الملك : ما ركب الناس مثل بغلةٍ طويلةِ العِنان ، قصيرة العِذار ، سَفواء العُرف[1] ، حصّاء الذنب ، سَوطها عنانها ، وهَمُّها أمامَها .

•

وعاتب الفضلُ بن الربيع بعضَ الهاشميين في ركوب بغلة فقال : هذا مركب تطامَنَ عن خُيلاء الفرس ، وارتفع عن ذِلّةِ الحمار ، وخيرُ الأمور أوسطها .

---

١ سفواء العرف : خفيفة شعر العنق .

الحمير

قيل للفَضْل الرقاشيّ : إنك لتؤثر الحَمير على سائر الدوابّ . قال : لأنها أرفق وأوفق . قيل : ولِمَ ذلك ؟ قال : لا تَستبدلُ بالمَكانِ على طُول الزمان ، ثم هي أقل داءً ، وأيسرُ دواءً ، وأخفض مَهوى[1] ، وأسلم صريعاً ، وأقلُّ جِماحاً ، وأشهر فارهاً[2] ، وأقلُّ نظيراً ، يُزهى راكبه وقد تواضع بركوبه ، ويُعدُّ مقتصداً وقد أسرف في ثمنه .

•

وقال جريرُ بن عبد الله : لا تركب حماراً ، إن كان حَديداً أتعب يديك ، وإن كان بليداً أتعب رجليك .

---

١ المهوى : مكان السقوط .
٢ الفاره : النشيط الخفيف .

طبائع الانسان وسائر الحيوان

زعم علماءُ الطبّ أن في الجسد من الطبائع الأربع اثني عشر رطلاً : فللدم منها ستة أرطال ، وللمِرّةِ الصفراء والسوداء والبلغم ستةُ أرطال . فإن غلب الدمُ الثلاثَ الطبائعَ تغيّر منه الوجهُ وورِم ، ويخرج ذلك إلى الجُذام[1] . وإن غلبت الثلاثُ الطبائعُ الدمَ أحدث المِدّ[2] . فإذا خاف الإنسان غلبة هذه الطبائع بعضها على بعض فليعدّل جسده بالاقتصاد ، وينقيه بالمشي ، فإن لم يفعل اعتراه ما وصفنا : إما جذام وإما مِد . أسأل الله العافية . ولا بأس بعلاج الجسد في جميع الأزمان إلا من النصف من تمّوز إلى النصف من آب ، فذلك ثلاثون يوماً لا يصلح فيها علاج ، إلا أن ينزل مرض لا بد من مداواته .

•

جعفر بن محمد بن عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليهم قال : الغلام ينبُت كل سنة مقدارَ أربع أصابع من أصابعه .

•

---

١ الجذام : داء كالبرص .

٢ المد : ما يجتمع في الجرح من القيح .

عن وَهب بن مُنبّـه ، أنه قرأ في التوراة : إن الله عز وجل حين خلق آدم ركّب جسده من أربعة أشياء ، ثم جعلها وراثة في ولده تنمو في أجسادهم ، وينمون عليها إلى يوم القيامة : رطب ، ويابس ، وسُخن ، وبارد .

قال[1] : وذلك أني خلقتُه من تُراب وماء ، وجعلت فيه يبساً ، فيُبوسةُ كل جسدٍ من قِبَل التراب ، ورُطوبته من قبل الماء ، وحرارته من قِبَل النّفَس ، وبُرودته من قِبَل الرُّوح . ثم خَلقت للجسدِ بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواع أُخر ، وهي مِلاك الجسد وقِوامـه ، لا يقوم الجسد إلا بهن ، ولا تقوم واحدة إلا بالأخرى : المِرّة السوداء ، والمِرّة الصفراء ، والدّم الرطب الحار ، والبَلغم البارد . ثم أسكنتُ بعض هذا الخَلقِ في بعض ، فجعلتُ مسكن اليُبوسة في المِرّة السوداء ، ومسكن الرطوبـة في الدم ، ومسكن البرودة في البلغم ، ومسكن الحرارة في المِرّة الصفراء ، فأيما جسد اعتدلت فيه هذه الفِطَر الأربع وكانت كل واحدة فيه وفقاً لا تزيد ولا تنقص كَمُلت صحّته ، واعتدلَ نباتُه . وإن زادت واحـدة منهنّ غلَبتهنّ وقَهرتهنّ ومالت بهن ، ودخل على أخواتها السّقم من ناحيتهـا بقدر ما زادت . وإن كانت ناقصةً عنهنّ مِلْنَ بها وعلونَهـا

[1] الضمير عائد الى الخالق عزّ وجلّ .

وأدخلن عليها السقم من نواحيهنّ لقلّتها عنهن ، حتى تَضعف عن طاقتهنّ ، وتعجز عن مقارنتهنّ .

قال وهب بن مُنبه : وجعل عقله في دِماغه ، وشرَهه في كُلْيته ، وغضبه في كبده ، وصرامته في قَلبه ، ورُعبه في رئته ، وضَحكه في طِحاله ، وحزنه وفرحه في وجهه ، وجعل فيه ثلثمائة وستين مفصلاً .

•

الأصمعي : من لم يَخِفّ شعرُه قبل الثلاثين لم يَصلع أبداً ، ومن لم يحمِل اللحمَ قبلَ الثلاثين لم يحمله أبداً .

•

النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : كل ابن آدم تأكلهُ الأرضُ إلا عَجْبَ[1] الذنب ، منه خُلق ومنه يركب .

•

وقالت الحكماء : الخَنَث يعتري الأعرابَ والأكراد والزّنج والمجانين وكل صنف ، إلا الخصيانَ ، فإنه لا يكون خَصيّ مخنثاً .

•

وقالوا : كل ذي ريح مُنتنةٍ وذفَر[2] كالتيس وما أشبهه ،

١ العجب : اصل الذنب عند رأس العصعص .
٢ الذفر هنا : الرائحة الخبيثة .

إذا خُصي نقص ريحه وذهب صُنانه ، غيرَ الإنسانِ ، فإنه إذا خُصي زاد نتنه واشتد صُنانه ، وخبث عرقه وريحه .

•

وقالوا : وكل شيء من الحيوان يُخصى فان عظمه يَرِقّ ، وإذا رقّ عظمُه استرخى لحمه ، إلا الإنسان ، فإنه إذا خُصي طال عظمه وعَرض .

•

وقالوا : الخصيّ والمرأة لا يَصلعان أبداً ، والخصيّ تطول قَدمه وتعظم .

•

وبلغني أنه كان لمحمد بن الجَهم بِرْذون رَقيق الحافر ، فخصاه فجاد حافرُه وحَسُن .

•

قالوا : والخصيّ تلين معاقدُ عَصبِه وتسترخي ، ويعتريه الاعوجاجُ والفدَع[1] في أصابعه ، وتُسرع دَمعته ، ويجود جِلده ، ويُسرع غضبه ورضاه ، ويضيق صدره عن كتمان السر .

•

وقالوا : في الغلمان من لا يحتلم[2] أبداً ، وفي النساء من لا

---

١ الفدع : الاعوجاج .

٢ يحتلم : يدرك ويبلغ مبالغ الرجال .

تحيض أبداً ، وذلك عيب .

ومن الناس من لا يسقط شعره ولا يتبدّل سنه ، فمنهم عبد الصمد بن علي ، ذكروا أنه دخل قبره برواضعه[1] .

•

وقالوا : الضبّ والخنزير لا يُلقيان شيئاً من أسنانهما ابداً.

•

وقالت الحكماء : إنه ليس شيء من الحيوان يستطيع أن ينظر إلى أديم السماء غيرَ الإنسان ، كرّمه الله بذلك .

•

وقالوا : إن الجنين يغتذي بدم الحيض يُقبل إليه من قبل السرّة ، ولذلك لا تحيض الحواملُ إلا القليل . وقد رأينا من الحواملِ مَن تحيض ، وذلك لكثرة الدم .

•

وتقول العرب : حملت المرأة سهواً ، إذا حاضت عليه . وقال الهذلي :

ومبرّإٍ من كلّ غُبّرِ حَيْضةٍ،
وفسادِ مُرضعةٍ ، وداءٍ مُغْيِلِ[2]

يعني أنها لم ترَ عليه دم حَيض في حملها به .

•

١ الرواضع : ما نبت من اسنان الصبي ثم سقط في عهد الرضاع .
٢ الغبّر : البقايا . المغيل : المرأة التي ترضع ولدها وهي حامل .

قالوا : فإذا خرج الولد من الرحِم دفعت الطبيعـةُ ذلك الدَّمَ الذي كانَ الجنينُ يغتذيه إلى الثديينِ ، وهما عُضوان باردان عَصبيان يغيِّـرانه لبناً خالصاً سائغاً للشاربين .

•

وقالوا : يعيشُ الإنسان حيث تعيشُ النارُ ويتلَفُ حيث لا تبقى النار .

•

وأصحاب المعـادن والحفائر إذا هجموا على فتق في بطن الأرض أو مغارة قدموا شمعة في طرفِ قناة ، فإن عاشت بالنار وثبتت دخلوا في طلبها ، وإلا أمسكوا .

•

والعرب تتشاءم ببِكر ولد الرجل ، إذا كان ذكراً .

•

وكان قيس بن زهير أزرق[1] بِكراً ، ابن بِكرين .

•

عبد الله بن حارث بن نوفل قال : بِكر البِكرين شيطـانٌ مُخلَّد لا يموتُ إلى يوم القيامة . يعني من الشياطين .

•

---

١ أزرق : اي ازرق العينين وكانوا يتشاءمون بمن كان كذلك .

قالوا : وابنُ المذكَّرة مِن النساءِ والمؤنَّث[1] من الرجال أخبثُ ما يكون ، لأنه يأخذُ بأخبثِ خصالِ أبيه وخصالِ أمه.

والعرب تذكر أن الغَيْرى لا تُنجب . وقال عمرو بن معديكرب :

ألستَ تَصيرُ ، إذا ما نُسبد ت ، بين المُغارةِ والأحمقِ؟

•

قالت الحكماء : كل امرأة أو دابّة تُبطىء عن الحَمْل إن واقعها الفحلُ في الأيام التي يجري فيها الماء في العود فإنها تحمل بإذن الله .

•

وقالت الحكماء : الزّنج شِرارُ الخَلق وأردؤهم تركيباً ، لأن بلادَهم سخُنت جداً ، فأحرَقتهم في الأرحام . وكذلك من بَردت بلادُه فلم تُنضجه الرحِم ، وإنما فَضلَ أهلُ بابلَ لعلةِ الاعتدال .

وقالوا : الشمسُ هي التي شَيّطت[2] شعر الزنج وقبّضته . والشعرُ إن أدنيتَه من النار تقبّض ، فإذا زدته شيئاً تفلفل ،

---

١ المذكرة : التي تشبه الذكور . المؤنث : الذي يشبه النساء .

٢ شيّطت : احرقت .

فإن زدته احترق .

•

وقالوا: أطيب الأمم أفواهاً الزنج وإن لم تستن[١] ، وذلك لرُطوبة أفواهها وكثرةِ الرّيقِ فيها ، وكذلك الكلابُ من سائرِ الحيوان أطيبُها أفواهاً ، لكثرة الماء فيها ، وخُلوف[٢] فمَ الصائم يكون لقلّة الريقِ ، وكذلك الخُلوف في آخر الليل .

•

وقالت الحكماء أيضاً: كل الحيوان اذا أُلقي في الماء سَبح، إلا الإنسانَ والقردَ والفرسَ الأعسر، فإن هذه تغرق ولا تسبح.

•

قالوا : وليس في الأرض هارب من حرب أو غيرها يستعمل الحُضْر[٣] إلا إذا أخذ على يساره ، ولذلك قالوا : فمال على وحشيّه ، وانحى على شؤمى يديه[٤] .

•

---

١ تستن : تستعمل السواك .
٢ الخلوف : تغير رائحة الفم .
٣ الحضر : الركض .
٤ وحشيه : جانبه الايسر . شؤمى يديه : يده اليسرى .

وقالوا : كلُّ ذي عين من ذوات الاربع : السباع والبهائم الوحشية والإنسية ، فإنما الأشفار منهـــا بجفنها الأعلى ، إلا الإنسان ، فإن الأشفار ، يعني الهُدْبَ ، بجفنيــــه معاً الأعلى والأسفل .

•

الليث بن سعـد عن ابن عجلان ان امرأة حملت ، فأقامت حاملًا خمس سنـــين ثم ولدت ، وحملت مرة أخرى فأقامت حاملًا ثلاث سنين ثم ولدت .

•

ووُلد الضحاك بن مزاحم ، وهو ابن ثلاثـة عشر شهراً .
وقال جرير : وُلد الضحاك لسنتين ، وشعبة لسنتين .

ما نقص من خلقة الحيوان

حدّث أبو حاتم عن أبي عُبيـــدة ، والأصمعيُّ ، وأبو زيد قالوا : الفرس لا طِحال له ، والبعير لا مرارة له ، والظليم لا مُخّ له . وقال زهير :

مِن الظلمـانِ جؤجؤه هواء[1]

وكذلك طير الماء . والحيتان لا ألسنة لها ولا أدمغة لها ، وصَفْن[2] البعير لا بيضةَ فيه ، والسمكة لا رئة لها ولا تتنفّس ، وكل ذي رئة يتنفس .

---

[1] الجؤجؤ : صدر الطائر .
[2] الصفن : وعاء الخصية .

المشتركات من الحيوان

الراعيّ بين الورشان والحمامة . والجوامز من الإبل ، بين العِراب والفوالج[1] . والحمير الأخدرية ، من الأخدر ، فرس كان لأردشير كسرى ، توحش وحمى عانات[2] حمير فضرب فيها . وأعمارها كأعمار الخيل . والزّرافة بين الناقة من نوق الحبش وبين البقرة الوحشية وبين الضبعان ، واسمها « اشتر كاو بلنك[3] » ؛ وذلك أن الضّبعان ببلاد الحبشة يسفد[4] الناقة فتجيء بولد خَلْقُه بين خلق الناقة والضبعان ، فإن كان ولد تلك الناقة ذكراً عرضَ للمهاة فألقحها زَرافة . وسميت زَرافة لأنها جماعة وهي واحدة ، كأنها جمل وبقرة وضَبُع . والزَّرافة في كلام العرب : الجماعة .

•

وقال صاحب المنطق : الكلاب تسفدُها الذئاب في أرض سلوقيَة ، فتكون منها الكلاب السلوقيّة .

•

---

١ العراب : الكرائم السالمة من الهجنة . الفوالج ، الواحد فالج : الجمل ذو السنامين .

٢ العانات ، الواحدة عانة : القطيع من الحمر .

٣ هذا بالفارسية . اشتر : بعير . كاو : بقرة . بلنك : نمر . أما الضبع فهو بالفارسية كفتار ، عن كتاب الحيوان .

٤ يسفد : يعلو .

الانعام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما خلق الله دابة أكرمَ من النعجة وذلك أنه ستر حَياها دون حيا غيرها .

•

إهاب بن عمير قال : كان لنا جمل يَعرف فسجَ[1] الحامِل، قبل أن يشمّها .

•

وقيل لابنة الخُس : ما تقولين في مائة من المعز ؟ قالت : قِنّى . قيل : فمائة من الضأن ؟ قالت : غِنى . قيل : فمائة من الإبل ؟ قالت : مُنى . والعرب تضرب المثل في الصرد[2] بالمعز فتقول : أصردُ من عَنْز جَرباء .

•

سئل دغفل العلاّمة عن بني مخزوم ، فقال : معزى مطيرة ، عليها قشعريرة ، إلا بني المغيرة ، فإن فيهم تشادق الكلام ،

---

١ فسجت الناقة : حلت فزمت بأنفها واستكبرت .

٢ الصرد : الهزال .

ومصاهرة الكرام .

•

ومما تقوله الأعراب على ألسنة البهائم ، تقول المِعزى : الاست جَهْوى ، والذنَب ألوى ، والجلد زِقاق ، والشعر رِفاق[1] .

•

والضأن[2] تضع مرة في السنة وتُفرِد ولا تُتئِم ، والمَعَز قد تلدُ مرتين في السنة وتضع الثلاثة وأكثر وأقل ، والنماءُ والعددُ والبركةُ في الضأن . ونحو هذا الخنازير ، ربما تضع الأنثى عشرين خنزيراً ، لا نماء فيها ولا بركة .

•

ويقال : الجواميسُ ضأن البقر ، والبُخت[3] ضأنُ الابل ، والبراذين ضأن الخيل ، والجُرذان ضأنُ الفأر ، والدُلدل ضأنُ القنافذ ، والنمل ضأنُ الذَرّ .

•

١ جهوى : مكشوفة . ألوى : ملتو . زقاق ، الواحد زق : السقاء . الرفاق : حبل يشد في عنق البعير إلى رسغه .

٢ الضأن : اسم جنس لخلاف الماعز من الغنم .

٣ البخت : الابل الخراسانية .

وتقول الأطباء في لحم المَعز : إنه يورث الهمّ ، ويحرك السوداء ، ويورث النسيان ، ويخبّل الأولاد ، ويفسد الدم . ولحم الضأن يُضِرّ بمن يُصرَع من المِرّة إضراراً شديداً ، حتى يصرعهم في غير اوان الصَرع : الأهلّة وأنصاف الشهور .. وهذان الوقتان هما وقت مدّ البحر وزيادة الماء ، ولزيادة القمر إلى أن يصير بدراً اثرٌ بيّن في زيادة الدماغ والدم وجميع الرطوبات .

قال الشاعر[1] :

كأنّ القومَ عُشّوا لحمَ ضأنٍ ،
فهم نَعِجون ، قد مالت طُلاهم[2]

•

وفي الماعز أيضاً أنها تَرضعُ من خِلْفها وهي محفّلةٌ حتى تأتي على كل ما في ضرعها .

وقال ابن أحمر :

إنّي وجدتُ بني أعيا وجامِلهم ،
كالعنز تَعطف رَوقيها ، فتَحتفل[3]

•

١ هو ذو الرمة .
٢ النعج : الذي أكل لحم الضأن فثقل على قلبه . الطلى : الأعناق .
٣ الجامل : القطيع من الابل مع رعاته . روقيها : قرنيها . تحتفل : تمتلىء باللبن .

وإذا رعت الماعزة في فَضل نبت ما تأكله الضائنة ولم ينبت ما تأكله الماعزة ، لأن الضائنة تقرض بأسنانها والماعزة تقلعه وتجذبه من أصله . وإذا حملت الماعزة أنزلت اللبن في أول الحمل إلى الضرع ، والضائنة لا تنزل اللبن إلا عند الولادة ، ولذلك تقول العرب: رمَّدت المِعزى فربِّق ربّق[1] ، ورمدت الضأن فربق ربق .

•

وذكورُ كلِّ شيء أحسنُ من إناثه إلا التيوسَ ، فإن الصفايا أحسن منها ، وأصوات ذكور كل شيء أجهر وأغلظ إلا إناث البقر ، فإنها أجهر أصواتاً من ذكورها .

•

وقرأت في كتاب للروم : إذا أردت أن تعرف ما لون جنين النعجة ، فانظر إلى لسانها فإن الجنين يكون على لونه .

وقرأت فيه : إن الإبل تتحامى أمهاتِها فلا تسفدها .

•

وقالوا : كل ثور أفطس ، وكل بعير أعلم ، وكل ذباب أقرح[2] .

•

---

١ رمدت : استبان حملها وعظم ضرعها . التربيق : تهيئة الأرباق ، وهي الحبال.
٢ الأعلم : المشقوق الشفة العليا . الأقرح : الذي في وجهه قرحة.

وقال بعض القُصّاص : مما فضل الله بـه الكَبْشَ أن جعله مستورَ العورة من قُبل ومن دُبر ، ومما أهان به التيس أن جعله مهتوكَ الستر ، مكشوف القبل والدبر .

•

وفي مناجاة عزير : اللهم إنك اخترت من الأنعام الضائنة ، ومن الطير الحمامة ، ومن النبات الحبة ، ومن البيوت مكة وإيلياء ، ومن إيلياء بيت المقدس .

•

وفي الحـديث : « إن الغنم إذا أقبلت أقبلت وإذا أدبرت أقبلت ، والإبل إذا أدبرت أدبرت وإذا أقبلت أدبرت ، ولا يأتي نفعها إلا من جانبها الأشأم[1] . »

•

والأقِط[2] قد يكون من المعزى . قال امرؤ القيس :

لنـا غَنَمٌ نسوّقُـهـا غِـزار ،
كأنّ قُـرون جِلّتِهـا عصيُّ[3]

فتملأ بيتَنـا أقِطاً وسمنـاً ،
وحَسبُكَ من غِنًـى شِبَعٌ وريُّ

---

١ الأشأم : أي الشمال . وذلك أنها تحلب وتركب من هذا الجانب الذي يتشاءم العرب به .
٢ الأقط : الجبن .
٣ الجلة : الابل المسنة .

النعام

قالوا في الظليم: إن الصيف إذا اقبل وابتدأ البُسر[1] بالحمرة ابتدأ لونُ وظيفيه[2] بالحمرة، فلا يزالان يتلوّنان ويزدادان حمرة الى أن تنتهي حُمرة البُسرة. لذلك قيل له خاضب، وللنعام خواضب.

وفي الظليم أن كل ذي رجلين، إذا انكسرت إحدى رجليه نهض على الأخرى، والظليم إذا انكسرت إحدى رجليه جثم[3]، ولذا قال الشاعر في نفسه وأخيه:

إذا انكسرت رجلُ النعامة لم تجد،
على أختها، نَهضاً، ولا دونها صبرا

قالوا: وعلّة ذلك أنه لا مخّ في عَظمه.

وكل عظم كسر يجبر إلا عظماً لا مخ فيه.

والظليم يغتذي المَدر[4] والصخر، فتذيبه قانصته بطبعها

---

١ البسر: التمر اذا لون ولم ينضج.

٢ الوظيف: مستدق الذراع.

٣ جثم: تلبد بالارض.

٤ المدر: الطين العلك لا يخالطه رمل.

حتى يصير كالماء . وفي النعامة أنها أخذت من البعير المنسِم والوظيف والعنق والخُدامة[1] ، ومن الطير الريش والجناحين والمناقير ، فهي لا بعير ولا طائر .

•

وقال الأحيمر السعدي : كنت ممن خلعني قومي وأطَل السلطان دمي[2] ، وهربت وترددت في البوادي حتى ظننت أني قد جزت نخل وبارِ أو قريباً من ذلك، وإني كنت أرى النوى في رجيع[3] الذئاب ، وكنت أغشى الذئاب وغيرها من بهائم الوحش ، ولا تنفر مني لأنها لم ترَ أحداً قبلي ، وكنت أمشي إلى الظَبي السمين فآخذه ، إلا النعام فإني لم أره قط إلا نافراً فزعاً .

---

١ المنسم : خف البعير . الخدامة : لعله اراد الخدمة ، وهي في الساق عند الرسغ بياض في سواد .
٢ خلعني قومي : تبرأوا مني . أطل دمي : أهدره .
٣ رجيع الذئاب : قذرها .

الطير

بلغني عن مكحول أنه قال : كان من دعاء داود النبي عليه السلام : يا رازق النعّاب في عشه .

وذلك أن الغراب إذا فقس عن فراخه خرجت بيضاء فإذا رآها كذلك نفر عنها ، وتفتح أفواهَها فيرسل الله ذُباباً يدخل في أفواهها فيكون ذلك غذاءها حتى تسودّ ، فإذا اسودّت عادَ الغراب إليها فغذّاها ودفع الله الذباب عنها .

•

قال الرياشي : ليس شيء تغيب أذناه من جميع الحيوان إلا وهو يبيض ، وليس شيء تظهر أذناه إلا وهو يلد .

قال : هذا يُروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

•

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أربعة من الطير : الصُرَد ، والهُدهد[1] ، والذّرة ، والنّحلة .

•

---

١ الصرد : طائر ضخم الرأس ابيض البطن اخضر الظهر يصطاد صغار العصافير. الهدهد : طائر ذو الوان كثيرة .

وقالوا : الطير ثلاثة أضرب : بهائم الطير وهو ما لقط الحبوب والبزور ، وسباعُ الطير وهي التي تتغـــذى باللحم ، ومشترك وهو مثل العصفور يشارك بهائم الطير ، فإنه ليس بذي مِخلَب ولا مِنسر[1] . وإذا سقط الطير على عود قدم أصابعَـه الثلاثـة وأخّر الدابرَة[2] . وسباعُ الطير تقدم إصبعين وتؤخر إصبعين . ويشارك سباع الطير فإنه يُلقم فراخَه ولا يزقّها ، وإنه يأكل اللحم ويصطاد الجراد والنمل .

وقالوا : العصفور شديد الوطء والفيل خفيف الوطء .

•

وقال صاحب الفلاحة : العُقابُ والحِدأة[3] يتبدلان فيصير العُقاب حِدأةً والحِدأةُ عُقاباً ، والأرانب تتبدل فتصير الأنثى ذكراً والذكر أنثى .

•

وذكر الغربان لا يحضُـــن ، وكذلك ذكر الاوز وذكر الدجاج .

•

---

١ المخلب : الظفر خصوصاً من السباع . المنسر : منقار الطير الجارح .
٢ دابرة الطائر : هي كالاصبع في باطن رجله .
٣ الحدأة : طائر من الجوارح .

وقال كعب الأحبار : ما ذهب طائرٌ في السماء قط أكثر من اثني عشر ميلاً .

•

ومن حديث سفيان الثوري عن أنس بن مالك قال : عمرُ الذُباب أربعون يوماً ، والبعوضة ثلاثة أيام ، والبرغوث خمسة أيام .

قال : والحمام تُعجَبُ بالكَمُّونِ وتألف الموضِعَ الذي يكون فيه ، وكذلك العدَس ، ولا سيما إذا نُقِع في عصيرٍ حُلو . ومما يصلُحن عليه ويكثرن أن تُدخَّن بيوتُهن بالعِلك .

وأمِنُ مواضِعها وأصلحُها أن يُبنى لها بيتٌ على أساطينِ[1] خشبٍ ، ويُجعل فيه ثلاثُ كُوى : كُوَّةٌ في سَمْك البيت[2] ، وكُوَّة من قِبَل المَغرِب ، وباب من قِبَل الجنوب .

•

قال : والسَّذاب[3] إذا ألقي في اللبن تحامته السنانيرُ البرية .

•

ابن الكلبي قال : أسماءُ نِساء بني نوح صلى الله عليه وسلم ،

---

١ الاساطين ، الواحدة اسطوانة : العمود .

٢ سمك البيت : سقفه .

٣ السذاب : نبات كالصعتر رائحته كريهة .

إذا كُنَّ في زوايا بيتِ البُرج[1] سلِمت الفراخ ونمت وسلمت من الآفات .

قال هشام[2] : فجربته أنا وغيري فوجدناه كما قال ، واسم امرأة سام بن نوح محَلت محَم ، واسم امرأة حام نَف نَسا ، واسم امرأة يافث فالو .

•

والطير الذي يخرج من وكره بالليل البومة ، والصَّدى ، والهامة[3] ، والضُّوَع[3] ، والوطواط ، والخفاش[4] ، وغراب الليل .

•

قالوا : وإذا خرج فرخ الحمامة نفخ أبواه في حلقه لتتسع الحوصلة بعد التحامها وتنفتق، فإذا اتسعت زقّاه عند ذلك اللعاب ثم زقاه بعد ذلك الحب .

•

قال المُثنى بن زهير : لم أر شيئاً قطّ في رجل أو امرأة إلا رأيته في الحمام ، رأيت حمامة لا تريد إلا ذكَرَها ، وذكراً لا

---

١ البرج : اي برج الحمام .
٢ هشام بن محمد .
٣ الصدى : نوع من البوم عظيم الرأس . الهامة : نوع من البوم الصغير تألف ب . الضوع : ذكر البوم او طائر من طيور الليل .
٤ الخفاش : من نوع الوطواط .

يريد إلا أنثاه، إلا أن يَهلك أحدهما أو يُفقد، ورأيت حمامة لا تمنع شيئاً من الذكور، ورأيت حمامة لا تُقمَط[1] إلا بعد شدة الطلب، ورأيت حمامة تَزِيف[2] للذكر ساعةَ يريدُها، ورأيت حمامة تَقمُطُ الذكر، ورأيت ذكراً يقمط كل ما لقي ولا يزاوج، ورأيت ذكراً له أنثيان يحضن مع هذه وهذه.

•

قالوا: ومن عجائب الخفاش أنه لا يبصر في الضوء الشديد ولا في الظلمة الشديدة، وتحبل أنثاه وتلد، وتحيض، وتُرضِعُ، وتطير بلا ريش، وتحمِلُ ولدَها تحت جَناحها، وربما قبضت عليه بفيها، وربما ولدت وهي تطير، ولها أذنان وأسنان، وجناحان متصلان برجليها.

•

قالوا: والخطاف يتبع الربيعَ حيثُ كان، وتُقلَع إحدى عينيه وتَرجِع.

---

١ تقمط: تسفد.
٢ تزيف: تتبختر في مشيها وتتمايل.

البيض

قالوا : والبيض يكون من أربعة أشياء : منه ما يتكون من السِّفاد ، ومنه ما يتكون من التراب ، ومنه ما يتكون من نسيم ريح يصِل إلى أرحامها ، وهو شيء يعتري الحجَل وما شاكلها في الطبيعة ، فربما كانت الأنثى على قُبالةِ الريح التي تهبُّ في بعض الزمان فتحتشي لذلك بيضاً .

•

وكذلك النخلةُ التي تكون تحت الفُحَّال[1] وتحت ريحهِ ، فتَلقح بتلك الريحِ وتكتفي بذلك .

•

والدجاجةُ ، إذا هَرِمَت لم يكن لبيضها مُحٌّ ، واذا لم يكن لها مح لم يكن لبيضها فرخ ، لأن الفَرخ يُخلَق من بياضِ البيضِ وغذاؤه الصُّفرة .

---

١ الفحال : ذكر النخل .

السباع

يقال : إنه ليس في السباع أطيبُ افواهاً من الكلابِ ، ولا في الوحش أطيبُ أفواهاً من الظباء . ويقال : ليس أشدُّ بخراً من الأسدِ والصقرِ ، ولا في السباع أسبح من كلب .

والأسد لا يأكل الحارّ ولا الحامض ولا يدنو من النار ، وكذلك أكثر السباع .

وتقول الروم : الأسدُ يُذعَرُ لصوتِ الذئب ولا يدنو من المرأةِ الطامث[1] . والأسدُ إذا بال شَغر[2] كما يشغَرُ الكلبُ ، وهو قليل الشُرب ، ونجوُه[3] كنجوِ الكلب ، ودواء عضته كدواء عضة الكلب .

•

قالوا : والعيون التي تضيء بالليل : عيون الأسد والنمور والأفاعي والسنانير .

•

وقالوا : ثلاثة من الحيوان ترجِعُ في قيئها : الاسد والكلب والسنور .

•

---

١ الطامث : الحائض .

٢ شغر : رفع احدى رجليه فبال .

٣ النجو : الغائط .

وقالوا : أيام حمل الكلبة ستون يوماً ، فإن وضعت قبل ذلك لم تكد أولادها تعيش . واناث الكلاب تحيض كل سبعة ايام يوماً ، وعلامة ذلك أن يَرِمَ ثفر الكلبة[1] ، ولا تريد السفاد في ذلك الوقت .

•

وذكور السلوقية تعيش عشرين سنة وتعيش اناثها اثنتي عشرة سنة .

وليس يُلقي الكلب من اسنانه إلا النابين .

•

وقالوا : في طبع الذئب محبة الدم ، ويبلغ بطبعه أن يرى ذئباً مثله قد دَمي ، فيثب عليه فيمزقه .

قال الشاعر[2] :

وكُنْتَا كذئبِ السّوء لمّا رأى دماً
بصاحبه ، يوماً ، أحال على الدّمِ

•

ويقولون : ربما ينام الذئب باحدى عينيه ويفتح الأخرى ، قال حُميد بن ثور :

---

١ ثفر الكلبة : حياها .
٢ هو الفرزدق .

ينام بإحدى مُقلتيـه ، ويتّقي
بأخرى الأعادي ، فهو يَقْظان نائم

•

قالوا : والذئب أشدّ السّباع مُطالبـةً ، وإذا عجز عوى عُواءَ استغاثةٍ ، فتسامعت به الذئاب ، فأقبلت حتى تجتمعَ على الإنسان أو غيرِه فتأكله ، وليس في السباع مَن يفعـل ذلك غيرها .

•

والأرانب تنام مفتوحة العين ، وتحيض .

•

وليس لشيءٍ من ذكور الحيوان ثَدي في صدره إلا الإنسان والفيل .

ولسان الفيل مقلوب على طرفه ، داخل .

وزعمت الهند أن نابَي الفيل قَرناه ، يخرجان مستبطنين حتى يخرقا الحنَك . ويخرجان مُنكسين .

وقال صاحب المنطق : ظهر فيل عاش أربعمائة سنة .

وحدثني شيخ لنـا عن الزيادي قال : رأيت فيلًا أيام أبي جعفر قيل إنه سَجدَ لسابورَ ذي الأكتافِ ، ولأبي جعفر .

والفيلة تضع في سبع سنين .

الحيوان الذي لا يصلح الا بأمير*

الناس ، والفأر ، والغرانيق ، والكراكي[1] ، والنحل ، والحشرات .

•

قتادة عن ابن عمر قال : الفأرة يهوديّة ، ولو سقيتها ابن الابل ما شربته . والفأر أصناف : منها الزّباب ، وهو أصم لا يسمع ؛ والخُلد ، وهو أعمى .

وتقول العرب : هو أسود من زَبابة . وفأرة البيش ، والبيش سم قاتل ، يقال : هو قرون السنبل ، وله فأرة تغتذيه لا تأكل غيره . وفأرة المسك من غير هذا . وفأرة الابل : أرواحها إذا عرقت .

•

قالوا : والأفعى إذا نفثتَ في فيها حُمّاضَ الأترج[2] وأطبقت لَحْيَيْها[3] الأعلى على الأسفل لم تقتل بعضتها أياماً .

•

* يريد الحيوان الذي يكون لكل جماعة منه رأس او امير يقوده ، يورده ويُصدره .

١ الغرانيق، الواحد غرنوق. والكراكي، الواحد كركي: كلاهما طائر مائي.

٢ الاترج : الكبّاد ، وحماضه : ما في جوفه داخل اللب .

٣ اللحي : عظم الحنك الذي عليه الاسنان .

قالوا : الثومُ والملحُ وبعرُ الغنم نافعٌ جداً إذا وُضع على موضع لسعة الحية ، والحيات تُقتل بريح السَذاب والشيحِ[1] ، وتُعجَبُ بالتُفّاح[2] والبَسْباس[3] ، والبِطّيخ والخردل والحُرْف[4] ، واللبن والخمر .

•

وليس في الأرض حيوان أصبر على الجوع من الحيّة ، ثم الضبّ بعدها. وإذا هرمت الحية صغر بدنها ، وقنعت بالنسيم.

•

قالوا : وكل شيء يأكلُ فهو يحرك فَكّه الأسفل ، ما عدا التمساحَ فإنه يحرّك فَكّه الأعلى .

•

وبمصر سمكة يقال لها الرعّادةُ ، من اصطادها لم تزل يدُه تُرعَدُ ما دامت في شبكته .

•

والجُعَلُ[5] إذا دفنتَه في الورد سكنت حركتُه حتى تحسبَه

---

١ الشيح ، الواحدة شيحة : نبات طيب الرائحة .
٢ اللفاح : نبت له ثمر في حجم التفاح .
٣ البسباس ، الواحدة بسباسة : شجرة تأكلها الناس والماشية تذكرك ريح الجزر وطعمه اذا اكلتها .
٤ الحرف : حب الرشاد .
٥ الجعل : نوع من الخنافس كالزيز .

ميتاً ، فإذا أدنيته من الرَوْثِ[1] تحرّك ورجعت نفسه .

•

والبعير إذا ابتلع في علفه خُنفساء[2] قتلته إذا وصلت إلى جوفه حيّة .

•

والضب يُذبَح ثم يمكثُ ليلة، ثم يقرب من النار فيتحرّك.

•

والأفعى تُذبَح فتبقى أيّاماً تتحرّك ، وإذا وطئها أحد نَهشَتْه ، ويُقطع ثلثُها الأسفلُ فتعيش ، وينبت ذلك المقطوع.

•

وسامّ أبرص لا يدخل بيتاً فيه زَعفران .

•

ومَن عضه كَلب كَلِب احتاج أن يستر وَجهَه من الذباب لئلا تَسقُطَ عليه .

•

وخرطوم الذُّباب يده ، ومنه يغنّي ، وفيه يجري الصوت كما يُجري الزامرُ الصوتَ في القصبة بالنّفخ .

•

---

١ الروث : سرجين الفرس وكل ذي حافر .

٢ الخنفساء : دويبّة اصغر من الجعل كريهة الرائحة .

والسُلَحفاةُ، إذا أكلت أفعى أكلت سَعتراً جبلياً .

•

وابن عِرس إذا قاتل الحيةَ أكل السّذابَ .

والكلاب إذا كان في أجوافها داء أكلت سُنبلَ القمح .

والإيّل[1] إذا نهشَته الحيةُ أكل السراطين .

قال ابن ماسويه : فلذلك يُظن أن السراطين صالحة لمن نهشَتْه الحية .

•

قال صاحب المنطق : الحية إذا اشتكت كبدَها من رفع الأرانب والثعالب في الهواء تعالجت بأكل الأكباد حتى تبرأ .

•

وبعضُ الناس يعملون من الأوزاغ[2] سُمّاً أنفذ من البيش[3] ومن ريق الأفاعي .

•

واذا زُرعَ في نواحي الزرع خردل تجنّبتـه دَبى[4] الجَراد ،

---

١ الايل : الذكر من الأوعال .

٢ الاوزاغ ، الواحد وزغة : نوع من الزحّافات كالحردون .

٣ البيش : نبات فيه سم قاتل .

٤ الدبى : اصغر الجراد .

وإذا أخذ المُرْداسَنج[1] وخُلِطَ بعجينِ الدَّقيق ثم طُرِحَ للفأرِ وأكلَ منه مات ، وكذلك بُرادة الحديد .

•

وإذا أخذ الأفيون والشُّونيز[2] والبازرند وقرن الإيَّل وبابونج وظِلف من أظلاف العنز ، فخُلط ذلك جميعاً ، ثم يُدق ويُنخل نخلاً جيداً ويُعجن بخل ثقيف[3] ، ثم يُقطع قطعاً ، فيدخن قِطعة منه ، هَربت الحيّات والهوامُّ والنمل والعقارب من ريحه . والبعوض تهرُب من دُخان الكبريت والعِلْك .

•

وقالت الحكماء : لحم ابن عِرس نافع من الصَّرع ، ولحم القنفذ نافع من الجذام والسل والشنج ووجع الكلى ، يجفَّف ويُشوى ويُطعمه العليل مَطبوخاً ومشوياً ويضمَّد به الشَّنج .

•

وعين الأفعى وعين الجراد لا تدوران .

•

وليس ينسج من العناكب إلاَّ الأنثى ، وهي الخدرنق .

---

١ المرداسنج : لعله المردارسنج الذي تسميه العامة مرسنك ، وهو الرصاص المحروق .

٢ الشونيز : الحبة السوداء .

٣ الثقيف : الحاذق الحامض جداً .

وولد العنكب ينسج ساعة يولد .

•

والقمل يتخلق في الرؤوس على لون الشعر ، إن كان أسود أو أبيض أو مخضوباً .

•

وأم حبين[1] لا تقيم بمكان تكون فيه السُّرْفة ، وهي دويبة يُضرب بها المثل في الصنعة ، فيقال : أصنع من سرفة .

•

قال أبو بكر المهجري : ما من شيء يَضر إلا وفيه منفعة .

•

وقيل لبعض الأطباء : إن فلاناً يقول إنما أنا مثلُ العقرب أضُر ولا أنفع . فقال : ما أقل علمه بها ، إنها لتنفع إذا شُقّ بطنها ووُضعت على مكان اللسعة ، وقد تجعل في جوف فخّار مسدود الرأس مُطيَّن الجوانب ثم يوضع الفخار في تنّور ، فإذا صارت العقرب رماداً سُقي من ذلك الرماد مثل نصف دانق من به حصاة من غير أن يضر سائر الأعضاء . وقد تلسع مَن به حُمّى عتيقة فتقلع عنه ، وقد تلسع المَفلوج فيذهب عنه الفالج . وقد تُلقى العقرب في الدهن وتُترك فيه حتى يأخذ الدهن منها ويجتذب قواها فيكون ذلك الدهن مُفرقاً

---

[1] أم حبين : دابّة تشبه سام ابرص .

للأورام الغليظة .

•

وقال المأمون : قلت لبختيشوع وسلمويه وابن ماسويه : إن الذباب إذا دُلك على موضع لسعة الزنبور سكن ألمُهـا ، فلسعني زنبور ، فحككت على موضع لسعته عشرين ذبابة ، فما سكن إلا في قدر الحين الذي يسكن فيه من غير علاج ، فلم يَبق في يدي منهم ، إلا أن قالوا : كان هذا الزُّنبور حتفاً قاضياً ، ولولا هذا العلاج له لقتلك .

•

وقال محمد بن الجَهم : لا تَتهاونوا بكثير مما ترون من علاج العجائز ، فإن كثيراً منه وقع إليهن من قدماء الأطباء ، كالذّباب يلقى في الإثمد فيسحق معه ، ليزيد ذلك في نور البصر ، ويشدّ مراكز شعر الأجفان في حافات الجفون .

•

قالوا : وللسع الافاعي والحيّات ينفع ورق الآس الرّطب ، يُعصر ويُسقى من مائه قَدر نصف رطل .

مصايد الطير

قال صاحب الفلاحة : من أراد أن يحتال للطير والدّجاج حتى يتحيّرن ويُغشى عليهن فيصيدَهن عمد إلى الحلتيت[1] ، فداقه[2] بالماء ثم جعل في ذلك شيئاً من عسل ، ثم نقعَ فيه بُرّاً[3] يوماً وليلة ، ثم ألقى ذلك البرّ إلى الطير فإذا لقطه تحيّر وغُشي عليه ، فلا يقدر على الطيران إلا أن يُسقى لبناً خالطه سمن .

•

قال : وإن عُمِد إلى طحين بُرّ غيرِ منخول فعُجن بجير[4] ثم طُرح للطير والحَجل فأكلا منه ، تحيرت وأُخذت .

•

ومما يُصاد به الكراكيّ وغيرها من الطير أن يوضع لهن في مواقعهن إناء فيه خمر ويُجعل فيه خربق أسود[5] ويُنقع فيه

---

١ الحلتيت : صمغ نبات يقال له الانجدان .
٢ دافه : خلطه .
٣ البرّ : القمح .
٤ الجير : الجص .
٥ الخربق : نبت ورقه كلسان الحمل أبيض ، والافراط في تناوله مهلك .

شعير، ثم يُلقى لهن، فإذا أكلن منه أخذهن الصائد كيف شاء.

•

وقال غيره: تُصاد العصافير بأيسر حيلة، تؤخذ سلّة في صورة المِحبرة المنكوسة، ويجعل في جوفها عُصفور، فتنقضُّ عليه العصافير وتدخل عليه، فما دخل لم يقدر على الخروج، فيصيد الرجل منها من يومه ما شاء وهو وادع[1].

•

وقال: ويُصاد طير الماء الساكن بالقَرعة، وذلك أن تأخذَ قرعة يابسة صحيحة فترمي بها في الماء فإنها تتحرك بتحرُّك الماء فإذا أبصرها الطير تحرك وفزع، فإذا كثر ذلك عليه أنس حتى ربما سقط عليها، ثم تأخذَ قرعةً مثلها فتقطعَ رأسها، ويُفتق فيها موضعُ عينين ثم يُدخِلُ الصائدُ رأسَه فيها، ويدخل الماء ويمشي رويداً، وكلما دنا من الطائر مد يده تحت الماء حتى يقبضَ على رجليه ويغمسَ يدَه به تحت الماء ويكسِر جناحيه، ويُخليه فيَبقى طافياً على الماء يَسبحُ برجليه، ولا يُطيق الطيران، وسائر الطير لا تنكرُ انغماسَه في الماء، فإذا فرغ من صيدِ ما أراد بالقرعة لقطها وحملها.

---

[1] وادع: ساكن.

مصايد السباع

السّباع العاديَة تصاد بالزُّبى[1] والمُغَوّيَات[2] ، وهي آبار تُحفر في أنشاز الأرض ، ولذلك يقال : قد بلغ السيل الزُّبى .

•

قال صاحب الفلاحة : ومما تُصاد به السباع العادية أن يُؤخذ سمك من سمك البحر الكبار السمان فيُقطع قِطعاً ثم تُشدخُ وتكتلُ كِتـلًا ، ثم تؤجّج نار في غائط[3] من الأرض تَقرب منه السباع ، ثم تُقذف تلك الكتل فيها واحدة بعد أخرى حتى ينتشر دخان تلك النار ، وقُتار[4] تلك الكتل في تلك الأرض ، ثم يُطرح حول تلك النار قِطع من لحم قد جعل فيه الخربق[5] الأسود والأفيون ، وتكون تلك النـار في موضـع لا تُرى فيه حتى تقبل السباعُ لريح القُتـارِ ، وهي آمنة ، فتأكل من قطع ذلك اللحم ، ويخرج عليها ، فيصيدها الكامنون لهـا كيف شاءوا .

---

١ الزبى ، الواحدة زبية : حفرة لصيد السباع .

٢ المغواة : حفرة كالزبية تحتفر للذئب ويجعل فيها جدي اذا نظر الذئب اليه سقط عليه يريده فيصاد .

٣ الغائط : المطمئن من الارض .

٤ القتار : الدخان من المطبوخ .

٥ الخربق : نبات ورقه كلسان الثور ، ابيض واسود .

تفاضل البلدان

الأصمعي يرفعه إلى قَتادة قال :

الدنيا كلُّها أربعة وعشرون ألف فرسخ ، فبلد السودان منها اثنا عشر الف فرسخ ، وبلد الروم ثمانية آلاف فرسخ ، وبلد الفرس ثلاثة آلاف فرسخ ، وبلد العرب ألف .

•

الأصمعيّ قال : جزيرة العرب ما بين نجران إلى العُذيب ، وقال غيره : أرض العرب ما بين بحر القُلْزم وبحر الهند .

•

قالوا : وسواد البصرة : الأهواز ، وفارس . وسواد الكوفة : كسكر إلى الزاب إلى عمل حلوان إلى القادسية ، وهذه كلها من عمل العراق .

•

وعمل العراق من هَيت إلى الصين ، والهند ، والسند ، ثم كذلك إلى الري ، وخراسان كلها إلى بلد الديلم ، والجبال . وأصفهان سُرّة العراق ، وافتتحها أبو موسى الأشعري .

والجزيرة ليست من عمل العراق. وهي ما بين الدجلة والفرات والموصل من الجزيرة . ومكة والمدينة ومصر ليست من عمل العراق .

•

الأصمعي قال : البصرة كلها عثمانية، والكوفة كلها علوية[1]، والشام كلها أموية ، والجزيرة خارجية ، والحجاز سنّية . وإنما صارت البصرة عثمانية من يوم الجمل ، إذ قاموا مع عائشة وطلحة والزبير فقتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

•

وقيل لرجل من أهل البصرة : أتحب علياً ؟ قال : كيف أحب رجلاً قتل من قومي من لدُن كانت الشمس هكذا إلى أن صارت هكذا ثلاثين ألفاً !

•

والكوفة علويّة ؛ لأنها وطن علي رضي الله عنه وداره . والشام أموية ؛ لأنها مركز ملك بني أمية وبيضتهم . والجزيرة خارجية ؛ لأنها مسكن وبيعة . وهي رأس كل فتنة ، وأكثرها نصارى وخوارج ، ومنازلهم الخابور وهو وادٍ بالجزيرة .

•

---

١ العثمانية : اي الحزب الذي ينتمي الى عثمان بن عفان . العلوية : الحزب المنتمي الى علي بن ابي طالب .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لبني تغلب : يا خنازير العرب . والله لئن صار هذا الأمر إليّ لأضعّفنّ عليكم الجزية .

•

وقال هارون الرشيد ليزيد بن مزْيَد : ما أكثَرَ الخلفاءَ في ربيعة . قال : بلى ، ولكن منابرهم الجذوع .

•

الأعمش عن سليم ، قال : ذكر عمرُ بن الخطاب الكوفة ، فقال : جُمجُمة العرب ، وكنز الايمان ، ورمح الله في الارض ، ومادّة الأمصار .

•

علي بن محمد المَديني قال : الكوفة جاريةٌ حسناء تصنّعُ لزوجها ، فكلما رآها سرّته .

•

وقال محمد بن عمير بن عطارد : الكوفة سَفلت عن الشام ورُباها ، وارتفعت عن البصرة وعمقِها ، فهي مريّة[1] مريعة عَذِيَة[2] بَرّية ، وإذا أتتها الشمال هبّت على مسيرة شهر على مثل رضراض[3] الكافور ، وإذا هبّت الجنوب جاءتها بريح

---

١ مريّة : مسهل مريئة : طيبة الهواء .

٢ عذِية : سهلة مريئة .

٣ رضراض : ما صغر ودقّ من الحصى .

السواد ووردِه وياسمينه وأترجّه، فماؤها عذب، وعيشها خصب.

•

قال ابن عيّاش الهمداني لأبي بكر الهذلي عن أبي العبّاس، وذُكِرَت عنده الكوفة والبصرة، فقال: إنما مَثَلُ الكوفة مثلُ اللهاةِ من البدن يأتيها الماء ببَرده وعذوبته، ومَثَلُ البصرة مثل المثانةِ يأتيها الماء بعد تغيّر وفساد.

•

وقال الحجاج: الكوفة بِكر حسناء، والبَصرة عجوز بخراء[1]، أوتيت من كل حِلي وزينة.

•

وقال جعفر بن سليمان: العِراق عَينُ الدنيا، والبصرة عَينُ العراق، والمِربد عين البصرة، وداري عين المِربد.

•

وقال الأصمعي: تذاكروا عند زياد الكوفة والبصرة. فقال زياد: لو أضللتُ البصرةَ لجعلت الكوفةَ لمن دلّني عليها.

•

وقال حُذيفة: أهلُ البصرة لا يَفتحون باب هُدًى، ولا يُغلِقون بابَ ضلالة، وقد رُفِع الطاعون عن جميع أهل الارض إلا عن أهل البصرة.

•

---

١ البخراء: نتنة رائحة الفم.

ومما نُقِم على أهل الكوفة أنهم أغدر الناس . طَعنوا الحسن ابن علي ، وانتهبُوا عسكره ، وخذلوا الحسينَ بن علي بعد أن استدعوه حتى قُتل .

وشكوا سعد بن أبي وقّاص إلى عمر بن الخطاب ، وزعموا أنه لا يُحسن أن يصلّي ، فدعا عليهم أن لا يُرضيهم الله عن والٍ ولا يرضي والياً عنهم .

وقد دعا عليهم علي بن أبي طالب فقال : اللهم ارمِهم بالغلام الثَقَفي . يعني الحجاج بن يوسف .

وشكوا عمّار بن ياسر والمُغيرة بن شُعبة ، وطردوا سعيد ابن العاص ، وخذلوا زيدَ بن علي . وادعى النبوة منهم غيرُ واحد ، منهم المختار بن أبي عُبيد . وكتب إلى الأحنف : بلغني أنكم تكذّبونني وتكذّبون رُسلي ، وقد كُذّبتِ الأنبياء من قبلي ولست بخيرٍ من كثيرٍ منهم .

•

وقيل لعبد الله بن عمر : إن المختار يزعم أنه يُوحَى اليه . قال : صدق ، الشياطين يوحون إلى أوليائهم .

•

ولما أرادت سكينة بنت الحُسينِ بن علي رضي الله عنهم الرحيل من الكوفة إلى المدينة بعد قتل زوجها المُصعب حفّ

بها أهلُ الكوفة ، وقالوا : أحسن الله صحابتَك يا ابنةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت : لا جزاكم الله خيراً من قوم، ولا أحسن الخلافـةَ عليكم ، قتلتم ابي وجدي وأخي وعمي وزوجي ، أيتمتموني صغيرة وأيـَّمتُموني[1] كبيرة .

•

ولما دخل عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتل المُصعب ، أقبل اليه جماعة من هؤلاء ، قالوا : أمراؤك أهل الكوفـة . قال : قتلة عثمان ؟ قالوا : نعم وقتلة علي ! قال : هذه بهذه .

•

قدم عبدُ الله بن الكوّاء على مُعاوية ، فقال : أخبرني عن أهل البصرة .

قال : يُقبلون معاً ويُدْبرون شتّى .

قال : فأخبرني عن أهل الكوفة .

قال : أنْظَرُ الناس في صغيرة وأوقفهم في كبيرة .

قال : فأخبرني عن أهل المدينة .

قال : أحرصُ الناس على الفِتنة وأعجزهم عنها .

قال : فأخبرني عن أهل مصر .

قال : لُقمة آكل .

---

١ أيمها : جعلها أيماً ، وهي التي مات عنها زوجها .

قال : فأخبرني عن أهل الجزيرة .
قال : كُناسة بين حُشّين[1] .
قال : فأخبرني عن اهل الشام .
قال : جُند أمير المؤمنين ، ولا أقول فيهم شيئاً .
قال : لتقولن .
قال : أطوع خَلق الله لمخلوق وأعصاهم للخالق ، ولا يخشون في السماء ساكناً .

•

قَتادة قال : قيست البصرة في زمن خالد بن عبد الله القَسري ، فوجدوا طولها فرسخين وعرضها فرسخين .

•

الأصمعيّ قال : قال ابن شهابٍ الزهري : مَن قدِم أرضاً فأخذ من تُرابها فجعله في مائها ثم شربه عوفي من وبائها .

•

الأصمعيّ قال : دخلت الطائف فكأني كنت أبشّر ، وكان قلبي ينضَح بالسُّرور، وما أجِد لذلك علّةً إلا انفساحَ جوّها، وطيبَ نسيمِها .

•

---

١ الحش : الكنيف .

ودخل سليمان بن عبد الملك الطائف ، فنظر إلى بيادر الزّبيب فقال : ما تلك الجِرار السُّود ؟

قيل له : ليست بجرارٍ يا أمير المؤمنين ولكنّها بيادر الزّبيب.

فقال : لله دَرُّ قَسِيٍّ ، في أي عُشّ أودَعَ أفرُخَه ؟

يريد بقَسِيّ ثقيفاً . كذلك كان اسمه .

●

الأصمعيّ قال : من أمثال العامة يقولون : حُمّى خيبر ، وطِحال البحرين ، ودماميل الجزيرة ، وطواعين الشام .

●

الأصمعي قال : ذكروا أن في باب سمرقند مكتوباً : بين هذه المدينة وبين صنعاءَ ألفُ فرسخ .

●

قال الأصمعيّ : وبين بغدادَ وأفريقية ألفُ فرسخ ، وبين الكوفة والبصرة ثمانون فرسخاً ، وواسطٌ بينهما متوسطة ، ولذلك سميت واسطاً .

الشامات

أول حدّ الشّام من طريق مصر أمَج ، ثمّ يليها غزّة ، ثم الرّملة ، رملة فلسطين ، ومدينتُها العظمى فلسطين وعَسقلان ، وبها بيت المَقدِس . وفلسطين هي الشّام الاولى .

ثم الشام الثانية ، هي الأردن ، ومدينتها العظمى طبريّة ، وهي التي على شاطىء البُحَيرة . والغَور واليرموك . وبيسان فيما بين فلسطين والأردن .

ثم الشام الثالثة الغوطة ، ومدينتها العظمى دِمَشق ، ومن سواحلِها طرابلس .

ثم الشام الرابعة وهي أرض حمصَ .

ثم الشام الخامسة وهي قِنَّسْرين ، ومدينتُها العظمى — حيث السلطان — حلَب . وبين قنسرين وحلبَ أربعة فراسخ ، وساحلُها أنطاكيَة ، مدينة عظيمة على شاطىء البحر ، في داخلها البساتين والأنهار والمزارع ، وهي مدينة حبيبِ النجّار ، الذي جاء من أقصى المدينة يَسعى . وبها مَسجِدٌ يُنسَب إلى حبيبِ النجار .

ومن ثغور الشام الخامسةِ : المَصيصة وطَرسوس ونهرا جيحانَ وسيحانَ .

الجزيرة

ثم الجزيرةُ ، وهي ما بينَ دِجلةَ والفُراتِ ، وبهما نهرانِ يقال لهما الخابورُ والبَليخُ ومخرجُهما من رأسِ العينِ ، مدينةٍ عظيمةٍ بالجزيرة في داخلِها عينٌ هي عنصرُ الخابورِ والبليخ . وعلى الخابور منازلُ ربيعةَ أكثرُها نَصارى ، وخوارجُ . ونَصيبين من الجزيرة ، وهي مدينةٌ عظيمةٌ مطلّةٌ على جبلِ الجُوديّ . والموصِلُ من الجزيرة أيضاً . والرَّقّةُ وحَرّانُ من الجزيرة أيضاً . ومن ثغورِ الجزيرةِ في جهة عَمّوريةَ من أرضِ الروم بَطْرةُ ومَلَطْيةُ . وفي جوفِ الفُرات جزائرُ فيها مدنٌ يقال لها عانةُ وعاناتُ . وعلى شط الفراتِ مما يلي الجزيرة قِرْقيسيا ، ومما يلي الشامَ الرَّحبةُ ، رَحبةُ مالكِ بنِ طَوق .

العراقان

العراقانِ : هما البصرةُ والكوفةُ ، ومما أحدثَ الخلفاءُ بالعراقِ ، خلفاءُ بني هاشم ، من المدن ، الأنبار ، وهي مدينةُ أبي العبَّاس ، أولِ من وَليَ الخِلافة من بني هاشم ، ابتناها واتخذَها دارَ خِلافته . ثم وَليَ أخوه أبو جعفر المنصورُ ، فانتقل إلى بغدادَ وابتنى بها الكَرْخَ ، وهي مدينةُ السلام في جوفِ بغدادَ ، وهي دارُ خِلافة بني هاشم . حتى قام المُعتصِمُ محمدُ بنُ هارونَ فانتقل منها إلى سامَرّا . وتفسير سامرا أن سامَ بنَ نوحٍ عليه السلامُ بناها ، وإنما هو بالسريانية ، وهي دارُ الخلافةِ إلى الآن .

فارس

منها الأهوازُ مدينةٌ عظيمةٌ ، وبلدُها واسعٌ جداً ، وهي من سَوادِ البصرة . وتُستَرُ ، مدينةٌ يُعمَلُ فيها التُستَريُّ من الملاحفِ . ومدينةٌ يقال لها جُوزُ وإليها يُنسب ماءُ الوردِ الجُوري . ومدينةٌ يقالُ لها إصْطَخْرُ بها تُعمَلُ الأكسيةُ الإصطخريّةُ الجيادُ السودُ. ومدينةٌ يقال لها السُّوسُ بها تُعمَلُ الثيابُ السوسيّةُ من الخزّ وغيرِه . ومدينةٌ يقالُ لها العَسكَرُ وإليها تُنسب الثيابُ العسكريّة . ومدينةٌ يقالُ لها الأفساسارُ وبها تُعمل الأكسيةُ الأفساساريةُ الجيادُ . ومدينةٌ يقال لها دَستُوَا ، وبها تُعمل الثياب الدستوائيةُ . ومدينةٌ يقال لها مَيْسانُ ، وبها يُعمل الوطاءُ المَيساني . ومدينة يقال لها الدَّسكَرَةُ ، دسكرةُ المَلِكِ ، كانت لكِسرى . ومدينةٌ يقال لها حُلوانُ ، وهي أولُ الجبالِ من خُراسانَ وآخرُ العراق.

خراسان

أولى مدنِها الرَّيُّ ، وهي آخرُ الجبالِ من خُراسانَ ، واليها يُنسَب ، من الرجال ، الرازيُّ ، ومن خُراسان مَرو ، وهي دارُ خِلافة المأمونِ ، ومنها خرجَ أبو مُسلمٍ صاحبُ الدَّعوة . ومن يُنسب إليها من الرجال يقال له مَرْوَزي ، ومن الثيابِ مرويٌّ . ومدينةٌ يقال لها قُومَسُ ، وإليها تُنسب الطَّيقانُ[1] القُومسيّةُ . ومدينةٌ يقال لها سابور بها مُلكُ بني طاهر . ومدينةٌ يقال لها هَراةُ إليها يُنسب الهَرَويُّ من الرجالِ والمَتاع . ومدينةٌ يقال لها بَلخُ وإليها يُنسبُ البلخيُّ ، وبها معادنُ البِجاديّ[2] العتيقِ ، وهو جنس من الفصوصِ تُسميه العامة البَزادي . ومدينة يقال لها خُوارزمُ وإليها يُنسب الخُوارزميُّ ، وهي على شطّ البحرِ المحيطِ .

وبلخ على شط النهرِ العظيم ، الذي يقال له جيحانُ بخُراسان . ثم جُرجانُ ، وهي مدينة عظيمة على شطّ البحرِ المحيط ، وإليها

---

١ الطيقان ، الواحد طاق : ضرب من الثياب ، أو الطيلسان ، او الأخضر منه.
٢ البجادي : حجر يشبه الياقوت .

يُنسب الوشي الجُرجاني والمتاع . ثم قُوهَى وهي مدينة عظيمة إليها يُنسب القوهيُّ من الثياب . ثم كابُل ، وهي مدينة يؤتَى منها بالإِهليلج[1] الكابُلي . ثم سَمَرْقَنْدُ ، وهي مدينة عظيمة إليها يُنسب السمَرقندي من الثياب. وبين بغدادَ وبينَها مسيرة ستة أشهر ، ومما يليها كَرْمان ، وهي على بطائحِ السِّندِ ، وبلاد السندِ من آخرِ خُراسان ، ما بين المَغرِب والمَشرِق من جهة القبلة .

وآخر مدن خُراسانَ مدينة يقال لهـا تُبَّت ، وهي من أرض التركِ وبها مجمعُ المِسكِ وإليها يُنسب المسك التُّبَّتيّ . ومدينةٌ يقال لها فرغانةُ ، وأهلُها جنسٌ من العجَم يقال لهم الصُّغْدُ ، وهم الذين يقطعون آذانَهم من الحُزنِ ، إذا مات لهم كبير .

ومن المدنِ التي في صَدرِ خُراسانَ مع الجبالِ مدينةٌ يقال لها قَرْمِيسين . ثم الدِّينَوَر ، وإليها يُنسب الدينوري . ومدينةُ هَمْدانَ مدينةٌ عظيمة ، وطَبَرستانُ مدينةٌ عظيمة فيها تُعملُ الأكسية الطبريَّة ، ثم قُمٌّ وهي مدينة عظيمة منها يؤتى بالزعفرانِ ، ثم أصبهانُ وهي مدينة عظيمة ، ثم طُوس وهي من ثغور الجبال .

---

[1] الاهليلج : ثمار عطرية .

مصر

من ناحيةِ الشام الفُسطاطُ ، وهي مدينـــةٌ بها مِنبرانِ ومَسجِدان، يُجمع فيهما العسكرُ حيثُ السلطان. وعينُ شمسَ ، بها مِنبرٌ ، وهي كانت مدينةَ فِرعونَ ، وفيها بنيانُـــه قائمٌ . والفرَما لهـا مِنبرٌ ، والعَريشُ الذي يقال له عريشُ مِصر له مِنبر ، وهي آخرُ مِصر وأول الشام .

ومن أسفلِ الأرض بُوصيرُ ، لها مِنبر . وتِنّيسُ لها مِنبر ، وإليها تُنسب الثياب التّنيسية ، وبها طِرازٌ للخليفة . وشَطـا لها منبر وإليها يُنسب الشَّطَوي . ودَبيقُ ، لهـا منبر وإليها يُنسب الدَّبيقيّ من الثياب . والإسكندرية لها مِنبر .

من ناحية الحجاز القُلزُمُ لها منبر . وأيْلَة لها منبر .

ومن ناحيةِ الصعيدِ القَسّ ، وإليها يُنسب القَسّيّ من الثياب . والصَّفَن ، وإليها تُنسب الأكسية الصفنيّـة الحمرُ . ودَلاصُ لها منبر ، وهي مجمع سَحَرةِ مصرَ . والفَيّوم مدينـةٌ لها منبر تؤدّي كل يوم ألف دينار ، وخلفَ ذلك بوق ، وبهـا تكون معادن الذهب والجواهر والزبرجد .

صفة المسجد الحرام

صَحنُه كبيرٌ واسعٌ ذَرعُـه طولاً من باب بني جُمَح إلى باب بني هاشم الذي يقابل دارَ العبّاس بن عبد المطّلب أربعُمائةِ ذراع وأربعُ أذرعٍ . وذرعُه عرضاً من بابِ الصّفا إلى دارِ النّدوةِ لاصقاً بوجهِ الكعبةِ الشرقيّ ثلثُمائةِ ذراعٍ وأربعُ أذرع .

وله ثلاث بَلاطات مُحدقةٌ به من جهاته كلّهـا ، مُنتظمٌ بعضُها ببعض . وهي داخلة في الذرع الذي ذكرتُ ، فوقَهـا سماواتُها مذَهّبةٌ ، وحافاتُها على عَمَدِ رُخام بِيضٍ عددُها ، في طوله من الشرق إلى الغرب مع وجـه الصّحنِ ، خمسون عموداً ، وفي عرضـه ثلاثون عموداً ، بين كل عَمودين مثلُ عشرِ أذرع .

وجملةُ عَمَدِ المسجدِ أربعمائةٍ وأربعـةٌ وثلاثون عموداً ، طولُ كلّ عمود منهـا عشرُ أذرع ودَوْرُه ثلاثُ أذرع . والمُذهَبةُ من رؤوسِ العَمَد ثلثُمائةٍ وعشرون رأساً .

وسورُ المسجـدِ كلّه من داخلهِ مزخرفٌ بالفُسيفِساءِ . وأبوابُه على عمَد رخامٍ ما بين الأربعةِ إلى الثلاثةِ إلى الاثنينِ ، وهي ثلاثةٌ وعشرون باباً لا غَلَق عليها ، يُصعد عليها في عدةٍ من درج .

صفة الكعبة

وبيتُ اللهِ الحرامُ وَسَطَ المسجدِ ، كان ارتفاعُه في عهدِ إبراهيمَ ، عليه السلام ، فيما يقال ، واللهُ أعلم ، تِسعُ أذرع ، وطولهُ في الأرض ثلاثون ذراعاً ، وعرضُه اثنتان وعشرون ذراعاً . وكان له ثلاثةُ سُقوفٍ ثم بَنَتْه قُريشٌ في الجاهلية فاقتصرَت على قواعدِ إبراهيمَ ورفَعَتْه ثمانيَ عشرةَ ذراعاً ، ونقَصت من طولِه في الأرض ستُّ أذرع وشِبراً تركتْه في الحِجْر ، فلما هدَمه ابنُ الزبيرِ ردَّه على قواعدِ إبراهيمَ ورفعه سبعاً وعشرينَ ذِراعاً ، وفتحَ له بابين : باباً إلى الشرقِ وباباً إلى الغربِ يُدخَلُ من الشرقي ويُخرجُ من الغربي . فكان كذلك حتى قُتل .

فلما تغلّبَ الحجّاجُ على مكةَ استأذن عبدَ الملك بنَ مروان في هَدمِ ما كان ابنُ الزبير زادَه من الحِجْر في الكعبة . فاذن له فردَّه على قواعدِ قريشٍ وسدَّ الباب الغربيَّ ولم يُنقِص من ارتفاعه شيئاً .

فذَرْعُ وجههِ القِبلي ، اليومَ ، من الرُّكنِ الأسود إلى الركنِ اليماني عشرون ذراعاً ، ووجهُه الجنوبيُّ من الركن

العراقيّ إلى الركن الشامي ، وهو الذي يلي الحجر ، إحدى وعشرون ذراعاً . ووجهُه الشرقي من الركن الأسود إلى الركن العراقي خمس وعشرون ذراعاً . ووجهُه الغربي من الركن اليماني إلى الركن الشامي خمس وعشرون ذراعاً .

وحولَ البيت كلّه ، إلا موضعَ الركن الأسود ، درجَة مُجصَّصة، يكون ارتفاعُها عظمَ الذراع في عرض مثله ، وقايةً للبيت من السيل .

وباب البيت في وجهه الشرقي على قدر القامة من الأرض ، طولُه ستُّ أذرع وعشرُ أصابع ، وعرضُه ثلاث أذرع وثماني عشرةَ إصبعاً . والبابانِ من ساجٍ[1] ، غِلظ كلّ باب ثلاثُ أصابع ، ظاهرُهما مُلبّس بالذهب وباطنُهما بالفضّة ، في كلّ باب ستُّ عوارضَ ، ولها عُرْوتانِ يضربُ فيهما قُفلٌ من ذهب وحواجبُه كلها مذهّبة ما عدا الحاجبَ الأيمن ، فإن العلويَّ الثائرَ لما تغلّب على مكة قلعَ ذهبَه فتُرك على حاله .

وتحت العتبة العُليا عَتَبةٌ مذهّبة والبابان من ورائهما ، والعتبة السُّفلى مستورةٌ بالدّيباج إلى الأرض .

وبين الرُّكن الأسودِ والبابِ خمسُ أذرعٍ أو نحوُها ، وهو الملتزَمُ فيما يُذكر عن ابن عباس .

---

١ الساج : شجر عظيم صلب الخشب .

والحجرُ الأسودُ على رأسِ صخرتَين من وجهِ الأرضِ ، قد نُحِتَ من الصخرِ مقدارَ ما أُدخِل فيه الحجرُ وشُقّت الصخرةُ الثالثةُ عليهما مثل إصبعين ، والحجرُ أملسُ مجزَّعٌ حالكُ السوادِ في قَدر الكفِّ المحنيّةِ ، قد لُزَّ من جوانبِه بمساميرِ الفضة . وفيه صدوع[1] ، وفي جانبٍ منه صفيحةُ فضّةٍ تحسبها شظيّةً منه شُظيت فجُبِرت بها . وصخر الركنِ الأسودِ أحرش[2] أكبرُ من صخرِنا قليلاً .

وللبيتِ سقفانِ سقفٌ دونَ سقفٍ ، وفيهما أربع روازن[3] ينفذ بعضها إلى بعضٍ للضوءِ ، وللسقفِ الأسفلِ ثلاثُ جوائزَ من ساجٍ منقّشةٌ مذهّبةٌ . وفي داخل البيتِ في الحائط الغربيِّ، قُبالةَ الباب ، الجَزَعة[4]، على ستّ أذرع من قاع البيت ، وهي سوداء مخطّطة ببياض ،طولها اثنتا عشرة إصبعاً في مثل ذلك، وحولها طَوْقٌ من ذهب عرضُه ثلاثُ أصابع . ذُكر أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم جعلها على حاجبه الأيمن حين صلّى في البيت.

والحِجر بجوفيِّ البيت محجورٌ من الركن العراقيِّ الى الركن الشامي تحجيراً مَحْنياً غيرَ مرتفع. قد انقطع طرفاه دون الركنين

---

١ صدوع ، الواحد صدع : الشق .

٢ احرش : خشن .

٣ الروازن ، الواحدة روزنة : وهي الكوة والنافذة .

٤ الجزعة : خرزة يمانية سوداء وبيضاء .

اللذين يَليانِه بمثلِ ذراعين للدخول والخروج ، يكون ما بين مُوسَطـةِ جنبي التحجيرِ والبيت كما بين الرُكنين ، وارتفاعُ التحجير مثلُ نصفِ قامـة . وهو ملبَّسٌ بالرُخامِ من داخله وخارجِه وأعلاه ، وجُعِل بين كُل رُخامتَين عمودٌ من رَصاص لِزازاً لهما ، وقاعُ الحِجرِ كلُّـه مفروشٌ بالرخام ، ومصبُّ الميزابِ فيه ، وقِبلتُنا إليه .

والميزاب موسَطـةَ أعلى جدار الكعبة خارجاً عنـه مثل أربع أذرع في سعَته ، وارتفاعُ حيطانِه ثماني أصابعَ ، ملبَّس ظاهرُه وباطنُـه بصفائحِ الذهب . والصفائحُ مسمَّرةٌ بمسامير مروَّسةٍ من ذَهب .

والبيتُ كلُّـه مستورٌ إلا الركنَ الأسودَ ، فإن الأستار تُفرَجُ عنه مثلَ القامةِ ونصفٍ ، وإذا دنا وقتُ المَوسِم كُسِيَ القَباطيَّ ، وهو ديباجٌ أبيضُ خُراساني ، فيكونُ بتلك الكسوةِ ما كان الناس مُحرِمين . فإذا حلَّ الناس ، وذلك يومَ النحر ، حلَّ البيتُ ، فكُسي الديباجَ الأحمرَ الخُراساني . وفيه داراتٌ مكتوبٌ فيها حَمد الله وتَسبيحه وتكبيره وتعظيمه ، فيكون كذلك إلى العامِ القابل . ثم يُكسى أيضاً على حالِ ما وصفتُ . فإذا كثرتِ الكُسوة فخُشي على البيتِ من ثِقلِها خُفِّف منها ، فأخذ ذلك سَدَنةُ البيتِ ، وهم بنو شَيبة .

وذكر بعض المصريين أنه حضر كشف البيت سنة خمس وستين فرأى بلاطه الزعفرانَ والثوبان .

وذكر أيضاً عن بعض المكيين حديثاً يرفعونه إلى مشايخهم ، أنهم نظروا إلى الحجر الأسود ، إذ هدم ابنُ الزبير البيتَ وزاد فيه ، فقدّروا طولَه ثلاثَ أذرع ، وهو ناصعُ البياضِ ، فيما ذكروا ، إلا وجهَه الظاهر . واسودادُه فيما ذكروا ، والله أعلم ، لاستلامِ أهلِ الجاهليةِ إياه ، ولطخِه بالدم .

والمَقام بشرقيّ البيتِ على سبعٍ وعشرين ذراعاً منه ، وجهُ المُصلّي خلفَه مستقبلٌ البيت إلى الغربِ ، والركنُ العراقي على يمينه ، والبابُ والركن الأسودُ على يَساره ، وهو فيما ذَكر من رآه حجرٌ غيرُ مرفوع يكون ذراعاً في ذراع ، وفيه أثر قدم إبراهيمَ عليه السلام ، وطولُ القدم مثلُ عظم الذراع .

والحجر موضوع على منبر لئلا يمرّ به السيل ، فإذا كان وقتُ الموسمِ وُضع عليه تابوتُ حديدٍ منقّبٌ لئلا تناله الأيدي.

وحولَ البيتِ كلّه سَوارٍ ستٌّ غِلاظٌ مربّعةٌ من حديدٍ مذهبةٌ ورؤوسُها مذهبةٌ أيضاً ، يوقد عليها بالليل للطائفين ، بينَ كلّ عمودٍ منها والبيتِ نحو ما بين المقام والبيت .

وزمزم بشرقي الركن الأسودِ بينَهما مثلُ الثلاثين ذراعاً . وهي بئر واسعة تَنّورها من حجر مطوقٍ أعلاه بالخشبِ ،

وسقفها قبوٌ مزخرف بالفسيفساء على أربعة أركان ، تحت كل ركن منها عمودا رخام متلاصقان ، قد سُدَّ ما بين كل ركنين منها بشرجب[1] خشب ، وردٌ إلى باب من جهة المشرق. وحول القبو كله رفٌّ مثل البرطلة[2] ، وبشرقي زمزم بيتٌ مقدّر سقفه قبو مزخرف بالفسيفساء أيضاً مقفل عليه ، وشرقيّ هذا البيت بيت كبير مربّع له ثلاثة أقباء ، وفي كل وجه منه باب .

وحمام المسجد كثيرٌ أنيسٌ ، يكاد الإنسان أن يطأه بقدمه لأنسه بالناس ، وهو في لون حمام الأبرجة عندنا إلا أنه أقدرُ منه ، وليس منها حمامة تجلس على البيت ولا تطيرُ عليه . ولقد همّني ذلك فرأيتها حين تكاد أن تحاذي البيت ، وهي مستعلية في طيرانها ذلك ، عكست حتى تصيرَ دونه ، وأخذت عن يمينه أو يساره ، وذرقها ظاهرٌ بارزٌ على البيوت التي في المسجد ، إلا بيتَ الله الحرام ، فإنه نقي ليس فيه ولا عليه منه أثر ، فسبحان معظّمه ومقدّسه ومطهّره وتعالى علوّاً كبيراً .

وبين باب الصفا — وهو بقبليّ البيت — والصفا الشارعُ ، وهو بطن الوادي ، وبعد الشارع فناءٌ غيرُ كبير فيه الباعة ،

---

١ الشرجب : شيء كالحاجز ، والكلمة عامية .

٢ البرطلة : المظلة .

ثم الصفا في أصل جبل أبي قُبيس قد أحدقَ بها البناءُ إلا من الوجه الذي يُرقى اليها منه ، والرُقيّ إليها على ثلاثِ دَرج مبنيةٍ بالصخر . والواقف على الصفا مستقبلُ الجوفِ ينظر إلى البيتِ من بابِ الصفا .

والمَروةُ بشرقيّ المسجد وهي من الصفا بين المشرق والمغرب ، قد أحدق بها البناء أيضاً إلاّ من وجه المُصعدِ إليها ، وهو من أعلى القصور ، بينها وبين المسجد الحرامِ الزقاقُ الضيّقُ ، فالواقفُ على المروة مُستقبلُ البيتِ ، تُجاهَ الفُرجةِ ، يرى الميزابَ وما اتصل به من البيت ، وبين الصفا والمروة شبيهٌ بما بين السّقاية والمَسجدِ الجامع . والساعي بينهما إذا هَبط من الصفا يريدُ المروةَ سلك في الشارع ، وهو بطنُ الوادي ، عن يمينه القصورُ ، وعن يَساره المَسجدُ ، ثمّ يعترضه بطنُ وادٍ إذا انصبّتْ قدماه فيه أرقَلَ[1] حتى يخرج عن آخرهِ ، وله عَلَمان أخضران في جانبي الوادي ، أحدُهما ، وهو الأول ، خلفَ بابِ الصَفا لاصقاً بالسورِ ، والثاني أمامَه بائنٌ عن السورِ ، جُعِلا ليُفهِمَ بهما حدُّ الوادي الذي يُرمِلُ فيه .

ومِنًى قريةٌ بشرقيّ مكة تنحو إلى القِبلة قليلًا ، خارجةٌ عن الحرَم على نحو الفرسخ منها ، وفيها بُنيانٌ وسقايات ،

---

١ أرقل : اسرع .

وأول ما يَلقى منها الخارجُ من مكـةَ إليها جَمرة العقبةِ ثم الجمرتينِ اللتين تُرمَيانِ مع جَمرةِ العقبةِ بعـدَ يومِ النحرِ أيامَ التشريقِ . وبها مَسجدٌ أكبرُ من جامعِ قُرطُبةَ ، وهو مسجدُ الخَيْف ، له مما يلي المِحرابَ أربعُ بَلاطاتٍ معترضةٍ ، سقفُها من جرائدِ النخل ، وعَمَدُها مجصَّصـةٌ ، والمنبرُ عن يَسار المحراب ، والبابُ الذي يَخرُجُ منـه الإمامُ عن يمينِه ، وفي مُوسَطةِ صحنِ المسجدِ منارةٌ ، وفي كل جانب منها سقيفة .

والمُزدلِفة ، وهي المشعرُ الحرامُ بين مِنى وعَرفـة ، وهي من مِنى على نحو الميلين ، ولها مسجد مُصحِرٌ لا بنـاء فيه إلاّ الحائطَ الذي فيه المحراب ، وليس بها ساكن .

وعَرفةُ بشرقيّ مِنى على نحو الفرسخين منها ، ليس بها ساكنٌ ولا بناء إلا سقاياتٍ وقَنَواتٍ يَجري فيها الماء ، وليسَ بمسجدها بنيانٌ إلا الحائطَ الذي فيـه المِحرابُ ، وموقِفُ الناس يومَ عرفةَ بعرفةَ في الجبل وما يليه مما تحتـه ، والجبلُ بين المشرق والجوفِ من مسجدِها ، وفي الموضع الذي يقف فيـه الإمامُ ماءٌ جارٍ . ومحرابُ مِنى وعرفةَ والمزدلِفة إلى نحو المغرب .

صفة مسجد النبي

صلى الله عليه وسلم

بَلاطاتُه في قِبلته معترضةٌ من المشرق إلى المغرب ، في كل صفٍ من صفوف عمَدِها سبعةَ عشرَ عموداً ، ما بينَ كل عمودين منها فجوةٌ كبيرةٌ واسعة ، والعمَدَ التي في البَلاطات القبليةِ بيضٌ مجصّصةٌ شاطّةٌ جداً[1] ، وسائرُ عَمد المسجد رُخام ، والعمد المجصّصة على قواعدَ عظيمةٍ مربعةٍ ورؤوسُها مذهّبةٌ عليها نُجُفٌ[2] منقّشةٌ مذهّبةٌ ، ثم السمواتُ على النجف وهي أيضاً منقّشة مذهبة .

وقبالةَ المحرابِ موسّطةَ البَلاطاتِ[3] ، بلاط مذهب كلُّـهُ شُقّت به البلاطات من الصّحنِ إلى أن ينتهي إلى البلاط الذي بالمحراب ولا يشقّـه ، وفي البلاط الذي يلي المحرابَ تذهيبٌ كثير ، وفي موسطتهِ سماءٌ كالترسِ المقدّرِ مجوّفٍ كالمَحار ، مذهبٍ ، وقد أخذ وجهَ السورِ القبلي من داخل المسجد بإزار رُخام من أساسِه إلى قدر القامةِ منه وكفٌ على الإزار بطوقٍ

---

١ شاطة : عالية مرتفعة .

٢ نجف : لعلها جمع نجيف : السهم العريض النصل ، او جمع نجاف : وهو اسكفة الباب .

٣ موسطة الشيء : ما كان في وسطه .

رُخام في غِلَظ الأصبع ، ثم من فوقه إزارٌ دونَه في العرضِ مخلّق بالخلوق ، ثم فوقَه إزارٌ مثلُ الأولِ فيه أربعةَ عشرَ باباً في صفٍّ من الشرقِ إلى الغرب في تقديرِ كُوى المسجِد الجامع بقُرطُبةَ منقشةٌ مذهبةٌ ، ثم فوقَه إزارُ رُخامٍ أيضاً فيه صنيفةٌ سماويةٌ فيها خمسةُ سطورٍ مكتوبةٍ بالذهب بكِتاب ثخينٍ ، غلظُه قدر أصبعٍ ، من سُور قصارِ المفصّلِ ، ثم فوقَه إزارُ رخام مثلُ الأولِ الأسفلِ ، فيه تِرَسَةٌ من ذهَب منقشةٌ وبين كل تِرسين منها عمود أخضرُ في حافاتِه قضبانٌ من ذهَب ، ثم فوقه إزار رخام فيهِ صنيفةٌ منقشةٌ عرضُها مثل عُظْم الذراعِ ، لها قضبانٌ وأوراقٌ من ذهَب ، ثم فوقه إزارُ فسيفساءَ عريضٌ ، ثم السماواتُ عليه .

والمحراب في مُوسَطة السورِ القبلي ، على قوسِه قُصّةٌ[1] من ذهَب ناتئةٌ غليظةٌ ، في وسطِها مرآةٌ مربعةٌ ذُكِرَ أنها كانت لعائشة رضي الله عنها .

---

١ القصة : الخصلة من الشعر ، والطرّة .

قبو المحراب

مقدّرٌ جداً ، وفيه داراتٌ بعضها مذهّبة وبعضها حُمرٌ وسود ، وتحت القبوِ صنيفةُ ذهبٍ منقّشة ، تحتَها صفائحُ ذهب مثمّنة ، فيها جزَعة في مثل جُمجُمة الصبي الصغير مسمّرة ، ثم تحتها إلى الأرض إزار رُخام مُخلّق بالخَلوقِ[1] ، فيه الوتد الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوكأ عليه في المِحراب الأول ، عند قيامهِ من السجودِ فيما ذُكِرَ . والله أعلم . وعن يمينِ المِحراب بابٌ يَدخلُ منه الإمامُ ويخرُج ، وعن يَساره بابٌ صغير شِطرنجيّ قد سُدّ بعوارضَ من حديد ، وبين هذين البابين والمحراب تمشّى مسطّحٌ لطيف .

والمقصورةُ من السورِ الغربي لاصقةٌ بالباب إلى الفصيل اللاصقِ بالسورِ الشرقي ، ومن هذا الفصيل يُصعد إلى ظهر المسجد ، وهي قديمة مختصرةُ العمل ، لها شرَفاتٌ وأربعةُ أبواب . وخارج المقصورةِ قريباً منها عن يَسار المحراب سَربٌ[2] في الأرض يُهبَط فيه على دَرجٍ فيُفضي منها إلى دار عمرَ بنِ الخطاب رضيَ الله عنه .

---

١ مخلق : مطيب . الخلوق : الطيب .

٢ السرب : الحفير تحت الارض .

والمنبرُ عن يمين المحراب في أول البلاط الثالث من المحراب في روضةٍ مفروشةٍ بالرُخام محجورٍ حولها به. وله درجٌ، وسُمّر في أعلاه لوحٌ لئلا يجلسَ أحد على الدرجة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس عليها ، وهو مختصرٌ ليس فيه من النقوشِ ودقةِ العمل ما في منابر زمانِنا الآن ، والجذعُ أمامَ المنبر ، وبشرقي المنبر تابوتٌ يُستر به مقعدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقبرُه صلواتُ الله عليه وسلامُه ، بشرقي المسجد في آخر سقفِهِ القبلي مما يلي الصحنَ بينه وبينَ السور الشرقي مثلُ عشرِ أذرع ، قد حُظِرَ حولَه بحائطٍ بينَه وبينَ السقفِ مثل ثلاثِ أذرع ، وله ستةُ أركان ، ولُبِّس بإزار رُخامٍ أكثرَ من قامةٍ ، وما فوق الرخام مخلَّق بالخلوق .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما بين قبري ومِنبري روضةٌ من رياضِ الجنة ، ومنبري على تُرعةٍ من تُرَع الجنة .»

وعلى ظهر المسجد ، حِذاءَ القبرِ ، حِجرٌ محجور ، لئلا يُمشى عليه . والبَلاطاتُ الجَوفيّةُ خمسةٌ والغربيّة أربعةٌ ، منتظمٌ بعضُها ببعضٍ في طولِها مع وجهِ الصحنِ من القبلة إلى الجوفِ ثمانيةَ عشرَ عموداً ، وحنايا المسجدِ كلُّها ، مما يلي الصحنَ ، مشدودةٌ من جهاتِها الأربعِ إلى مناكبِ العَمَد من داخِله ،

مزخرفةٌ بخشبٍ منقّشٍ .

وللمسجد ثلاثُ منارات اثنتـان في الجوفِ وواحدةٌ في الشرق ، وحيطانُ المسجد كلّها من داخلِـه مزخرفةٌ بالرخامِ والذهب والفسيفساء أولها وآخرُها ، وله ثمانيةَ عشرَ باباً عُتَبُها مذهبةٌ ، وهي أبوابٌ عظيمةٌ لا غلَـق عليها ، أربعـةٌ منها في الجوف ، وسبعة في الشرق ، وسبعة في الغرب .

وقاعُ المسجد كلّه مفروشٌ بالحَصى وليس له حُصر ، ووجهُ سورِ المسجد كله ، من خارجٍ ، منقّشٌ بالكَذّان[1] ، وكذلك الشَرَفات .

فينبغي للداخل في المسجد أن يأتي الروضة التي قال فيهـا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنها روضةٌ من رياضِ الجنة » فيصلي فيها ركعتين ، ثم يأتيَ قبر النبي صلى الله عليـه وسلم ، من قِبَل وجهِـه فيستدبرَ القِبلةَ ويستقبلَ القبرَ ، ويسلّمَ عليه صلى الله عليه وسلم ، وعلى أبي بكر وعمر ، رضي الله عنهمـا ، ولا يَلصَقَ بالقبر فإنه من فِعل الجُهّال ، وقـد كُرِه ذلك ، فإذا فعلَ ما ذُكرَ استقبلَ القِبلة ودعا بما أمكنه بعـد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . وعرّفنا به ، ورزَقنا شفاعتَـه برحمته ، آمين .

---

[1] الكذان : الحجارة الرخوة النخرة .

صفة مسجد بيت المقدس

وما فيه من آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

طولُ المسجدِ سبعُمائةِ ذراعٍ وأربعٌ وثمانون ذراعاً ، وعرضُه أربعُمائةِ ذراع وخمسٌ وخمسون ذراعاً بذراع الإمام ، ويُسرَجُ في المسجدِ ألفُ قنديلٍ وخمسُمائة قنديلٍ ، وعدّةُ ما فيه من الخشبِ ستةُ آلافِ خشبةٍ وتسعُمائةِ خشبةٍ ، وعددُ ما فيه من الأبوابِ خمسون باباً ، وعددُ ما فيه من العَمَد ستُّمائةٍ وأربعةٌ وثمانون عموداً ، والعَمَدُ ، التي داخلَ الصخرة ، ثلاثون عموداً ، والعَمَد ، التي خارجَ الصخرة ، ثمانيةَ عشرَ عموداً ، وفيه الصخرةُ المُلبسةُ صفائحَ الرصاصِ عليها ثلاثةُ آلافِ صفيحةٍ وثلثُمائةٍ واثنتان وتسعون صفيحةً ، ومن فوقِ ذلك صفائحُ النُّحاسِ مطليةٌ بالذهب يكونُ عليها عشرةُ آلافِ صفيحةٍ ، ومائتان وعشرُ صفائح .

وجميع ما يُسرَج في الصخرة ، من القناديل ، أربعُمائةِ قنديلٍ وأربعةٌ وستون قنديلاً بمعاليقِ النحاسِ وسلاسلِ النُّحاس .

وكان طولُ صخرةِ بيتِ المقدسِ في السماء اثني عشر ميلاً ، وكان أهلُ أريحاء يستظلون بظلها ، وأهل عَمَواس مثل ذلك . وكان عليها ياقوتةٌ حمراءُ تضيء لأهل البلقاء ، وكان يَغزلُ في ضوئِها نِساءُ أهل البلقاء .

وفي المسجد ثلاثُ مقاصيرَ للنساء ، طولُ كل مقصورة ثمانون ذراعا في عرض خمسين ذراعاً ، وفيه من السلاسلِ لتعليقِ القناديل ستمائةِ سلسلةٍ ، طول كل سلسلةٍ ثماني عشْرةَ ذراعاً ، وفيه من غرابيلِ النحاسِ سبعون غِرbالاً ، وفيه من الصَّنوبر التي للقناديل سبعُ صنوبراتٍ ، وفيه من المصاحفِ الجامعةِ سبعون مُصحَفاً ، وفيه من الكبار التي في الورقة منها جلد ستة مصاحفَ على كرامي تجعلُ فيها .

وفيه من المحاريب عشرةٌ ، ومن القِبابِ خمسَ عشرةَ قبةً ، وفيه أربعةٌ وعشرون جُبّاً للماء ، وفيه أربعُ مناورَ للمؤذنين ، وجميعُ سطوحِ المسجد والقبابِ والمناراتِ ملبسةٌ صفائحَ مُذهبة .

وله من الخدم بِعيالاتهم مائتا مملوكٍ وثلاثون مملوكاً ، يقبضون الرزقَ من بيتِ مال المسلمين ، ووظيفتُه في كل شهر من الزيت سبعُمائة قِسْطٍ[1] بالابراهيمي ، وزنُ القِسط رطلٌ ونصفٌ بالكبيرِ ، ووظيفتُه في كل عام من الحُصر ثمانيةُ آلافٍ ، ووظيفته في كل عام من الشُّرافة لفتائل القناديل اثنا عشر ديناراً ، ولزُجاج القناديل ثلاثةٌ وثلاثون ديناراً ، ولصنّاعٍ يعملون في سطوح المسجد في كل عام خمسةَ عشر ديناراً .

[1] القسط : الكوز بلغة أهل الأمصار ، أو هو مكيال قدر نصف صاع .

آثار الانبياء عليهم الصلاة والسلام

بيت المقدس

مَرْبَطُ البُراقِ الذي ركبه النبي صلى الله عليه وسلم تحت رُكن المسجد .

وفي المسجد بابُ داودَ عليه الصلاة والسلام ، وبابُ سليمانَ عليه الصلاة والسلام ، وباب حِطّةَ التي ذكرها الله تعالى في قوله تعالى « وقولوا حِطّة » ، وهي قول لا إله إلا الله ، فقالوا : حنطة ، وهم يسخرون ، فلعنهم الله بكفرِهم ، وباب محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، وباب التوبةِ الذي تاب الله فيه على داودَ ، وباب الرحمةِ التي ذكرها الله تعالى في كتابه « له بابٌ باطنُه فيه الرَّحمة وظاهرُه من قِبَله العذاب » يعني وادي جهنم الذي بشرقيّ بيت المقدس ، وأبوابُ الأسباطِ أسباطِ بني إسرائيل وهي ستة أبواب ، وبابُ الوليدِ ، وبابُ الهاشمي ، وبابُ الخضرِ ، وبابُ السكينة .

وفيه مِحرابُ مريمَ ابنةِ عِمرانَ رضي الله عنها التي كانت الملائكة تأتيها فيه بفاكهة الشتاء في الصيفِ وفاكهةِ الصيفِ في الشتاءِ ، ومحرابُ زكريا الذي بشّرته فيه الملائكة بيحيى ،

وهو قائم يصلّي في المحراب ، ومحرابُ يعقوبَ ، وكرسيُّ سليمان صلواتُ الله عليه الذي كان يدعو الله عليه ، ومغارةُ إبراهيمَ خليل الرحمنِ عليه الصلاة والسلام التي كان يتخلّى فيها للعبادة ، والقُبةُ التي عرج النبي صلى الله عليه وسلم منها إلى السماء ، والقبةُ التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم بالنبيين ، والقبةُ التي كانت السلسلةَ تهبِطُ فيها زمانَ بني اسرائيل للقضاء بينهم ، ومُصلّى جبريلَ عليه السلام ، ومُصلّى الخِضرِ عليه السلام .

فإذا دخلتَ الصخرةَ فصلِّ في أركانِها وصلِّ على البلاطة التي تسامي الصخرةَ ، فإنها على بابٍ من أبواب الجنة .

ومولد عيسى بن مريم على ثلاثة أميالٍ من المسجد . ومسجد إبراهيمَ عليه السلام وقبرُه على ثمانيةَ عشرَ ميلًا من المدينة . ومِحراب المسجد بغربيه .

فضائل بيت المقدس

يُنصَبُ الصِّراطُ ببيتِ المقدس ، ويُؤتى بجهنمَ – نعوذ بالله منها – إلى بيت المقدس ، وتُزَفُّ الجنةُ ، يومَ القيامةِ ، زفّاً مثلَ العروسِ إلى بيتِ المقدس ، وتُزفُّ الكعبةُ بحاجِّها إلى بيتِ المقدس ، ويقال لها : مرحباً بالزائرةِ والمَزورةِ . ويُزفُّ الحجرُ الأسودُ إلى بيت المقدس ، والحجرُ يومئذ أعظم من جبل أبي قبيس .

ومن فضائل بيتِ المقدس ، أن الله رفع نبيَّه صلى الله عليه وسلم إلى السماء من بيتِ المقدس ، ورفعَ عيسى بنَ مريم عليه السلام إلى السماء من بيت المقدس ، ويغلِبُ المسيحُ الدَّجّال على الأرضِ كلِّها إلا بيتَ المقدِس ، وحرَّمَ الله على يأجوجَ ومأجوجَ[1] ان يدخُلوا بيتَ المقدس ، والأنبياءُ كلُّهم من بيتِ المقدس ، والأبدال[2] كلُّهم من بيتِ المقدسِ . وأوصى آدمُ وموسى ويوسفُ وجميعُ أنبياء بني إسرائيل ، صلوات الله عليهم ، أن يُدفنوا ببيت المقدس .

---

١ يأجوج ومأجوج : أمم قيل ان طول واحدهم نصف قامة رجل مربوع ولهم انياب كأنياب السباع ومواضع الاظفار مخالب ولهم هلب عليه شعر .

٢ الأبدال : قوم بهم يقيم الله عز وجل الارض . وهم سبعون ، أربعون بالشام وثلاثون في غيرها ، لا يموت أحدهم الا قام مقامه آخر .

نتف من الاخبار

سليمان بن المُغيرة قال : كنتُ أجدُ من أبي أيوبِ المازنيّ رائحةً طيبةً ليست برائحةِ شرابٍ ولا رائحةِ طيبٍ ، فقلت له : أخبرني عن هذه الرائحـة ، فقال : عَفْصٌ[1] آمر به ، فيُدقُّ ويُنخَلُ ، فألتّه بقطرانٍ شامي ، ثم آخذ منه كلَّ غـداة على إصبعي ، فأدلكُ به أسناني وعُمُورَها[2] ، فتطيبُ نكهتُها ، وتشتدُّ لِثَتُها وعُمورُها .

•

الرّياشي قال : كانوا إذا أرادوا جاريةً مضغَت نصفَ جوزةٍ وأكلتها ، فلا تزال طيّبةَ النّكهةِ سائرَ ليلتها .

•

عبدُ الصمد بنُ همّام قال : كتب عامل عُمان إلى عمرَ بن عبد العزيز : إنا أتينا بساحرة فالقيناها في المـاء ، فطفت على الماء . فكتب إليه : لسنا من الماء في شيء ، إن قامت عليها

---

١ العفص : نتوء يكون على شجرة البلوط .
٢ عمور الأسنان : اللحم الذي بين مغارسها أو اللثة ، الواحد عمر .

بدَنةٌ وإلا خلٌ عنها .

•

وقال رجل للحسن : أبا سعيد ، الملائكة خير أم الأنبياء ؟ فقال : قال الله جل ثناؤه : « قل لا أقول لكم عندي خزائنُ اللهِ ولا أعلمَ الغيبَ ولا أقولُ لكم إنّي ملَك . » وقال : « لن يَستنكفَ المسيحُ أن يكون عبداً لله ولا الملائكةُ المقرّبون . » وقال : « ما نهاكما ربُّكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملَكين أو تكونا من الخالدين . »

•

عن الضحّاك ، قال : مَن سمع الأذان في بيته فقام يصلّي فقد أجاب .

•

العُتبي قال : سمي المحرّم لأنه جُعل حراماً . وصَفرُ لإصفار مكة من أهلها . والربيعان للخِصب فيهما . والجُماديانِ لجمودِ الماء فيهما من شدةِ البردِ . ورَجبٌ لترجيبِ[1] العربِ أسنّتها . وشَعبانُ لانه شَعَبَ[2] بين رجبٍ ورمضان . ورمضانُ

---

١ الترجيب : التعظيم .

٢ شعب : فرّق وفصل .

لإرمـاضِ[1] الأرضِ من الحر . وشوالٌ لأنَّ الإبِلَ شالَتْ[2] بأذنابِها فيه لحملِها . وذو القِعدةِ لقعودهِم فيـه عن الغَزْوِ من أجل الحجّ . وذو الحِجّةِ للحجّ .

•

يونس النحوي ، قال : قال لي رؤبة وأنا اسأله عن الغريب : حتى متى تسألني عن هـذه الأباطيلِ ، وأزوّقها لك ؟ أما ترى الشيبَ قد أخذ في عارضَيكَ ولِحيتك ؟

•

وقال الخليل بن أحمـد : إنك لا تعرفُ خطأ معلّمكَ حتى تجلسَ عندَ غيرِه .

•

الأصمعي ، قال : لا تكون حُطَمة[3] ، حتى يكونَ قبلَها بُرَيق تأتي فتَحطِم .

•

ومن حديث أبي رافع ، عن أبي ذَرّ ، قال قلت : يا رسول الله ، صلى الله عليك ، كم عدد النبيّين ؟ قال : مائـةُ ألفٍ

---

١ الارماض : الاحراق ، واشتداد الحرّ .

٢ شالت : رفعت .

٣ الحطمة : السنة الشديدة .

واربعةٌ وعشرون ألفاً .

•

قَتادة ، قال : طولُ الدنيا مائةُ ألفٍ وأربعــةٌ وعشرون ألفَ فرسَخ .

•

ومن حديث عبد الله بن عمرو ، قال : العرشُ مطوقٌ بحيةٍ ، والوحيُ ينزل في السلاسل .

•

ومن حديث ابن أبي شَيْبة ، أن العبّاس بن عبد المطلب كان أقربَ شحمةِ أذنٍ إلى السمــاء ، وكان إذا طاف بالبيت يُشبَّه بالفُسطاط العظيمِ ، وإذا مشى بين قوم تحسبُه راكباً .

•

ومن حديث عُروة بن الزبير عن عائشة عن النبي صلّى الله عليه وسلم ، قال : خلق الله الملائكــةَ من نُور ، والجانُّ من نار ، وآدمَ من تُراب .

•

وسأل أعرابي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم : متى القيامة ؟ فقال له : وما أعددتَ لها ؟ قال : لا شيء والله غير أني أحبُّ

الله ورسوله . قال : المرء مع من أحب .

•

زياد عن مالك أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال : « إياكم والشِركَ الأصغرَ .» قالوا : وما الشركُ الأصغرُ يا رسول الله ؟ قال : « الرياء . »

•

زياد عن مالك ، قال : إذا لم يكن في الرجل خيرٌ لنفسِه لم يكن فيه خيرٌ لغيرِه ، وإذا رأيت الرجلَ يستحلُّ مالَ عدوِّه ، فلا تأمنْهُ على مال صديقه .

•

وقال بعضُهم : سمعتُ حُذيفة يحلفُ لعثمانَ في شيء بلغَه عنه ما قاله ، ولقد سمعتُه يقوله فسألته عن ذلك ، فقال : يا ابن أخي ، اشتري ديني بعضَه ببعضٍ لئلا يذهبَ كلُّه .

أخذه الشاعر[1] فقال :

نرقّع دنيانا بتَمزيق ديننـا ،
فلا ديننُـا يَبقى ، ولا ما نرقّع

•

---

١ ابراهيم بن أدهم .

زياد عن مالك أن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، قال : « الغَيرةُ من الإيمانِ ، والمِراءُ من النِفاق . »

•

الأصمعي قال : سأل عليّ بن أبي طالب الحسنَ ابنَه رُضوان الله عليهم : كم بين الإيمان واليقين ؟ قال : أربعُ أصابع . قال: وكيفَ ذلك ؟ قال : الإيمان كلُّ ما سَمِعَتْه أذناك وصدّقه قلبُك ، واليقين ما رأته عيناك فأيقن بـه قلبُك ، وليس بين العين والأذنين إلا أربعُ أصابع .

•

الرّياشي قال : ضَرب عليّ كرم الله وجهَه بيده زانيــاً ، فأوجعه إيجاعاً شديداً . فقال له عمُّ المضروب : بعضَ هـذا الضربِ[١] ، فقد قتَلته . فقال عليّ رضي الله عنه : إنه وَتَرَ مَن ولدَها من قِبَل أبيها وأمها من النبيين والصالحين إلى آدم .

قال الرياشي : فكنتُ أعجبُ من شُنعة حدّ الرّجم ، فلما سمعتُ شُنعةَ الذنبِ هان عليّ الحدّ .

•

الأصمعي عن أبي عمرو قال : دمُ الحيض غذاءُ المولود .

•

---

١ بعض هذا الضرب : اي اضربه بعض هذا الضرب أو خفّف .

أقبل أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ينشدُ ضالّة له ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « لا وجدتَها ، لا وجدتَها ، إنما المساجد لما بُنيت له . »

•

الأصمعي عن أبي عمرو قال : أعرقُ الناس في الخلافة عاتكةُ بنتُ يزيدَ بنِ معاويةَ ، أبوها خليفة ، وجدُّها خليفة ، وأخوها معاوية بن يزيدَ خليفة ، وزوجها عبدُ الملك بن مروان خليفة ، وولدُها يزيد بن عبد الملك خليفة ، وأربابُها الوليد وسليمان وهشام خلفاء .

•

أنس بن مالك قال : أمّنَ النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم الناسَ يومَ فتح مكةَ إلا أربعةً ، فإنه قال : اقتلوهم وإن وجدتموهم معلّقين بأستارِ الكعبة ، وهم عبدُ العزّى بن يزيدَ بنِ خطَل ، ومِقْيَس بن صُبابَة الكِندي ، وعبدُ الله بن أبي سَرحٍ ، وأم سارةَ . فأما عبد العزّى فإنه قُتِل وهو معلّقٌ بأستار الكعبة . وأما عبدُ الله بن أبي سرحٍ فإنه كان أخا عثمانَ ابنِ عفّانَ من الرضاعة ، فأتى به النبيَّ صلى الله عليه وسلم فبايعهُ وشفعَ له عنده . وأما مِقْيس ، فإنه كان له أخٌ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقُتِل خطأً ، فبعثَ معه رسولُ الله صلى الله

عليه وسلم رجلاً من بني فِهرٍ ، ليأخذَ له عقْله من الأنصارِ ، فلما اجتمعَ له العقلُ أخذَهُ وانصرفَ مع الفِهري ، فنام الفِهري في بعض الطريق فوثب عليه مِقْيَس فقتله ، ثم أقبل وهو يقول :

شَفَى النفسَ مَن قد بات بالقاع مُسنَداً ،
يضرّجُ ثوبَيه دماءُ الأخادعِ [1]

قتلتُ به فِهراً ، وأغرمتُ عقلَه
سَراةَ بني النجّار ، أربابَ فارعِ [2]

حَللتُ به نَذري ، وأدركتُ ثُؤرتي ،
وكنتُ ، إلى الأوثار ، أولَ راجعِ [3]

وأما أمُّ سارَة فإنها كانت مولاةً لقريش فأتت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم واشتكت إليه الحاجةَ ، فأعطاها شيئاً ، ثم أتاها رجلٌ فبعث معها كتاباً إلى أهلِ مكة يتقرّبُ به إليهم ليُحفَظ في عياله ، وكان عيالهُ بمكة ، فأخبر جبريلُ النبيَّ صلى

١ شفى ، مسهّل شفاً : أبغض . الاخادع ، الواحد اخدع ، وهما اخدعان : عرقان في صفحتي العنق قد خفيا وبطنا .
٢ فارع : حصن بالمدينة .
٣ الثؤرة : الثأر .

الله عليه وسلم ، فبعث النبيُّ صلى الله عليه وسلم في إثرِها عمرَ ابن الخطاب وعليّ بن أبي طالب فلحقاها ، ففتّشاها فلم يقدرا على شيء ، فأقبلا راجعين .

ثم قال أحدُهما لصاحبِه : والله ما كَذَبنا ولا كُذِبنا ، ارجِعْ بنا إليها . فرجَعا إليها ، فسلاّ سيفيهما ، ثم قالا : لتدفَعِنّ إلينا الكتابَ أو لنُذيقنّك الموت .

فأنكرته ، ثم قالت : أدفعُه إليكما على أن لا تؤدّياني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقبلا منها ذلك ، فحلّت عِقاص رأسِها ، وأخرجت الكتاب من قَرن مِن قرونها ، فرجَعا بالكتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فدفعاه إليه ، فدعا الرّجلَ وقال له : ما هذا الكتاب ؟

فقال له : أخبرُكَ يا رسولَ الله ، إنّه ليس ممّن معَك أحدٌ إلا وله بمكة من يحفظُه في عياله غيري ، فكتبتُ بهذا الكتاب ليكافئوني في عيالي .

فأنزل الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتّخذوا عدوّي وعدوّكم أولياءَ تُلقون إليهم بالمودّة . »

•

أمر المُصعبُ بنُ الزبير رجلًا من بني أسد بن خُزيمة بقتلِ مُرّةَ بنِ محكانَ السعدي ، فقال مُرّة :

بني أسد ، إن تقتلوني تُحاربوا
تميماً ، إذا الحربُ العَوانُ اشمعلّتِ[1]

ولستُ ، وإن كانت إليّ حبيبةً ،
بباكٍ على الدُّنيا ، إذا ما تولّتِ

•

وكان ابنُ سعد الأسدي قد تولّى صدَقات الأعراب لعُمر ابن عبد العزيز وأعطياتهم ، فقال فيه جريرٌ يشكو عمر :

حَرمتَ عيالاً لا فواكهَ عندَهم ،
وعند ابن سعدٍ سُكّرٌ وزَبيبُ

وقد كان ظنّي بابنِ سعدٍ سعادةً ،
وما الظنُّ إلا مُخطئٌ ومُصيبُ

فإن تَرْجِعوا رِزقي إليّ ، فإنّه
مَتاعُ ليالٍ ، والأداهُ قريبُ

تُحَيّا العظامُ الراجفاتُ من البِلى ،
وليس لداء الرُّكبتين طبيبُ

•

١ العوان : التي حورب فيها مرة بعد مرة . اشمعلت : تفرقت وانتشرت .

لما توجهَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى تَبوك كان أبو خَيْثمةَ فيمن تخلّف عنه ، فأقبل ، وكانت له امرأتان ، وقد أعدّت كلٌّ واحدة منهما من طيّبِ ثمر بُستانها ، ومَهّدت له في ظِلٍّ حائطٍ . فقال : أظِلٌّ ممدودٌ ، وثَمرةٌ رطبةٌ طيبة ، وماءٌ باردٌ ، وامرأةٌ حسناءُ ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، في الضِّحِّ والرِّيحِ ، ما هذا بخير . ثم ركب ناقته ومضى في إثره. فقالوا : يا رسول الله ، نرى رجلاً يَرفعهُ الآل[1] ، فقال : كُنْ أبا خَيْثمة . فكانَهُ .

الضِّحّ : الشمس ، تقول العرب في أمثالها : « جاء فلان بالضِّحّ والريح » ، إذا أقبل بخير كثير .

---

١ يرفعه الآل: اي يربه ، يظهره . الآل: ما يشاهد في الضحى كالماء بين الارض والسماء يرفع الشخوص .

تتف من الطب

قال عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه : « لا تزالون أصحّاءَ ما نَزعتم ونَزوتم . » يريد ما نزعتم عن القسي ، ونزوتم على ظهور الخيل ، وإنما أراد الحركة والله أعلم ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « سافروا تَصِحّوا . »

•

وقال بعض الحكماء : لا ينبغي للعاقل أن يُخلي نفسَه من ثلاثٍ في غير إفراط : الأكل ، والمشي ، والجماع . فأما الأكل فإن الأمعاء تَضيق لتَرْكِه . وأما المشي فإن من لم يتعاهده أوشك أن يطلبه فلا يجده . وأما الجماع فإنه كالبئر ، إن نُزِحت جَمّت ، وإن تُركت تَخثّر ماؤها[1] ، وحقُّ هذا كلّه القصدُ فيه .

•

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من استقلّ برأيه فلا يتداوى . فربَّ دواء يورث الدّاء . »

•

---

١ جت : كثر ماؤها . الخثورة : نقيض الرقة .

وقال الحكماء : إياك وشربَ الدواء ما حملَتْك الصحة .

•

وقالوا : مثَلُ الدواء في البدنِ مثلُ الصابون في الثوب ، ينقّيه ويُخْلِقُه .

•

الأصمعي عن رجل عن عمّه قال : لقيتُ طبيبَ كِسرى شيخاً كبيراً قد شدّ حاجبيه بخِرقةٍ ، فسألته عن دواء المَشي[1] ، فقال : سَهمٌ يُرمى به في جوفِك أصابَ أم أخطأ .

•

وفي كتاب التفصيل للهند : الدواءُ من فوقُ والدواءُ من تحتُ ، والدواءُ لا من فوقُ ولا من تحتُ .

تفسيره : من كان داؤه فوق سُرّتهِ سُقي الدواء ، ومن كان داؤه تحتَ سُرّتهِ حُقِنَ بالدواءِ ، ومن لم يكن له داءٌ لا مِن فوقُ ولا من تحتُ لم يُسقَ الدواءَ ولم يُحقَن به .

•

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأسماء بنت عُميس : بِمَ كنتِ تَستَمشين في الجاهلية ؟ قالت : بالشُّبرُم[2] . قال : حارٌّ

---

١ المشي : استطلاق البطن .

٢ الشبرم : نبات له حب كالعدس واوراقه تشبه الطرخون .

بارٌ . ثم قالت : استمشيتُ بالسَّنا[1] . قال : لو أن شيئاً يرد القدرَ لردَّه السَّنا .

●

ومن حديث أبي هُريرة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج عليهم ، وهم يتذاكرون الكَمأةَ ، ويقولون فيها : جُدريّ الأرض ، فقال : إن الكمأة من المَنّ ، وماؤها شفاءٌ للعينِ ، وهي شفاء من السُّمّ .

●

وأهدى تميمٌ الداريّ إلى النبي صلى الله عليه وسلم زبيباً ، فلما وضعه بين يديه قال لأصحابه : « كُلوا فنعمَ الطعام الزّبيبُ ، يُذهِبُ النَصبَ ، ويشدُّ العصبَ ، ويطفىء الغضبَ ، ويُصفّي اللونَ ، ويُطيّبُ النّكهةَ ، ويُرضي الرب . »

●

وقال طلحة بن عبد الله : دخلتُ على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس في جماعة من أصحابِه ، وفي يده سَفرجلةٌ يقلّبها ، فلما جلستُ إليه دَحرجَ بها نحوي ، وقال : « دونكها أبا محمد ، فإنها تشدُّ القلبَ ، وتُطيّب النفسَ ، وتذهب

---

[1] السنا : نبات كأنه الحناء زهره الى الزرقة واجوده الحجازي ويعرف بسنا مكة وهو مسهل .

بطَخاء الصدر[1] . »

•

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أربع من النُّشَر[2] : شُربُ العسلِ نُشرةٌ ، والنظرُ الى الماء نشرة ، والنظرُ الى الخُضرة نشرة ، والنظرُ إلى الوجهِ الحسن نشرةٌ . »

•

وقال عثمان بن عفّان : سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من بلغ الخمسين أمِنَ الأدواءَ الثلاثةَ : الجنونَ ، والجُذامَ ، والبرصَ . »

•

ومن حديث زيد بن أسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ما أنزلَ الله من داءٍ إلا أنزل له دواءً ، علِمَه من علِمَه وجَهِلَه من جَهِلَه . »

•

ومن حديث أبي سعيد الخُدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أنزل الدواءَ الذي أنزل الداء . »

•

ومن حديث زيد بن أسلم أن رجلاً أصابه جرحٌ في بعض

---

١ الطخاء : الثقل والكرب .
٢ النشرة : ضرب من الرقية والعلاج .

مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا له رجلين من بني أنمار ، فقال : أيُّكما أطبُّ ؟ فقال له رجل من أصحابه : في الطبِّ خيرٌ ؟ قال : « إن الذي أنزل الداء أنزل الدواء . »

•

وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « عليكم بهذا العودِ الهنديّ ، فإن فيه سبعةَ اشفيةٍ يُسعَطُ به من العُذْرة[1] ، ويُلَدُّ[2] به من ذات الجنب . »

يريد القُسْط الهندي ، وهو الذي تسميه العامة الكُسْت .

•

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « عليكم بهذه الحبّةِ السوداءِ ؛ فإن فيها دواءً من كل داء إلا السامَ » يعني الشُّونيز.

•

وفي مُسنَد ابن ابي شَيبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم بالإثمِدِ عندَ النوم فإنه يُحِدّ البصرَ ، ويُنبِت الشعرَ . »

وفيه : أن عبد الله بن مسعود قال : عليكم بالشفاءين : القرآنِ والعسلِ .

•

---

١ العذرة : داء في الحلق .

٢ لده : سقاه اللدود ، هو ما يصب من الدواء بمسعط في أحد شقي الفم .

الأصمعي قال : ثلاث ربما صرعت أهلَ البيت عن آخرهم : الجَرادُ ، ولحومُ الإبل ، والفُطُر ، وهو الفَقْع .

•

ويقولُ أهلُ الطب : إن أردأ الفُطُرِ ما ينبتُ في ظلالِ الشجرِ ، ولا سيما في ظلال الزيتون ، فإنه قتّال .

•

وقال وهب بن مُنبّه : إذا صام الرجلُ زاغ بصرُه ، فإذا أفطرَ على الحَلوى رَجع إليه بصرُه .

•

وأقبل رجل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسولَ الله ، إني كنت في الجاهلية ذا فِطنةٍ وذا ذِهن ، وأنكرتُ نفسي في الإسلام . فقال له : أكنت تنامُ في القائلة ؟ قال : نعم . قال : « فعُد إلى ما كنت عليه من نومِ القائلة . »

•

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالشجرةِ التي كلّم الله منها موسى بن عِمران ، زيتِ الزيتونِ فادّهنوا به ، فإن فيه شفاءً من الباسور . »

وقال : في الزيتونة يقول الله : « وشجرةً تخرجُ من طُور

سَيْناءَ تَنبُتُ بالدُّهنِ وصِبْغٍ للآكِلين . »

•

ويقول الأطباءُ : إذا خرجَ الطعامُ من قبلِ ستّ ساعاتٍ فهو من ضَرر ، وإذا أقام في الجوفِ أكثرَ من أربعٍ وعشرين ساعة فهو من ضَرر .

•

دخل المُغيرة بنُ شعبة على معاوية ، فقال له معاوية : أنكرتُ من نفسي خَصلتين : قلّ طُعمي[1] ، ورقّ عظمي . فإن تدثّرتُ بالثقيلِ أثقلني ، وإن تدثّرتُ بالخفيف أصابني البرد .

قال : نم يا أمير المؤمنين بين جاريتين سمينتين تُدفئانِك بشحُومِهما ، وتحمِلانِ عنك ثِقَل الدثار بمناكبِهما . وأكثِرْ من الألوانِ ، وكُل من كلّ لونٍ ولو لُقمة ، فإنّ ذلك إذا اجتمَع كثيرُه نفَع .

فدخل عليه بعدَ ذلك فقال له معاويةُ : يا أعورُ ، قد جرّبنا ما قلتَ فوجدناه موافقاً .

---

١ الطعم : الطعام .

التعويذ والرقي

عن أبي عِصمة قال : سألتُ سعيد بن المسيِّب عن تعليق التعويذ ، قال : لا بأسَ به .

•

وكان مجاهدٌ يكتبُ للصبيان التعويذَ ويعلّقه عليهم .

•

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من قال إذا أصبح : أعوذُ بكلماتِ اللهِ التّامّةِ ، من كلّ عينٍ لامّـةٍ ، ومن كل شيطان وهامّةٍ ، لم يضرّه عينٌ ولا حيّةٌ ولا عقربٌ .

•

وفي مُسند ابن أبي شيبة أن خالدَ بنَ الوليد كان يفزَعُ في نومه ، فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : « أخبَرَني جبريلُ أن عِفريتاً من الجِنّ يَكيدُك ، فقل : أعوذُ بكلماتِ الله التامّات المباركات التي لا يجاوزهنّ بَرّ ولا فاجرٌ من شرّ ما يَنزلُ من السماءِ ، وما يُعرّجُ فيها ، ومن شرّ ما

ذرأ[1] في الأرضِ وما يخرجُ منهـا ، ومن شرّ كل ذي شر . »
فقالمن خالد ، فذهب ذلك عنه .

•

وفي مسند ابن أبي شيبة أن النبيّ صلى الله عليه وسلم بينا هو يصلي ذات ليلةٍ إذ وضع يدَه على الأرض فلدَغَتـه عقربٌ ، فتناول نعلَه فقتَلها ، فلما انصرفَ قال : « لعنَ الله العقرب ، ما تدعُ نبياً ولا غيرَه . » ثم دعا بماءٍ وملِح ، فجعلَـه في إناءٍ ثم صبَّ على أصبعه منه ، ومسحَها وعوّذها بالمعوّذتين .

•

وفي مُسند ابن أبي شَيبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا رُقيةَ إلا من عينٍ أو حُمَة . » والحمة : السم .

•

سفيان بن عُيينة قال : بينا عبد الله بن مسعود جالساً تُعرَض عليه المصاحف ، إذ أقبلت أعرابيـةٌ فقالت : أبا فلان ، لرجل جالسٍ إليه لقـد لُدغ مُهرُكِ ، وتركتُهُ كأنه يدورُ في فَلكٍ ، فقم فاسترقِ له .

فقال له ابن مسعـود : لا تسترقِ له ، واذهب فانفثْ في

---

[1] الذرء : الخلق .

مِنخَرِه الأيمن أربعاً وفي الأيسر ثلاثاً ، وقل أذهِب البأسَ ، يا ربَّ الناسِ ، فإنه لا يُذهِبه إلا أنت .

ففعل ، فلم يبرح حتى أكلَ وشرِب وبالَ وراث .

•

دخل أبو بكر على عائشة وهي تشتكي ، ويهوديةٌ ترقيها ، فقال لها : ارقيها بكتاب الله .

•

الحجامة والكي

قال عبد الله بنُ عباس : احتجمَ النبي صلى الله عليه وسلم في رأسه من أذًى كان به .

•

وفي مُسند ابن أبي شَيبة أن عُيينةَ بن حصْنٍ دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يُحجَمُ في فأسِ رأسه ، فقال : ما هذا ؟ قال : « هذا خير ما تداويتم به . »

•

وفي مسند ابن أبي شيبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خيرُ ما تداويتم به الحِجامةُ والقُسْطُ العربيّ[1] ، ولا تعذّبوا صِبيانكم بالغَمز من العُذرة[2] . »

وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خيرُ يومٍ تحتجمون فيه سبعةَ عشرَ ، وتسعةَ عشرَ ، وأحدٌ وعشرون .

وفيه أنه قال : « إن كان في شيء مما تعالجون به خيرٌ ففي شَرطةٍ من مِحْجم ، أو لَذعة من نار توافِقُ ألماً ، أو شَربةٍ من عَسل ، وما أُحِبُّ أن أكتوي . »

---

١ القسط العربي : من توابل القدماء .
٢ العذرة : داء في الحلق .

السم والسحر

في مسند ابن أبي شيبة أن يهود خيبر أهـدوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاةً مسمومـة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اجمعوا لي مَن هاهنا من اليهود . » فجمعوا له ، فقال لهم : هل جعلتم في هذه الشاةِ سُمّـاً ؟ قالوا : نعم . قال : ما حَملكم على ذلك ؟ قالوا : أردنا إن كنتَ كاذباً أن نَستريحَ منك ، وإن كنتَ نبياً لم يَضُرك السم .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مـا زالت أكلةُ خيبرَ تُعادُني[1] ، فهذا أوانَ قطَعتْ أبهَري[2] . »

الزهري قال : أهدي لأبي بكر طعامٌ ، وعندَهُ الحارث بن كَلَدة طبيبُ العرب ، فأكلا منه ، فقال الحارث لأبي بكر : لقد أكلنا والله في هذا الطعام سُمّ سنة ، وإني وإياك لميّتانِ عندَ رأسِ الحولِ ، فماتا جميعاً عند انقضاء السنة .

•

وفي مُسند ابن أبي شيبة أن رجلاً من اليهود سحرَ النبي

---

١ تعادني : تراجعني ويعاودني ألم سمها .

٢ الأبهر : وريد العنق .

صلى الله عليه وسلم ، فاشتكى لذلك أياماً ، فأتاه جبريل فقال له : إن رجلاً من اليهودِ سحرَك ، عقدَ لك عُقَداً وجعلها في مكان كذا وكذا . فأرسل علياً رضي الله عنه فاستخرجها ، وجاء بها ، فجعل يحلها ، فكلما حلّ عُقدة وجد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خِفّة ، ثم قامَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، كأنما أنشِط من عِقال[1] .

•

وفي مُسند ابن أبي شَيبة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه قال : « طُبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم – والطّبّ : السحر – فبعث إلى رجل فرقاه . »

---

[1] أنشط : حلّ .

العين

تقول العرب : رجل مَعِين ، إذا أخذ بالعين .

•

وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : لو سبق القدرَ شيءٌ لسبقَتْه العينُ .

•

وتقول العرب : إن العين تُسرِعُ بالإبل إلى أوصامها[1] ، وبالرجال إلى أسقامِها .

•

ونظر عامر بن أبي ربيعة إلى سهل بن حُنيف يستحم ، فقال : ما رأيت كاليوم ولا جِلدَ مخبّأةٍ[2] . قال : فلُبِط به[3] ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عامر بن أبي ربيعة أن يتوضأ له ثم يطهره بمائه ، ففعل ، فقام سهل بن حنيف كأنما أُنشط من عِقال .

•

---

١ الوصم : المرض .
٢ ولا جلد مخبأةٍ : يريد ان جلده يفضل جلد المرأة المخبأة بنعومته وجماله .
٣ لبط به : صرع من عين أو حمى .

أبيات في الطب

وجدناها في كتاب فرج بن سلام

النافجـاء بشيرَجٍ ملتوت،
فيـه شفاء للرياح يميت[1]

يُغلى لذلك حُلبَةٌ في مائها،
تَسقيه مصطبحاً، وحين يبيت[2]

•

وقال:

ليس شيء أنفى عن الجسم للرّيح
مـن الأنجـدان والمَحروث[3]

•

---

١ النافجاء: لعلها من انواع النبات، او من النافجة، الجلدة التي يجتمع فيها المسك.
الشيرج: ما نسميه السيرج.
٢ الحلبة: نبت له حب اصفر.
٣ المحروث: أصل الأنجدان، نبات يطرد الريح ويقال له ايضاً الحلتيت.

وقال :

في الحُرْف سبعونَ دواءٌ ، وفي
الكمّونِ ، فيما قيل ، ستّونا[1]

قد قاله هِرْمِسُ في كُتْبِهِ ،
فلا تَدَعْ حُرْفاً وكَمّونا[2]

•

وقال :

بسَعترٍ بَرّيٍ داوِ كُلَّ مُبَلْغَمٍ ،
وذا المِرّةِ الصفراء بالرازيانقِ[3]

وذو المِرّةِ السوداء ذاكَ علاجُه ،
تعاهُدُ فَصْدِ العِرقِ من كفِّ حاذقِ

وذو الدم ، فليُكثِرْ ، لذاك ، حِجامةً ،
فما غيرُها شيءٌ له بمُوافقِ

•

---

١ الحرف : حب الرشاد .

٢ هرمس : رياضي وفلكي وفيلسوف مشهور من مدرسة الاسكندرية ، ولد سنة ٢٧٦ ق. م ومات جوعاً .

٣ الرازيانق ، هو الرازيانج : اليانسون .

وقال :

لا تكن عند أكل سُخن وبُهرٍ
ودخول الحمّام تَشربُ ماءَ[1]

فإذا ما اجتنبت ذلك منه ،
لم تخفْ ما حييت ، في الجوف ، داءَ

•

وقال :

إن أردت الرُّقادَ في الليل ، فاجعل
قُطنةً عندها على الأذنين

فبه تظهر السلامة للأذنين ،
مما يضر بالعينين

•

وقال :

لا تَشربِ الماء بعدَ النومِ من ظمأ ،
ولا تَبِت ، أبداً ، من غير منتفضِ[2]

---

١ البهر : التعب ، الاعياء .

٢ اراد بالانتفاض : اخراج الريح من البطن .

فجوفُ من بات من ماء ، ومن ثقَلٍ ،
ومن رياحٍ ، دعـا كـُلّاً إلى مرضِ

•

وقال :

أحسُ ، في الحمّام ، ماءً سُخُنـاً ،
وليكـن ذلك في البيتِ السُخُنْ

يسلم البطـنُ من الداءِ ، ولا
يَعتريه وجعٌ طـولَ الزمن

•

وقال :

إن دخلتَ الحمّام ، فاضرب على رأسِك
بالمـاء السُخنِ سبـعَ مرارِ

فبـه تظهر السلامـة ، من
كل صُداعٍ ، بقُـدرةِ الجبّـار

•

وقال :

لا تُجامِـع ، ولا تَمطّى ، ولا تدخل ،
إذا مـا شبعتَ ، في الحمامِ

فهو دفعٌ لكل ما يتّقيه المرءُ
من فالجٍ وكلِّ سقامِ

•

وقال :

ما كان في الرأس أخرجه بغرغرةٍ،
فالقيء يُخرجُ ما في الصدر من عفنِ

وكلُّ ما كان في صُلبٍ ، فذلك لا
يُستلُّ إلا باخلاط من الحُقنِ

•

وقال :

على الرّيقِ في البرد احسُ ماءً مسخّناً ،
وفي الصيف ماءً بارداً ، حينَ تُصبح

وذلك فيما قيلَ فيه مَصحّةٌ ؛
وذاك على إدمانه الجسمُ يَصلُح

•

وقال :

إنَّ مَن باكرَ الغداةَ ، وبعدَ
العَصرِ ، منه تعاهدٌ للعشاء

فبإذن الإله يبقى صحيحاً،
سالماً، في الحياة، من كلّ داء

•

وقال:

إنّ رأسَ الطبِّ أن تَد
لُكَ بالزّنبقِ دَلْكا

باطنيْ رجليك عند النومِ،
ينفي السُّقمَ عنكا

•

وقال:

شجر البراغيثِ الكريهِ مَشمُّهُ،
يُبري بإذن الله من داء الحبَنْ[1]

•

وقال:

إنّ السواكَ لَيستحبُّ لِسُنّةٍ،
ولأنه مما يَطيب به الفَمُ

---

١ الحبن: داء في البطن يعظم منه ويرم.

لم تخشَ من حفَر ، إذا أدمنتَـه ،
وبه يسيل من اللهاة البلغَم[1]

•

وقال :

احتجم بينَ كلّ شهرين ، ولتُلفَ
على أثرةٍ مـن الأيام[2]

سبعةٌ منـكَ للزّبيب بلا عَجَمٍ ،
تُبَـدّيه قبل كل طَعـام[3]

فهو للعينِ ، وللّهـاةِ ، وللحلْق
أمـانٌ له مـن الأسقـام

•

وقال :

ولا تُغطّ الرأسَ في وقت ما
تخرُجُ من الحمّامِ ، واخشَ الضرَرَ

إنّ بخارَ الرأسِ في وقت مـا
وصفتُـه ، داءٌ يصيب البَصر

•

---

١ الحفر : سلاق في أصول الأسنان أو صفرة تعلوها .
٢ الأثرة : اختصاص المرء نفسه بأحسن الأشيـاء ، والأصل بفتح الثاء ، وسكن للشعر .
٣ العجم : البزر ، والأصل بفتح العين ، وسكن للشعر .

وقال :

السمكُ المالحُ ، إن لم يكن
بدٌّ من الأكل له ، فانعم

بالطبّخِ أكثرْ زيتَه ثم كل ،
من قبلُ ، مأدوماً من المطعم

•

وقال :

اطلِ منكَ الشعرَ في
كلّ أربعاً لا تدورْ

وليكن غسلُك بالباردِ
منه ، والطّهور

إنه يَزْعَرُ منه
شَعرُ الجسم الكثير[1]

إنني طَبٌّ بما
يجهلُه الناسُ ، خَبير[2]

---

١ يزعر : يقلّ .
٢ الطب : الخبير بالشيء العالم به .

الهدايا

كتب سعيد بن حُميد إلى بعض أهل السلطان في يوم النَّيروز :

أيُّها السيِّد الشريفُ ، عشتَ أطولَ الأعمار ، بزيادةٍ من العمر ، موصولة بقرائنها من الشكرِ ، لا ينقضي حقُّ نعمةٍ حتى تجدِّد لك أخرى ، ولا يمرُّ بك يوم إلاّ كان مقصّراً عما بعده، موفياً على ما قبله . إنّي تصفّحتُ أحوالَ الأتباعِ الذين تجب عليهم الهدايا إلى السادة ، فالتمست التأسّيَ بهم في الإهداء ، وإنْ قصّرت بي الحالُ عن الواجب ، وإني وإن أهديتُ نفسي فهي ملكٌ لك ، لا حظّ فيها لغيرك ، ورميتُ بطَرفي إلى كرائم مالي ، فوجدتها منك . فكنت إن أهديتُ منها شيئاً كمهدي مالِكَ إليك ، وفزعتُ إلى مودتي ، فوجدتُها خالصةً لك قديمةً غيرَ مستحدثة ، فرأيت إنْ جعلتُها هديّتي لم أجدِّد لهذا اليوم الجديد بِرّاً ولا لَطَفا ، ولم أميِّز منزلة من الشكر بمنزلة من نعمتك ، إلاّ كان الشكرُ مقصّراً عن الحقّ والنعمة زائدةً على ما تبلغه الطاقة ، فجعلت الاعترافَ بالتقصيرِ عن حقِّك هديةً إليك والإقرارَ بما يجب لك بِرّاً أتوصّل به إليك ، وقلت في ذلك :

إن أُهدِ مالاً ، فهو واهبُه ،
وهو الحقيقُ عليه بالشكرِ

أو أُهدِ شكراً ، فهو مُرتهن
بجميل فِعلِك آخر الدهرِ

والشمس تستغني ، إذا طلعت ،
أن تستضيء بسُنّة البدرِ[1]

•

وكتب بعض الكتّاب إلى بعض الملوك :

النّفسُ لك ، والمالُ منك ، والرجاء موقوفٌ عليك ، والأمَلُ مصروف نحوَك ، فما عسى أن أهدي إليك في هذا اليوم ، وهو يومٌ سهّلَتْ فيه العادةُ سبيلَ الهدايا للسّادة ، وكرهت أن نُخليه من سُنّته ، فنكونَ من المقصّرين ، أو أن ندّعي أنّ في وسعنا ما يفي بحقّك علينا ، فنكونَ من الكاذبين ، فاقتصَرنا على هدية تقضي بعضَ الحق ، وتنفي بعض الحِقد ، وتقومُ عندكَ مقامَ أجملِ البِر . ولا زلتَ أيُّها الأميرُ دائمَ السرور والغِبطة ، في أتمّ أحوال العافية ، وأعلى منازلِ الكرامةِ ، تمرُّ بك الأعيادُ الصالحةُ ، والأيامُ المفرحةُ ، فتُخلِقها

١ السنة : الوجه ، أو دائرته .

وأنت جديدٌ ، تستقبلُ أمثالها ، فتلقاك ببهائها وجمالها . وقد بعثت الرّسول بالسّكّر لطيبه وحلاوته ، والسّفرجل لفأله وبركته ، والدرهم لبقائه عند كل مَن ملكه ، ولا زلتَ حلو المذاق على أوليائك ، مرّاً على أعدائك ، متقدّماً عند خلفاء الله الذينَ تليقُ بهم خدمتُك وتحسُن أفنيتُهم بمثلك . وقد جمعنا في هذه القصيدة ثناءً ومسرّةً واعتذاراً وتهنئة ، وهي :

غادِ في المِهرجانِ كأساً شمولا ،
وأطِعني ، ولا تُطيعَنْ عَذُولا

فهْو يومٌ ، قد كان آباؤك
الغرُّ يُجِلّونه محلاً جليلا

إنّ للصّيف دولةً قد تقضّت ،
وأراك الشتاءُ وجهاً جميلا

وتجلّت لك الرياضُ عن النّور ،
فكانت من كلّ شيءٍ بَديلا

فتمتّعْ باللهو ، لا زلت جذلانَ ،
وطَرفُ الزمان عنك كليلا

لم أجد لي هديةً ، حين حصّلتُ
كثيراً ملكتُه ، وقليلا

يعدِل الشُكرَ والثنـاءَ ، وإن لم
يكُ شكري ، لمـا أتيتَ ، عديلا

فجعلتُ ، الذي أُطيقُ من الشكرِ
على مـا عجزتُ عنـه ، دليلا

يا لهـا من هديةٍ تُقنِـعُ المُهْدَى
إليـه ، ولا تُعنّي الرسولا

•

وكتب بعض الشعراء إلى بعض أهل السلطان في المِهرجان :
هذه أيامٌ جرت فيها العادة ، بإلطاف العبيـدِ للسادةِ ، وإن
كانت الصّناعة تقصّر عما تبلغُه الهمّـة ، فكرِهتُ أن أهديَ
فلا أبلغَ مقدارَ الواجب ، فجعلت هديتي هذه الأبيات ، وهي :

ولمـا أن رأيتُ ذوي التّصافي ،
تبارَوْا في هَـدايا المِهْرجانِ

جعلتُ هديتي وُدّاً مُقيمـاً
على مرّ الحوادثِ ، والزمـانِ

وعبداً ، حين تُكرِمُـه ، ذليلاً ،
ولكن لا يَقَـرُّ على الهوان[1]

---

١ يقر : يقيم .

يَزيدُك حينَ تُعطيه خُضوعاً ،
ويَرضى من نَوالِك بالأماني

•

وأهدى أبو العتاهية إلى بعض الملوك نعلاً و كتبَ معها :

نعلٌ بعثتُ بها لتلبسَها ،
تسعى بها قدمٌ إلى المَجد

لو كان يَصلُح أن أشرِّكها
خدّي ، جعلتُ شِراكَها خدّي[1]

•

وأهدى عليّ بن الجهم كلباً ، و كتب :

استوصِ خيراً به ، فإنّ له
عندي يداً ، لا أزال أحمَدُها

يدلُّ ضيفي عليّ في غسَقِ الليل ،
إذا النارُ نامَ موقِدُها

•

أهدى أحمدُ بن يوسف مِلحاً طيِّباً إلى إبراهيم بن المهدي ،

---

١ الشراك : سير النعل . أشركها : أجعل لها شراكاً .

وكتب إليه : الثّقةُ بك سهّلت السبيلَ إليك، فأهديت هديّةَ من لا يحتشمُ، إلى من لا يَغتنم .

●

وأهدى إبراهيم بن المهدي إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي جرابَ ملح ، وجراب أشنان[1] ، وكتب إليه :

لولا أنّ القلّة قصّرت عن بلوغِ الهمّة لأتعبتُ السابقين الى برّكَ ، ولكنّ البضاعةَ قعدَت بالهمّةِ ، وكرِهت أن تُطوى صحيفةُ البرّ وليس لي فيها ذكر فبعثت بالمبتدإ به ليُمنه وبركتهِ ، والمختوم به لطيبهِ ونظافتهِ . وأمّا ما سوى ذلك فالمعبّرُ عنا فيه كتاب الله تعالى إذ يقول : « ليس على الضّعفاء ولا على المَرضى ولا على الذين لا يجدون ما يُنفِقون حرَج » إلى آخر الآية .

●

وكتب إبراهيم بن المهدي إلى صديق له : لو كانت التّحفةُ على حسب ما يوجبه حقّك لأجحفَ بنا أدنى حقوقِك ، ولكنّه على قدر ما يُخرجُ الوحشةَ ، ويوجبُ الأنسَ . وقد بعثت بكذا وكذا .

●

---

[1] الأشنان : نبت من الحمض تغسل به الأيدي .

وكتب رجلٌ إلى المتوكل على الله وقد أهدى إليه قارورةً من دهن الأترج[1] :

إن الهدية يا أميرَ المؤمنين ، إذا كانت من الصغيرِ إلى الكبيرِ فكلما لطُفت ودقّت كانت أبهى وأحسن ، واذا كانت من الكبيرِ إلى الصّغيرِ ، فكلما عظمت وجلّت كانت أنفعَ وأوقع . وأرجو أن لا تكونَ قصّرتْ بي همـةٌ أصارتني إليكَ ، ولا أخّرَني إرشادٌ دلني عليك ، وأقول :

مـا قصّرَت هِمّةٌ بلغتُ بها
بابَك ، يا ذا النّـدى وذا الكرم

حَسبي بِوُدّيكَ أن ظفِرتُ بـه
ذخراً وعزّاً ، يا واحـدَ الأمم

•

أهدى حبيبُ بن أوس الطائي إلى الحسن بن وهب قلماً ، وكتب معه إليه هذه الأبيات :

قد بعثنا إليك ، أكرمك اللهُ ،
بشيء ، فكـن له ذا قبولِ

---

١ الأترج : الكبّاد .

لا تَقِسْهُ إلى نَدى كفِّكَ الغمرِ ،
ولا نَيلِكَ الكثيرِ الجزيل

فاستجز قِلّةَ الهديّةِ مني ؛
إنّ جُهدَ المقلّ غيرُ قليل

•

ومن قولنا في هذا المعنى وقد أهديت سلّتيْ عنب ومعهما :

أهديتُ بيضاً وسوداً في تلوُّنِها ،
كأنّها من بناتِ الرُّوم والحَبَشِ

عذراءَ تؤكل أحياناً ، وتُشرب أحياناً ،
فتَعصِمُ من جوعٍ ومن عَطَشِ

وأهديتُ حُوتَين وكتبت معهما :

أهديتُ أزرقَ مقروناً بزَرقاء ،
كالماء لم يَغذُها شيء سوى الماء

ذكاتُها الاخذُ ما تنفكُّ طاهرةً
بالبَرّ والبحرِ ، أمواتاً كأحياء[1]

---

١ يريد ان صيدها من البحر يغني عن ذبحها ، والذكاة : الذبح .

واهديت طبق وَرد ومعه :

رياحينُ أهديها لرَيحانـةِ المجدِ،
جنتها يدُ التّخجيل من حُمرة الخدّ

وورد به حَبَّيتُ غُرَّةَ ماجـدٍ،
شمائلُه أذكى نسيماً من الورد

ووَشيُ ربيعٍ مشرقِ اللون، ناضرٍ،
يلوح عليه ثوبُ وشيٍ من الحمدِ

بعثت بها زهراءَ من فوق زهرةٍ؛
كتركيب معشوقين خدّاً على خدّ

وكتبت على كأس :

اشربْ على منظرٍ أنيـقٍ؛
وامزج بريقِ الحبيب ريقي

واحلُل وشاحَ الكَعاب رفقاً؛
واحذَر على خصرِها الرّقيق

وقُل لمن لامَ في التّصابي:
إليكَ خـلِّ عن الطريق

•

وأنشد أحمدُ بن أبي طاهر في هذا المعنى :

مَا ترى في هديّةٍ من فقيرٍ ،
حِيلَ ما بينه ، وبين اليَسار

يُغرِب النّاسُ في الهَدايا إلى الناس ،
ويُهدِي غرائبَ الأشعار

مُحكماتٍ ، كأنها قِطع الرّوضِ ،
تحلّت أنوارُه بالبَهار[1]

•

وأنشد يزيد بن المهلب في المعتمد :

سيبقى فيك ما يُهدي لساني ،
إذا فنيتْ هدايا المِهرجانِ

قصائدُ ، تملأ الآفاقَ ممّا
أحلّ الله من سِحر البيان

•

وقال آخَر :

جُعلتُ فِداكَ ، للنّيروزِ حقٌّ ،
وأنتَ عليّ أوجب منه حقّا

١ البهار : نبت طيب الرائحة .

ولو أهديتُ فيه جميع مِلكي ،
لكان جميعُه لك مستَرَقّا

وأهديتُ الثّناءَ بنَظْم شعر ،
وكنتَ لذاك منّي مستحِقّا

لأنّ هديّة الألطاف تفنى ؛
وأنّ هديّةَ الأشعار تبقى[1]

•

وقال حبيب :

فوالله لا أنفكّ أهدي شوارداً
إليك ، يُحمّلْن الثناء المنخّلا

ألذّ من السلوى ، وأطيبَ نفحةً
من المسك مفتوقاً ، وأيسرَ مَحملا

•

وقال مروانُ بن أبي حفصة :

بدولة جعفرٍ حُمِد الزمانُ ،
لنا بك كلّ يومٍ مِهرجانُ

جعلتُ هديّتي لك فيه وشياً ؛
وخيرُ الوَشي ما نسجَ اللسانُ

•

١ الألطاف ، الواحد لطف : الهدية .

وقال أحمد بن أبي طاهر :

مِن سنّـة الأملاك ، فيما مضى
مِن سالف الدهرِ ، وإقبالِهِ

هديّةُ العبـد إلى ربّـه ،
في جِـدّة الدهر ، وأحوالِهِ

فقلتُ مـا أهدي إلى سيّدي
حالي ، وما خُوّلْتَ من حاله

إن اهدِ نفسي ، فهيَ من نفسِه ،
أو أهدِ مالي ، فهو من ماله

فليس إلا الحمـدُ ، والشكرُ ،
والمَـدحُ الذي يبقى لأمثـاله

•

وقال الحمدوني ، وأهدى إليه سعيد بن حُميـد أضحيةً مهزولةً ، فقال فيها :

لسعيـدٍ شُويهـةٌ ، نالها الضُّرُّ والعَجَفْ
فتغنّـت ، وأبصرت رجـلاً ، حاملاً علَفْ :
« بأبي من بكفّـه بُرْءُ دائي من الدنَف »
فأتاهـا مطمّعـاً ؛ وأتتـه لتُعتلَف

ثم ولّى ، فأقبلت تتغنّى من الأسف:

« ليته لم يكن وَقَفْ ، عذّب القلبَ وانصرف »

وقال الحمدوني : كتبت إلى الحسن بن إبراهيم ، وكان كلّ سنة يبعثُ إليّ بأضحية ، فتأخّر عنّي سنة ، فكتبت إليه :

سيّدي أعرَضَ عني ، وتناسَى الودَّ مني
مرّ بي أضحَى وأضحَى ، أخلفاني فيه ظنّي
لا يَراني ، فيهما ، أهلاً ، لظِلف ، ولقَرن
فتعزّيت بيأس ، ثم ضَحّيتُ بجِني
واصطبحت الراحَ يوماً ، ثم أنشدتُ أغني :
لا بجُرمٍ صدَّ عني ، صدَّ عني بالتجني

●

أهدت جاريةٌ من جواري المأمون تفاحةً له ، وكتبت إليه : إني يا أمير المؤمنين لما رأيتُ تنافُس الرعية في الهدايا إليك ، وتواتُرَ ألطافهم عليك ، فكّرت في هديةٍ تخفُّ مؤونتها ، وتهون كُلْفتُها ، ويعظُم خَطَرُها ، ويجِلّ موقعُها ، فلم أجد ما يجتمع فيه هذا النعت ، ويكمُل فيه هذا الوصف ، إلا التفّاح ، فأهديت إليك منها واحدة في العدد ، كثيرة في التصرّف ، وأحببتُ يا أمير المؤمنين أن أعربَ لك عن فضلها ، وأكشفَ

لك عن محاسنها ، وأشرحَ لك لطيفَ معانيها ، ومقالةَ الأطباء فيها ، وتفننُ الشعراء في وصفها ، حتى ترمقَها بعين الجلالة ، وتلحظَها بمُقْلة الصيانة ، فقد قال أبوك الرشيد رضي الله عنه : أحسنُ الفاكهة التفاح ، اجتمع فيه الصُفرة الدُرّية ، والحُمرة الخمرية ، والشُقرة الذهبية ، وبياض الفِضة ، ولونُ التبر ، يلذّ بها من الحواس العينُ ببهجتها ، والأنفُ بريحها ، والفم بطعمها.

وقال أرسطاطاليس الفيلسوف ، عند حضوره الوفاة ، واجتمع إليه تلاميذُه : التمسوا لي تُفاحة أعتصمُ بريحها ، وأقضي وطري من النظر إليها .

وقال إبراهيم بن هانيء : ما علّل المريض المبتلى ، ولا سكنت حرارة الثكلى ، ولا رُدّت شهوة الحُبلى ، ولا جُمعت فِكرة الحيران ، ولا سُلّت حسيفة[1] الغضبان ، ولا تَحيّت الفِتيان في بيوت القِيان ، بمثل التفاح .

والتفاحة يا أميرَ المؤمنين ، إن حملتَها لم تؤذِك ، وإن رُميت بها لم تؤلمك ، وقد اجتمع فيها ألوانُ قوسِ قُزَحَ من الخضرة والحمرة والصفرة ، وقال فيها الشاعر :

حُمرةُ التفاحِ ، مع خضرتهِ ،
أقربُ الأشياء من قوسِ قُزَح

---

١ الحسيفة : الغيظ .

فعلى التفاح ، فاشرب قهوةً ،
واسقنيها بنَشاط وفرح

ثم غَنِّ الآن كي تطربَني :
طرفُكَ الفتّانُ قلبي قد جرح

فإذا وصلَتْ إليك يا أميرَ المؤمنين ، فتناولها بيمينك ، واصرف إليها يقينَك ، وتأمّل حُسنَها بطرفك ، ولا تخدِشها بظُفرِك ، ولا تُبعِدها عن عينك ، ولا تبذُلها لخدَمِك ، فإذا طال لُبثُها عندَك ، ومُقامُها بين يديك ، وخِفتَ أن يرميها الدهر بسَهمه ، ويقصِدَها بصَرفه ، فيُذهِبَ بهجتها ، ويُحيل نَضرتَها ، فكلْها

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامرٍ[1]

والسلامُ عليك يا أمير المؤمنين ، ورحمةُ الله وبركاتُه .

فقال المأمون : احمِلوا إليها من كلِّ ما أُهديَ لنا في هذا اليوم .

•

---

١ المخامر ، من خامره الداء : دخل جوفه ، والبيت لكثير عزة ، وعجزه :
لعزة من أعراضنا ما استحلت

وكتب العباس الهمداني إلى المأمون في يوم نيروز :

أهدَى لك الناسُ المراكبَ ،
والوصائفَ والذهبْ[1]

وهديّتي حلوُ القصائدِ ،
والمدائحِ ، والخطبْ

فاسلمْ ، سلمتَ على الزّمان ،
من الحوادثِ والعَطبْ

---

١ المراكب : اسم لما يركب من الدواب .

طبائع الانسان والحيوان

العقد الفريد

« تم »

٢٠٠ غ.ل.

العقد العربي
٣٠

الطعام والشراب

مكتبة صادر
بيروت

٣٠

الطعام والشراب

العقد الفريد

من اشهر المجموعات الأدبية عند العرب.
فيه ادب– وأقوال – ونوادر – وملح–
وتاريخ – واخبار الخ . الخ . . . .

•

الطعام والشراب

هو كتاب الفريدة الثانية من العقد ،
مضبوط ومشروح بقلم
كرم البستاني

العقد الفريد

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي

٣٠

الطعام والشراب

مكتبة صادر
بيروت

١٩٥٤

كتاب الفريدة الثانية

في الطعام والشراب

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مَضى قولُنا في بيان طبائع الانسان وسائر الحيوان والنتف ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الطعام والشراب اللذين بهما نمو الغِراسة[1] ، وهما قِوام الأبدان ، وعليهما بقاء الأرواح .

قال المسيح عليه الصلاة والسلام في الماء : هذا أبي ، وفي الخبز : هذا أمي . يريد أنهما يغذّيان الابدان كما يغذّيها الابوان .

وهذا الكتاب جزآن ، جزء في الطعام ، وجزء في الشراب ، فالذي في الطّعام منهما متقصٍّ جميعَ ما يتمّ ويتصرّف به أغذيةُ الطعام ، من المنافع والمضارّ ، وتعاهُد الأبدان بما يصلحها من ذلك في أوقاته ، وضروب حالاته واختلاف الأغذية مع اختلاف الأزمنة بما لا يُخلي المعدة وما لا يكظُّها ، فقد جعل الله لكل شيء قَدْراً .

والذي في الشراب منهما مُشتملٌ على صنوف الأشربة ،

---

[1] الغراسة : فسيل النخل ، وقد عنى به نمو البدن حتى يكبر .

وما اختلف الناس فيه من الأنبذةِ ، ومحمودِ ذلك ومذمومهِ ، فإنا نجد النبيذ قد أجازه قومٌ صالحون ، وكَرِهه قومٌ صالحون .

وقد وضعنا لكل شيء من ذلك باباً ، فيحتاطُ كلُّ رجل لنفسه بمبلغِ تحصيله ، ومنتهى نظره ، فإنّ الرّائد لا يَكذِب أهلَه[1] .

١ هذا مثل من أمثال العرب ، والرائد هو الذي يتقدّم القوم لطلب الماء والكلاء لهم فان كذبهم أفسد أمرهم وأمر نفسه معهم .

أطعمة العرب

الوَشيقة من اللحم ، وهو أن يُغلى إغلاءةً ثم يُرفَع ، يقال منه : وشَقتُ أشِق وَشْقاً ، قال الحسن بن هاني:

حتى رفعنا قِدرَنا بضِرامها ،
واللّحم بين مُوذَّم، وموشَّق[1]

•

والصفيف مثلُه ، ويقال : هو القديدُ ، يقال : صَففتُه أصُفُّه صفاً .

•

والربيكة : شيء يطبخ من برّ وتمر ، ويقال منه : ربكته أربُكه ربكاً .

•

والبسيسة : كلُّ شيء خلطتَه بغيره ، مثل السَّويق بالأقِط[2] ، ثم تَلُتّه بالسمن أو بالزَّيت ، أو مثل الشعير بالنّوى للابل ، يقال : بسسته أبُسّه بسّاً .

•

---

١ الموذم : المقطع .

٢ السويق : الناعم من دقيق الحنطة والشعير . الاقط : الجبن .

والعَبيثة بالعين غير معجمة : طعام يطبخ ويجعل فيه جَراد، وهو الغثيمة أيضاً .

•

والبَغيث والعَليث : الطعام المخلوط بالشّعير . فإذا كان فيه الزُّؤان فهو المعْلوث .

•

والبَكيلة والبَكالة جميعاً : وهي الدقيق يُخلط بالسويق، ثم يُبلّ بماء أو سمن أو زيت ، يقال : بكلته أبكُله بكلاً .

•

والفريقة : شيء يُعمل من اللبن .

•

فاذا قطّعت اللحم صغاراً قلت : كتّفته تكتيفاً .

•

أبو زيد قال : اذا جعلت اللحم على الجمر قلت : حسْحَسْتُه، وهو أن تقشِر عنه الرماد بعد أن يخرج من الجمر . فإذا ادخلته النار ولم تبالغ في طبخه قلت : ضهّبته[1] وهو مُضَهّب .

•

---

١ ضهبته : شويته قليلاً ولم تنضجه .

والمَضيرة : سمّيت بذلك لأنها طُبخت باللبن الماضر، وهو الحامض . والهريسة لأنها تهرس . والعصيدة لأنها تُعصَد اي تلوَى . واللّفيتة لأنها تلفت .

•

والفالوذ[1] : وهو السَّرِطْراط . ومن أسماء الفالوذ ايضاً : السُّرَيط ، لانه يُسترط مثل يُزدرد . ويقال : « لا تكن حلواً فتُستَرَط ، ولا مُرّاً فتعقي . » يقال : أعقى الشيء : اشتدّت مرارته .

•

الرغيدة : اللبن الحليب يُغلى ثم يُذرّ عليه الدقيق حتى يختلط فيُلعق لعقاً .

•

الحريرة : الحساء من الدسم والدقيق .

•

والسخينة : حساء كانت تعمله قريش في الجاهلية ، فسمّيت به ، قال حسان :

زعمت سخِينةُ أن ستَغلِبُ ربَّها ؛
وليُغلبنّ مُغالِبُ الغلاّب

•

---

[1] الفالوذ ، والفالوذج ، والفالوذق : حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل .

والعكيس : الدقيق يُصبّ عليه الماء ثم يُشرب . قال منظور الاسَدي :

ولمّـا سقيناها العكيس تمذّحت
خواصرها ، وازداد رشحاً وريدها[1]

تمذّحت : اي انتفخت .

•

[1] الوريد : عرق في العنق .

اسماء الطعام

الوليمة : طعام العُرس . والنقيعة : طعام الإملاك[1] . والإعذار: طعام الختان. والخُرس: طعام الولادة . والعَقيقة : طعام سابع الولادة . والنقيعة : طعام يُصنع عند قُدوم الرجل من سفره ؛ يقال : أنقعت إنقاعاً . والوكيرة : طعام يُصنَع عند البناء يبنيه الرجل في داره . والمأدُبة : كل طعام يصنع لدعوة، يقال : آدبت أودب إيداباً . وأدبت أدْباً . قال طرفة :

نحنُ في المَشتاة ندعو الجَفَلى ،
لا ترى الآدِبَ فينا ينتقِرْ

الآدب : صاحب المأدبة . والجَفلى : دعوة العامة . والنَّقَرى : دعوة الخاصة . والسُّلْفَة : طعام يُتعلّل به قبل الغَداء . والقفيّ : الطعام الذي يُكرَم به الرجل ، يقال منه : قفوته ، فأنا أقفوه قفواً . والقَفاوة : ما يرفع من المرق للانسان ، قال الشاعر :

ونُقفي وليدَ الحيّ ، إن كان جائعاً ،
ونُحسِبه ، إن كان ليس بجائع[2]

---

١ الاملاك : التزويج .

٢ البيت لامرأة من بني قشير . نحسبه : نعطيه حتى يقول حسبي .

صفة الطعام وفضله

قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : أكرموا الخُبزَ ، فإن الله سَخَّر له السمواتِ والأرض . وكلوا سَقَط المائدة[1] .

•

وقال الحسن البصري : ليس في الطعام سَرَف ، وتلا قوله تعالى : «ليس على الذين آمنوا وعَمِلوا الصالحات جُناحٌ فيما طَعِموا .»

•

وقال الأصمعي: الكبادات[2] أربعة : العصيدة[3]، والهريسة، والحَيس[4] ، والسَّميذ[5] .

•

أبو حاتم : والسويق طعام المسافر ، والعَجلان ، والحزين ،

---

١ السقط : ما يسقط ولا يعتد به .

٢ لم نجد هذه اللفظة فيما لدينا من المعاجم .

٣ العصيدة : دقيق يلت بالسمن ويطبخ .

٤ الحيس : طعام مركب من تمر وسمن وسويق .

٥ السميذ : الدقيق الابيض .

والنفَساء، وطعامُ مَن لا يشتهي الطعام .

•

الأصمعي قال : قال أبو صوارة : الأرزُ الأبيضُ بالسمن والسكّر الطَّبَرزَذ[1] ليس من طعام أهل الدنيا .

•

عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن : أكلُ الخبيص يزيد في الدماغ .

•

وقال الحسن لفرقد السبَخي: بلغني أنك لا تأكل الفالوذج ! قال: يا أبا سعيد، أخاف أن لا أؤدّي شكره ! قال : يا لُكَع وهل تؤدّي شكرَ الماء البارد في الصيف ، والحارّ في الشتاء؟ أما سمعت قولَ الله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا كُلُوا مِن طيّباتِ ما كسبتم » ؟

•

وسمعَ الحسنُ رجلًا يَعيب الفالوذجَ ، فقال : لُباب البُرّ بلُعاب النحل بخالص السمن ، ما عاب هذا مُسلم .

•

وقال رجل في مجلس الأحنف : ما شيء أبغضَ إليّ من الزُّبد والكمأة . فقال الأحنف : « رُبّ ملومٍ لا ذنب له .»

•

١ الطبرزذ : السكر كأنه نحت من نواحيه بالفأس .

وقيل لشُريح القاضي : أيُّهما أطيب ، اللَّوزينق أو الجوزينق[1]؟ فقال : لا أحكم على غائب !

•

وُلد لعبد الرحمن بن أبي ليلى غلامٌ فصنع الأخبصة ، ودعا الناس، وفيهم مساورٌ الورّاق، فلما أكلوا قال مساور الوراق :

مَن لم يدسِّم بالثّريدِ سِبالَنا ،
بعد الخَبيص، فلا َهناهُ الفارس[2]

•

الرقاشيّ قال : أخبرنا أبو هِفّان أن رَقَبة بن مَصقلةَ طرح نفسه بقُرب حماد الراوية في المسجد ، فقال له حماد : ما لك؟ قال : صريع فالوذَج . قال له حماد : عند مَن؟ فطالما كنتَ صريعَ سمك مملوح خبيث . قال : عند من حكم في الفُرقة وفَصَل في الجماعة . قال : وما أكلتم عنده ؟ قال : أتانا بالأبيض المَنضود ، والملوَّز المعقود ، والذليل الرعديد ، والماضي الموْدود .

•

١ اللوزينق ، واللوزينج : نوع من الحلواء شبه القطايف يؤدم بدهن اللوز . الجوزينق : نوع من الحلوى يطبخ بالجوز .
٢ لا هناه الفارس : اي لا هناه الغلام . الثريد : خبز مفتوت بالمرق . الخبيص : حلواء مخبوصة .

محمد بن سلام الجمحي قال : قال بلال بن أبي بُردة ، وهو أمير على البصرة ، للجارود بن أبي سبرة الهذلي: أتحضُر طعام هذا الشيخ ؟ يعني عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر .

قال : نعم .

قال : فصِفه لي .

قال : نأتيه فنجده متصبّحاً ، يعني نائماً ، فنجلس حتى يستيقظ ، فيأذن لنا فنُساقِطه الحديث ، فإن حدّثناه أحسن الاستماعَ ، وإن حدثنا أحسنَ الحديث ، ثم يدعو بمائدته ، وقد تقدّم الى جواريه وأمهات اولاده أن لا تُلطِفه واحدة منهنّ إلا إذا وُضعت مائدته ، ثم يُقبل خبّازُه ، فيمثُل بين يديه ، فيقول : ما عندكَ اليوم ؟ فيقول : عندي كذا عندي كذا ، فيعدّد كلّ ما عنده ، ويصفه ، يريد بذلك أن يحبس كلُّ رجل نفسَه وشهوتَه على ما يريد من الطعام ، وتُقبل الألطاف من هاهنا وهاهنا ، وتوضع على المائدة ، ثم يؤتى بثريدة شهباء من الفُلفل ، رقطاء من الحمص ، ذات حِفافين من العُراق[1] ، فنأكل معه ، حتى إذا ظن أن القوم قد كادوا يمتلئون ، جثا على ركبتيه ، ثم استأنف الأكل معهم .

---

[1] العراق بالضم ، الواحد العرق : القطعة من اللحم المطبوخ .

فقال ابو بردة : لله درّ عبد الاعلى ، ما أربط جأشَه على وقع الاضراس .

•

وحضر أعرابيٌّ طعام عبد الاعلى ، فلما وقف الخبّاز بين يديه ووصف ما عنده قال : أصلحك الله ، أتأمر غلامك يَسقيني ماء ؟ فقد شبعت من وصف هذا الخبّاز .

وقال له عبد الاعلى يوماً : ما تقول يا أعرابيّ لو أمرتُ الطباخ فعمِلَ لونَ كذا ، ولون كذا ؟ قال : أصلحك الله . لو كانت هذه الصفة في القرآن لكانت موضعَ سجود .

•

أبو عبيدة قال : مرّ الفرزدق بيحيى بن المنذر الرّقاشي فقال له : هل لك أبا فراس في جَديٍ رضيع ، ونبيذٍ صليب[1] من شراب الزبيب ؟ قال : وهل يأبى هذا إلا ابنُ المراغة[2] ؟

•

وقال الاحوص لجرير لما قدم المدينة : ماذا ترى أن نُعِدّ لك ؟ قال : شواء وطِلاء[3] وغناء. قال : قد أُعدّ لك .

•

---

١ الصليب : الشديد .

٢ ابن المراغة : جرير الشاعر .

٣ الطلاء : ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه .

وقال مساورٌ الورّاقُ في وصف الطعام :

اسمعْ بنعتي للملوكِ ، ولا تكن ،
فيما سمعتَ ، كميّتِ الاحياء

إنّ الملوك لهم طعامٌ طيّبٌ ،
يستأثرون به على الفقَراء

إني نعتُّ لذيذَ عيشي كلَّه ،
والعيشُ ، ليس لذيذُه بسَواء

ثم اختصصتُ ، من اللذيذ وعيشِه ،
صفةَ الطعام لِشَهوةِ الحَلْواء

فبدأتُ بالعسل الشديدِ بياضُه ؛
شهدٌ تُباكره بماء سماء

إني سمعتُ لقول ربّك فيهما ،
فجمعتُ بين مُباركٍ وشِفاء

أيامَ أنت هناك بين عِصابةٍ ،
حضروا ليوم تنعُّم ، أكفاء

لا ينطِقون ، إذا جلستَ إليهمُ ،
فيما يكون بلفظـةٍ عَوراء[1]

مُتنسّمين رياحَ كلِّ هَبوبـةٍ ،
بين النَّخيل ، بغُرفةٍ فيحـاء[2]

فقعدتُ ، ثم دعوتَ لي بمبـذرقٍ ،
متشمّرٍ ، يَسعى بغـيرِ رداء[3]

قد لَـفَّ كُمَّيهِ على عَضَلاته ،
قَلِصِ القَميص ، مُشمّر ، سعّاء[4]

فأتى بخُـبزٍ ، كالمُلاء ، مُنقّـطٍ ،
فبنـاه فوق أخـاون الشّيزاء[5]

حتى ملاها ، ثم ترجم عندهـا ،
بالفارسيّـــة ، داعيـاً بوَحاء[6]

---

١ العوراء : القبيحة .
٢ فيحاء : واسعة .
٣ المبذرق : الخفير .
٤ قلص القميص : مرفوعه .
٥ الأخاون ، الواحـد اخوان ، لغة في الخوان : ما يؤكل عليه الطعام . الشيزاء اصله الشيزى ، مده للشعر : خشب تعمل منه القصاع والجفان .
٦ الوحاء : السرعة .

فإذا القِصاعُ من الخَلَنْجِ ، لديهمُ ،
تَبدو جوانبُها مع الوُصَفاء[1]

ارفعْ وضَع ، وهنا ، وهاكِ ، وهاهنا ،
قَصفُ الملوكِ ، ونَهمةُ القُرّاء[2]

يؤتَون ثَمّ بلونِ كلّ طريفةٍ ،
قد خالفتْه موائدُ الخلفاء

من كلّ فُرنيّ وَجَدْيٍ راضعٍ ،
ودجاجةٍ ، مَربوبةٍ ، عَشواء[3]

ومَصُوصِ دُرّاجٍ ، كثيرٍ ، طيّبٍ ،
ونَواهضٍ يُؤتى بهنّ شِواء[4]

وثَريدةٍ مَلمومةٍ ، قد سُقّفت ،
من فوقِها ، بأطايب الاعضاء

١ الخلنج : شجر يكون بأطراف الهند والصين ورقه كالطرفاء وزهره اصفر واحمر ، تُصنع منه القصاع .

٢ القصف : الاقامة في اكل وشرب ولهو .

٣ الفرني : خبز غليظ . المربوبة : المربّاة .

٤ المصوص : لحم ينقع في الخل ويطبخ. الدراج : ضرب من الطير. النواهض ؛ الواحد ناهض : فرخ الطير الذي استقل للنهوض .

وتزيَّنت بتوابلٍ مَعلومـــةٍ ،
وخُبَيْصاتٍ ، كالجُمان نقـــاء

هـذا الثَّريد ، وما سواه تعلَّلٌ ؛
ذهب الثريـدُ بنَهمتي وهَوائي

ولقد كَلِفتُ بنَعت جَدْيٍ راضعٍ ،
قد صُنْته شهرينِ ، بين رِعاء

قد نالَ من لَبَنٍ كثيرٍ ، طيِّبٍ ،
حتى تفتَّـقَ من رِضاعِ الشاء

من كلِّ أحمرَ ، لا يَقرُّ ، إذا ارتوى ،
من بينِ رَقْصٍ دائمٍ ، ونُزاء[1]

متعكِّنِ الجَنبين ، صافٍ لونُه ،
عَبْـلِ القوائمِ ، من غِذاء رَخاء[2]

فإذا مرضتُ ، فداوني بلحومِهـا ،
إنّـي وجـدتُ لُحومَهنَّ دوائي

---

١ النزاء : الوثب . وعنى بالاحمر الجدي .
٢ المتعكن : المتثني لحمه سمناً . العبل : السمين .

وَدَعِ الطَّبيبَ ، ولا تثِق بدَوائه ،
مـا خالَفَتْكَ رواضِعُ الأجزاء

إنَّ الطَّبيبَ ، إذا حباك بشَربةٍ ،
تَركتْكَ بينَ مَخافةٍ ورجـاء

وإذا تنطَّع في دَواءِ صديقِـه ،
لم يَعدُ ما في جُونةِ الرَّقّاء[1]

نَعَتَ الطبيبُ هَليلجاً وبليلجـاً ،
ونعتُّ غيرَهما من الحلـواء[2]

رُطَبَ المُشان ، مجزَّعاً ، يؤتى به
والرازقيَّ ، فما همـا بسواء[3]

وبَنانياً زُرقاً ، كأنَّ بُطونَهـا
قِطعُ الثُّلوجِ ، نَقِيَّةَ الأمعـاء[4]

لِيست بآكلة الحَشيشِ ، ولا التي
يَبتاعُها الحَنّاقُ في الظلمـاء

١ تنطع : تحذّق . الجونة : السلة . الرقاء : الذي يرقي بالرقية .
٢ الاهليلج : ثمر شجرة هندية . البليلج : ثمر هندي في حجم الزيتون .
٣ المشان : ضرب من اجود التمر . الرازقي : ضرب من العنب .
٤ البناني ، الواحد بُنّى : نوع من السمك .

آداب الاكل والطعام

قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : الأكل في السُّوق دناءة .

•

وقال صلى الله عليه وسلم : إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، ويشربْ بيمينه ، فإن الشيطان يأكلُ بشماله ويشربُ بشماله .

•

وقال صلى الله عليه وسلم : سمّوا ، اذا أكلتم ، واحمدوا اذا فرغتم . وكان يلطعُ أصابعَه بعد الطعام .

•

وقال صلى الله عليه وسلم : الوضوء قبلَ الطعام ينفي الفقر، وبعدَ الطعام ينفي اللَّمَمَ[1] .

•

ومن الأدب في الوضوء ان يبدأ صاحبُ البيتِ فيغسل يديه قبل الطعام ، ويقدّمَ أصحابَه بعد الطعام .

•

قال النبي صلى الله عليه وسلم : طعامُ الاثنين كافي الثلاثة ، وطعامُ الثلاثة كافي الأربعة .

•

---

١ اللمم : الجنون .

وقال صلى الله عليه وسلم : املِكوا العجين فإنه أحد الرَّيْعَين[1] .

•

وكان فرقد يقول لأصحابه : اذا أكلتم فشُدُّوا الإزار على أوساطكم ، وصغّروا اللُّقَم ، وشدُّوا المَضْغَ ، ومُصُّوا الماء ، ولا يحُلَّنَّ احدُكم إزاره ، فيتّسع مِعاه ، ويأكلُ كلُّ واحد ما بين يديه .

•

وقالوا : كان ابن هُبيرة يباكر الغَداء ، فسئل عن ذلك فقال : ان فيه ثلاثَ خصال ، أما الواحدة : فإنه ينشّف المِرّة ، والثانية : أنه يطيِّب النكهةَ ، والثالثة : أنه يُعين على المُروءة .

فقيل له : وكيف يعين على المُروءة ؟

قال : اذا خرجتُ من بيتي وقد تغدّيت لم أتطلّع الى طعام احدٍ من الناس .

---

[1] ملك العجين واملكه : انعم عجنه . الريع : الزيادة .

البطنة وقولهم فيها

قالوا : البِطنة تُذهب الفطنة .

•

وقال مَسلمة بن عبد الملك لأليون ، ملك الروم : ما تعدُّون الأحمق فيكم ؟ قال : الذي يملأ بطنه من كل ما وجد .

•

وحضر أبو بَكرة سُفرةَ معاوية ومعه ولدُه عبدُ الرحمن ، فرآه يَلقَم لَقماً شديداً ، فلما كان بالعشي راح اليه أبو بكرة فقال له معاوية : ما فعل ابنك التّلقامة[1] ؟ قال : اعتلّ . قال : مثله لا يعدَم العلّة .

•

ورأى أبو الأسود الدؤلي رجلا يلقَم لَقْماً منكراً ، فقال : كيف اسمك ؟ قال : لُقمان . قال : صدق الذي سمّاك .

•

ورأى أعرابي رجلا سميناً ، فقال له : أرى عليك قطيفة من نَسج أضراسِك .

•

---

١ التلقامة : العظيم اللقم .

وقعد أعرابيٌّ على مائدة المُغيرة ، فجعل يَنهشُ ويتعرّق[1]، فقال المغيرة : يا غـلام ، ناوله سكّيناً . قال الأعرابي : كلُّ امرئ سكينُه في رأسه[2] .

•

قال أعرابي : كنت أشتهي ثريدة دَكْنَاء من الفُلفـل ، رقطاء من الحِمّص ، ذات حِفافَين من العُراق ، فأضربُ فيها كما يضرب الوليُّ السَّوء في مال اليتيم .

•

وقال أعرابي :

ألا ليت لي خبزاً تَسربلَ رائباً ،
وخيلًا من البَرنيّ ، فرسانها الزُّبدُ[3]

فأطلبَ فيما بينهنّ شهادةً
بموتٍ كريمٍ ، لا يُعَدّ له لحدُ

•

واصطحب شيخٌ وحَدَثٌ من الأعراب في سفر ، وكان لهما قرصٌ في كل يوم ، وكان الشيخ مخلّع الاضراس ، وكان

---

١ يتعرق : يأكل ما على العظم من لحم .
٢ اي اسنانه التي في رأسه تغني عن السكين .
٣ البرني : ضرب من أجود التمر .

الحَدَثُ يبطشُ بالقُرص ثم يقعُـد يشكو العِشق ، والشيخ يتضوَّرُ جوعاً ، وكان الحَدَث يسمَّى جَعفراً ، فقال الشيخ فيه :

لقد رابـني من جَعفرٍ أنَّ جعفراً
يَطيش بقُرصي ، ثم يبكي على جُمْلِ

فقلت له : لو مَسَّكَ الحُبُّ لم تَبِت
بطيناً ، ونَسَّاكَ الهوى شدةَ الأكلِ

•

الأصمعي قال : تقول العرب في الرجل الأكول : إنه بَرَمٌ قَرُون .

البَرَم : الذي يأكل مـع الجماعة ولا يجعـل شيئاً[1]
والقَرون : الذي يأكل تمرتين تمرتين ويأكل أصحابه تمرة تمرة .
وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن القِران .

•

وكان عبد الله بن الزُبير إذا قُدِّم التمر الى أصحابـه قال عبدُ الله بن عمر : إياكم والقِرانَ ، فان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه .

•

وقيل لبُسرة الأحول : كم تأكل كلَّ يوم ؟ قـال : من

[1] اي لا يخرج شيئاً يشاركهم به . وأصل استعماله في الميسر .

مـالي أو من مال غـيري ؟ قيل له : مِن مالك . قال : مَكُّوكاً[1] . قيل : فمن مال غيرك . قال : اخبزوا واطرحوا .

•

وقال رجل من أهل العراق في قَينةِ حفصٍ الكاتب :

قَينةُ حفصٍ ويلَها ، فيها خِصالٌ عَشَره
أوّلُها : أنّ لها وجهاً قبيحَ المَنظره
ودارُها في وَهدةٍ ، أوسعُ منها القَنطره
تأكلُ ، في مقعدها ، ثوراً ، وتَخرَى بقره

•

وكان الواثق واسمه هارون بن محمد بن هارون أكولاً ، وكان مفتوناً بحبّ الباذنجان ، وكان يأكل في أكلة واحدة أربعين باذنجانة ، فأوصى اليه أبوه - وكان وليّ عهده - ويلك متى رأيت خليفةً أعمى ؟ فقال للرسول : أعلِمْ أميرَ المؤمنين أني تصدّقت بعَينيَّ جميعاً على الباذنجان .

•

وكان سليمان بن عبد الملك من الأَكَلة ، حدّث العتبي عن أبيه عن الشَمَرْدل وكيل عمرو بن العاص قال : لما قَدِمَ سليمانُ الطائفَ دخل هو وعُمَر بن عبد العزيز وأيوب

---

[1] المكوك : صاع ونصف .

ابنُه بستاناً لعمرو بن العاص فجال فيه ساعةً ، ثم قال : ناهيكم بمالكم هذا مالاً . ثم ألقى صدرَه على غُصن ، وقال : ويلك يا شمردل ، ما عندك شيء تُطعمني ؟

قال : بلى ؛ ان عندي جَدياً كانت تغدو عليه بقرةٌ وتروحُ عليه أخرى .

قال : عجِّل به .

قال : فأتيتُه به كأنه عُكّة سمن ، فأكله وما دعا عمرَ ولا ابنه ، حتى إذا بقي الفَخِذ ، قال : هلمَّ أبا حَفْص .

قال : إني صائم .

فأتى عليه ، ثم قال : ويلَك يا شمردل ، ما عندك شيء تطعمني ؟

قال : بلى والله عندي خمس دَجاجاتٍ هندياتٍ كأنهنّ رئلان النعام[1] .

قال : فأتيت بهنّ ، فكان يأخذ برجلَي الدَّجاجةِ فيلقي عظامها نَقِيَّةً حتى أتى عليهنّ ، ثم قال : يا شمردل ، ما عندك شيء تطعمني ؟

قلت : بلى والله ، إن عندي حَريرة كأنها قُراضة الذهب[2] .

---

١ الرئلان ، الواحد رأل : فرخ النعام .

٢ الحريرة : دقيق يطبخ بلبن او دسم.

فقال : عجّل بها. فأتيتُه بعُسٍّ[1] يغيب فيه الرأس ، فجعل يلاطمُها بيديه ويشرب ، فلما فرغ تجشأ ، فكأنما صاح في جُبٍّ[2] ، ثم قال : يا غلام ، أفرغتَ من غدائي ؟

قال : نعم .

قال : وما هو ؟

قال : ثمانون قِدراً .

قال : ائتني بها قدراً قدراً .

قال : فأكثر ما أكلَ من كلّ قدرٍ ثلاثُ لُقم ، وأقلُّ ما أكل لُقمة ، ثم مسح يده .واستلقى على فراشه ، ثم أذن للناس ووُضعت المائدةُ وقعد ، فأكل مع النـاس ، فما أنكرت من أكله شيئاً .

•

وقال الأصمعي : كنت يوماً عند هارون الرشيد ، فقُدمت اليه فالوذجة ، فقال : يا اصمعي .

قلت : لبيك يا أمير المؤمنين .

قال : حدّثني بحديث مُزَرّد أخي الشمّاخ .

قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، إن مزرّداً كان رجلاً جَشِعاً

---

١ العس : القدح ، الاناء الكبير .

٢ الجب : البئر العميقة .

نَهِماً ، وكانت أمّه تُؤثر عيالَها بالزاد عليه ، وكان ذلك مما يُضَرّيه ويُحفِظه ، فذهَبتْ يوماً في بعض حقوقِ أهلِها وخلّفت مزرّداً في بيتِها ورَحلِها ، فدخل الخيمةَ ، فأخذ صاعين[1] من دقيق ، وصاعاً من عَجوة ، وصاعاً من سمن ، فضرب بعضَه ببعض فأكله ، ثم أنشأ يقول :

ولمّا مضت أمي تَزورُ عيالَها ،
أغرتُ على العِكْمِ الذي كان يُمنَعُ[2]

خلطت بصاعَيْ حنطةٍ صاعَ عجوةٍ ،
الى صاعِ سَمن ، فوقه يتريّعُ[3]

ودبّلتُ أمثالَ الأثافي ، كأنها
رُؤوسُ رِخال، قُطّعت ، لا تَجمّعُ[4]

وقلت لبَطني : أبشِرِ اليومَ إنه
حِمى أمّنا ، مما تُفيد وتَجمع

---

١ الصاع : مكيال .
٢ العكم : ما عكم به المتاع ، اي شد وربط .
٣ يتريع : يجري ، يسيل .
٤ دبل اللقمة تدبيلاً : كبرها . الرخال ، الواحدة رخل : الأنثى من ولد الضأن .

فإن كنتَ مصفوراً ، فهذا دواؤه ،
وإن كنتَ غرثاناً ، فذا يومُ تَشبع[1]

قال : فاستضحك هارونُ حتى أمسكَ على بطنِه واستلقى على ظهره ، ثم قعد فمدَّ يده ، وقالَ : خذ ، فذا يومُ تشبع أصمعي .

•

وقال حُميدُ الأرقط ، وهو الذي يقال له : هجّاء الأضياف ، صف أكل الضيف :

ما بين لُقمته الأولى ، إذا انحدرت ،
وبين أخرى تليها قِيدُ أظفورِ[2]

وقال أيضاً :

تُجهِّز كفّاه ، ويَحدِر حلقُه ،
الى الزَّور ، ما ضُمّت عليه الانامل

أتانا ، وما ساواهُ سَحبانُ وائلٍ
بياناً ، وعلماً بالذي هو قائلُ

---

١ المصفور : ما اجتمع في بطنه الصفار ، اي الماء الاصفر ، او دود .
الغرثان : الجوعان .
٢ قيد : قدر .

فما زالَ عنه اللَقمُ ، حتى كأنه ،
من العِيّ لمّا أن تكلّم ، باقلُ

وقال :

لا أبغضُ الضيفَ ، ما بي جُلُّ مأكَلِه ،
الا تنفُّجَه حولي ، إذا قعـــدا[1]

ما زال ينفُخ جنبيه وحُبوتَـه ،
حتى أقولُ : لعلّ الضيفَ قد وَلَدا

وقال :

لا مرحباً بوُجوه القوم ، إذ نَزلوا
دُسمَ العَمائم تَحكيها الشّياطينُ

ألقيتُ جُلتَّنـا الشّهْريزَ بينهـمُ ،
كـأنّ أظفارهم فيهـا سَكاكينُ[2]

فأصبحوا ، والنّـوى عالي معرّسهم ،
وليس كلّ النوى يُلقـي المساكينُ[3]

●

---

١ التنفج : ارتفاع البطن .
٢ الشهريز : ضرب من التمر .
٣ معرسهم : موضع نزولهم ليلاً . النوى : اي نوى التمر .

أبو الحسن المدائني قال : أقبل نَصرانيّ الى سليمانَ بن عبد الملك ، وهو بدابق ، بسَلّين ، احدهما مملوءة بيضاً ، والآخر مملوءة تيناً ، فقال : اقشروا ، فجعل يأكل بيضةً وتينةً حتى فرغ مِن السَّلّين ، ثم أتَوه بقَصعة مملوءة مُخّاً[1] بسكر فأكله ، فأتخم ومرض فمات .

•

والأكَلةُ كلُّهم يعيبون الحِمية ، ويقولون : الحِمية إحدى العلّتين .

•

وقالوا : من احتمى فهو على يقين من المكروه ، وفي شك من العافية .

•

وقالوا : الحمية للصحيح ضارة ، وللعليل نافعة .

---

١ المخ : ما يسميه العامة بالنخاع .

الحمية وقولهم فيها

قيل لبقراط: ما لك تُقِلُّ الأكل جداً؟ قال: إني إنما آكل لأحيا، وغيري يحيا ليأكل.

•

وأجمعت الأطبّاء على أن رأس الداء كله إدخالُ الطعام على الطعام، وقالوا: احذروا إدخال اللحم على اللحم، فإنه ربما قتَل السّباع في القَفر. وأكثرُ العِلل كلها إنما يتولد من فضول الطعام.

•

والحِمية مأخوذة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: رأى صُهيباً يأكل تمراً وبه رَمد، فقال: «أتأكل تمراً وأنت أرمد؟»

ودخل على عليّ رضي الله عنه، وهو عليلٌ وبيده عُنقود عِنب، فنزعه من يده.

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تُكرِهوا مَرضاكم على الطعام والشراب فإن الله يُطعِمهم ويَسقيهم.»

•

وقيل للحارث بن كَلَدة طبيب العرب: ما أفضلُ الدواء؟

قال : الأزْم . يريد قلّة الأكل. ومنه قيل للمجاعة : الأزمة، والكثير أزَمات .

•

وقيل لآخر : ما أفضل الدواء ؟ قال : أن ترفعَ يدكَ عن الطعام وأنت تَشتهيه .

•

أبو الأشهب عن أبي الحسن قال : قيل للمُنذر بن جُندب : إن ابنك أكل طعاماً كظّه حتى كاد يقتلُه . قال : لو مات ما صليتُ عليه .

•

ودعا عبدُ الملك بن مروان رجلًا الى الغداء، فقال : ما فيَّ فضلٌ يا امير المؤمنين . قال : لا خيرَ في الرجل يأكلُ حتى لا يكون فيه فضل .

•

وقال الاحنف بن قيس : جَنّبوا مجالسنا ذكرَ النساء والطعامِ، فإني أبغِض الرجلَ أنْ يكون وصّافاً لبطنه وفَرجه.

•

وقيل لبعض الحكماء : أي الأدواء أطيب ؟ قال : الجوع ما ألقيتَ إليه من شيء قَبِله .

•

وقال رجل من أهل الشام لرجلٍ من اهل المدينة :

عجبتُ منكم ، أن فقهاءكم أظرف من فقهائنا ، ومجانينكم اظرف من مجانيننا ، قال : أوَتدري من أين ذلك؟ قال : لا ادري. قال : من الجوع ، ألا ترى أنّ العُود إنما صفا صوتُه لمّا خلا جوفُه ؟

•

وقال الجاحظ : كان ابو عثمان الثوري يُجلِسُ ابنَه معه يوم الرأس ، وكان له يوم معروف يأكل فيه رأساً لا مَحالة ، وكان يُجلِس ابنه معه ويقول : إياكَ يا بُنيّ ونهَم الصبيان ، وأخلاقَ النّوائح ، ونَهشَ الأعراب ، وكُلْ مما يليك ، واعلم أنه إذا كان في الطعام لقمةٌ كريمة ، أو مضغة شهيةٌ ، أو شيء مُستطرَف ، فإنما ذلك للشيخ المُعظّم ، أو للصبيّ المدلل ، ولستَ بواحد منهما . وقد قالوا : مُدمِنُ اللحمِ كمُدمن الخمر.

أي بني ، عوّد نفسك الأثَرَة ومجاهدةَ الهوى والشهوة ، ولا تَنهشْ نهشَ السباع ، ولا تَخضَم[1] خضمَ البراذين ، ولا تُدمن الأكل إدمان النّعاج ، ولا تَلْقم لقمَ الجمال ، فإن الله جعلك إنساناً ، فلا تجعل نفسَك بهيمة . واحذر صَرعة الكِظّة[2] وسرف البِطنة ، فقد قال بعضُ الحكماء : اذا كنتَ نهماً فعُدّ نفسك

---

١ تخضم : تأكل بأقصى اضراسك .

٢ الكظة : الامتلاء من الطعام .

من الزَّمْنى[1] ، واعلم أن الشَّبع داعية البَشَم[2] ، والبَشَم داعية السّقم ، وانّ السقم داعية الموت ، ومن مات هـذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة ، لانــــه قاتلُ نفسِه ، وقاتل نفسه ألأم من قاتل غيره .

أي بني، والله ما أدّى حقّ الرّكوعِ والسجود ذو كِظّة ، ولا تخشع لله ذو بطنـة ، والصومُ مَصحّة ، والوجَبات[3] عيشُ الصالحين .

أي بني ، لأمر ما طالت أعمارُ أهل الهند ، وصحّت ابدان العرب ، ولله درِ الحارث بن كَلَدة ، اذ زعم ان الدواء هـو الأزْم[4] ، فالداء كلّه من فضول الطعام ، فكيف لا ترغب في شيء يجمع لك صِحّةَ البـدن ، وذكاء الذهن ، وصلاح الدين والدنيا ، والقُربَ من عيش الملائكة ؟

أي بني ، لِمَ صار الضبُّ أطولَ عمراً ، إلا لأنه يَتَبلّغ بالنسيم ؟ ولِمَ قال الرسولُ عليه الصلاة والسلام : إن الصوم وِجاء[5] ، إلاّ لانه جعله حاجزاً دون الشهوات ؟ فافهمْ تأديب

---

١ الزمنى : المرضى .
٢ البشم : التخمة .
٣ الوجبة : أكلة واحدة في اليوم والليلة .
٤ الأزم : الحمية .
٥ وجاء : اي يقطع الشهوة .

الله عز وجل ، وتأديب رسوله عليه الصلاة والسّلام .

أي بني ، قد بلغت تسعين عاماً ما نقصَ لي سن ، ولا انتشر لي عصب ، ولا عرفت ذنين أنف[1] ، ولا سيَلان عين ، ولا سَلَس بول ، ما لذلك علّة إلا التخفيف من الزاد . فان كنت تُحبُ الحياة فهذه سبيلُ الحياة ، وان كنت تُحب الموتَ فلا أبعدَ الله غيرَك .

---

١ ذنين الانف : سيلان مخاطه .

سياسة الابدان بما يصلحها

قال الحجّاج بن يوسف للباذون طبيبه : صِف لي صفةً آخذ بها نفسي ولا أعدُوها . قال له : لا تتزوّجْ مِن النساء إلا شابة ، ولا تأكل اللحمَ إلا فتيّاً ، ولا تأكله حتى تُنعِم طبخَه ، ولا تشرب دواء إلا من علّة ، ولا تأكلْ من الفاكهة إلا نضيجَها ، ولا تأكل طعاماً إلا أجدت مَضغه ، وكل ما أحببَت من الطعامِ ، واشرب عليه ، فاذا شربت فلا تأكلْ ، ولا تحبِس الغائط ولا البول ، وإذا أكلت بالنهار فنم ، وإذا أكلت بالليل فامشِ قبل أن تنام ولو مائة خطوة .

•

قيل ليهود خَيبر : بمَ صحَحتم على وباء خيبر ؟ قالوا: بأكل الثّوم ، وشُرب الخَمر ، وسُكنى اليَفاع[1] ، وتجنُّب بطون الأودية ، والخروج مِن خيبر عند طلوع النجم وعند سقوطه[2] .

•

---

١ اليفاع : ما أشرف وعلا من الأرض .

٢ النجم : هو الثريا ، تطلع مع الصبح في العشر الأوسط من أيار ، وتغرب مع الصبح في العشر الأوسط من تشرين الآخر اي الثاني .

وقال قيصر لقسّ بن ساعدة : صِف لي مقدار الأطعمة . فقال : الامساك عن غاية الاكثار ، والبُقيا على البدن عند الشهوة . قال : فما أفضل الحكمة ؟ قال : معرفة الانسان قدره . قال : فما أفضل العقل ؟ قال : وقوف الانسان عند منتهى علمه .

•

وسأل عبدُ الملك بن مروان أبا المفوّز : هل أتخمت قط ؟ قال : لا . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنا إذا طبخنا أنضجنا، وإذا مَضغنا دَقّقنا ، ولا نُكظ المعدة ولا نخليها .

•

وقيل لِبُزُرْجُمِهرَ : أيُّ وقت فيه الطعام أصلح ؟ قال : أمّا لمن قَدر ، فإذا جاع ، ولمن لم يقدر ، فإذا وجد .

•

وقال : أربعٌ يَهدِمن العمر ، وربما قتلن : الحَمّامُ على البِطنة ، والمُجامعةُ على الامتلاء ، واكلُ القديدِ الجافّ ، وشربُ الماء البارد على الريق .

•

وقال إبراهيم النظّام : ثلاثة أشياء تُفسِد العقل : طولُ النظر في المِرآة ، والاستغراقُ في الضحك ، ودوامُ النظر في البحر .

•

الأصمعي قال: جمع هارونُ من الأطبّاء اربعة: عراقيّاً، ورومياً، وهندياً، ويونانياً، فقال: ليصفْ لي كلٌّ واحد منكم الدّواء الذي لا داء معه.

فقال العراقي: الدواء الذي لا داء معه حَبُّ الرَّشادِ الابيض.

وقال الهندي: الاهليلج الاسود.

وقال الروميّ: الماء الحارّ.

وقال اليوناني – وكان أطبَّهم – حبّ الرشاد الابيض يولّد الرطوبة، والماء الحارّ يرخي المعِدة، والاهليلج الاسود يُرِقّ المعدة، لكن الدواء الذي لا داء معه أن تَقعد على الطعام وانت تشتهيه، وتقوم عنه وانت تشتهيه.

تدبير الصحة

ثم تذكُر بعد هذا من وصفِ الطعام وحالاتـــه ، وما يدخُل على الناس من ضروب آفاته ، بابـــاً في تدبـير الصحة لا تُقوَّم الابدانُ إلا به ، ولا تُنمَّى النفوس إلا عليه .

وقد قال الشافعي : العلم علمان : علمُ الأديان وعلم الأبدان.

ولم نجد بُـدّاً ، إذ كانت جملةُ هذه المطاعم التي بهـا نموّ الغِراسة ، وعليهـــا مدار الأغذية ، تضرّ في حالة ، وتنفع في اخرى ، من ذكر ما ينفع منها ومقدارِ نفعِه ، وما يَضرُّ منها ومبلـغ ضرّه ، وأن نحكمَ على كل ضربٍ منها بالاغلب عليـه من طِباعه ، وقلما نجـد شيئاً ينفع في حالة إلاّ وهو يضرّ في الاخرى ، ألا ترى أن الغيثَ ، الذي جعله الله رحمـةً لخلقه ، وحياةً لأرضه ، قد يكون منه السّيولُ المُهلكةُ ، والخرابُ المُجحف ؟ وأنّ الرياحَ ، التي سخّرها الله مبشّراتٍ بين يـدي رحمته ، قـد أهلكَ بها قوماً وانتقم بهـا من قوم ؟ وفي هذا المعنى قال حبيب الطائي :

ولم ترَ نفعاً عند من ليس ضائراً ؛
ولم ترَ ضَرّاً عند من ليس ينفعُ

قال خالد بن صفوان لخادمه : أطعمنا جُبناً ، فإنه يُشهّي الطعام ، ويهيجُ المعدة ، وهو حَمْضُ العرب . قال : ما عندنا منه شيء. فقال : لا عليك ، فانه يقدح الاسنان[1] ويشُد البطن.

ولما كانت أبدان الناس دائمة التحلُّل ، لما فيها من الحرارة الغريزية من داخل ، وحرارة الهواء المحيط بها من خارج ، احتاجت الى أن يُخلَف عليها ما تحلّل ، واضطرت بذلك الى الأطعمة والأشربة ، وجُعلت فيها قوة الشهوة ليُعلم بها وقتُ الحاجة منها إليها ، ومقدارُ ما يُتناول منها ، والنوعُ الذي يُحتاج اليه ، ولأنه لا يُخلِفُ الشيء الذي يتحللُ ولا يقوم مَقامَه إلاّ مثلُه ، وليس تستطيع القوة التي تُحيل الطعامَ والشراب في بدن الانسان أن تُحيل إلاّ ما شاكَلَ البدنَ وقاربَه . فإذا كان هذا هكذا، فلا بدّ لمن أراد حِفظَ الصحة أن يقصد لوجهين : أحدهما أن يُدخلَ على البدن الاغذيةَ الموافقة لما يتحلّل منه ، والآخر أن يَنفي عنه ما يتولّد فيه من فضول الأغذية .

---

[1] يقدحها : يحدث فيها أكالاً .

ما يصلح لكل طبيعة من الاغذية

وينبغي لك أن تعرف اختلاف طبائع الأبدان وحالاتها، لتعرف بذلك موافقة كلّ نوع من الاطعمة لكل صِنف من الناس. وذلك أن الأغذية مختلفة، فمنها معتدلة، كالتي يتولد منها الدم الخالص النقي، ومنها غيرُ معتدلة، كالتي يتولد منها البلغم والمِرّة الصفراء والسوداء، والرياح الغليظة، ومنها لطيفة، ومنها غليظة، ومنها ما يتولد منه كَيموس[1] لزج، وكيموس غير لزج. ومنها ما له خاصةُ منفعةٍ أو مضرّة في بعض الأعضاء دون بعض.

وكذلك الأبدان أيضاً، منها معتدِل مستولٍ عليه في طبيعته الدّم الخالص النقي، ومنها غير معتدل يغلب عليه البلغم أو إحدى المِرّتين، ومنها ما هو متخَلخِل[2] سريعُ التحلّل، ومنها مستحصِف[3] عسرُ التحلُّل، ومنها ما يكون في بعض

---

١ الكيموس: ما يستحيل اليه الغذاء من الدم، والبلغم، والصفراء، والسوداء، وهي اخلاط البدن.

٢ المتخلخل: ما كانت اجزاؤه غير متضامة.

٣ المستحصف: المستحكم، عكس المتخلخل.

أعضائها دون بعض . فقد يجب متى كان المستولي على البدن الدمُ النقي أن تكون اغذيته قَصداً في قدرها ، معتدلةً في طبائعها . ومتى كان الغالب عليه البلغم ، فيجب أن تكون مسخّنة او يغتذي بما يزيد في الحرارة ، ويقمع الرطوبة . ومتى كان الغالب عليه المِرة السوداء ، فينبغي له أن يغتذي بالأغذية الحارّة الرطبة. ومتى كان الغالب عليه المِرّة الصفراء ، فيغتذي بالأغذية الباردة الرطبة . ومتى كان البدن مستحصفاً عسرَ التحلـّل ، فينبغي أن يغتذي باغذية يسيرة لطيفة جافة . ومتى كان متخلخلاً فينبغي له أن يتغذى باغذية لزجة ، لكثرة ما يتحلل من البدن .

فهذا التدبير ينبغي ان يُلتزم ، ما لم يكن في بعض اعضاء البدن ألـَم ، فينبغي أن يستعملَ النظر في الأغذية الموافقة للعضو الألِم ، لأنـّا ربما اضطررنا الى استعمال ما يوافق العضوَ الألمَ إن كان مخالفاً لسائر البدن ، كما أنه لو كانت الكبد باردةً ضيّقة المجاري ، احتجنا الى استعمال الأغذية اللطيفة ، وتجنّبِ الأغذية الغليظة ، وإن كان سائرُ البدن غيرَ محتاج إليها لضعف أو نحافة ، لئلا تُحدثَ الطبيعةُ في الكبد سُدَداً ، وربما كانت الكبد حارّة فنحذّرُه الأغذية الحلوة ، وإن احتاج إليها ، لِسرعة استحالتها الى المرة الصفراء . وربما كانتِ المعدة ضعيفة ،

فتَحتاجُ الى ما يقوّيها من الاغذية ، وربما كان يولّد الطعامُ فيها بلغماً ، فتحتاجُ الى ما يجلوه ويقطعه ، وربما كان يتولد فيها المرة الصفراء سريعاً ، فتحتاجُ الى ما يَقمعُ الصّفراء ، والى تجنُّب الأشياء المولّدة لها . وربما كان الطعام يبقى على رأس المعدة طافياً ، فيستعملُ الاغذية الغليظة الراسية ليتثقّلَ بثِقلها الى أسفل المعدة ، وتأمرُه بحركة يسيرة بعد الطعام ، لينحطّ الطعام عن رأس المعدة . وربما كان فَضْل الطعام بطيء الانحدار عن المعدة والأمعاء ، فتحتاجُ الى ما يُحدِره ويليّن البطن . وربما كان رأس المعدة حارّاً قابلاً للحارّ فيتجنبُ الاغذية الحارة ، وإن احتاج اليها سائر البدن .

الحركة والنوم مع الطعام

وينبغي ألا يقتصرَ على ما ذكرنا دون النظر في مقدار الحركة قبل الطعام ، والنوم بعده ، فمتى كانت الحركة قبلَ الطعام كثيرةً ، غذيناه بأغذية كثيرة غليظة لزجة الى اليبس ما هي ، بطيئة التحلل ، ولم نأمره بالحمية ، لقلة الحاجة اليها ، ومتى لم تكن قبل الطعام حركةٌ ، أو كانت يسيرةً ، فينبغي الا يقتصرَ على الحمية ، بقلة الطعام ولطافته ، دون أن يستعينَ على تخفيفِ ما يتولّد في البدن من الفضول باستفراغ الأدوية المُسهّلة ، وبالحمّام ، وبإخراج الدم . ومتى كانت الحركة كافية ، استعملنا الاغذية المعتدلة في كثرتها ، وقدر لطافتها وغلظها. ومتى كان النوم بعد الطعام كثيراً احتجنا الى استعمال أغذية كثيرة غزيرة الغذاء، لطول الليل ، و كثرة النوم . ومتى كان النومُ قليلاً احتجنا الى الطعام القليل الخفيف اللطيف ، كالذي يُغتذى به في الصيف ، لقِصر الليل وقلة النوم .

تقدير الطعام

وما يقدم منه وما يؤخر

ويجب في الطعام أن يقدَّر فيه أربعة أنحاء : أولها ملاءمةُ الطعام لبدنِ المغتذي به في الوقت الذي يغتذي به فيه ، كما ذكرنا آنفاً : أنه متى كان الغالب على البدن الحرارة احتاج الى الأغذية الباردة . ومتى كان الغالب عليه البرد احتاج الى الاغذية الحارة . ومتى كان معتدلاً احتاج الى الاغذية المعتدلة المشاكلة له .

والنحو الثاني : تقدير الطعام بأن يكون على مقدار قوة الهضم ، لأنه وإن كان في نفسه محموداً وكان ملائماً للبدن ، وكان اكثرَ من قدر احتمال قوة الهضم ، ولم يستحكم هضمُهُ ، تولد منه غذاء رديء .

والنحو الثالث : تقديم ما ينبغي أن يقدّم من الطعام ، وتأخيرُ ما ينبغي أن يؤخّر منه . ومَثَلُ ذلك أنه ربّما جمع الانسان في أكلة واحدة طعاماً يليّن البطن ، وطعاماً يحبسه . فإن هو قدم الملينَ وأتبعه الآخرَ سَهُلَ انحدارُ الطعام منه ،

ومتى قدَّمَ الطعامَ الحابس وأتبعه المليِّنَ لم ينحدر وفسدا جميعاً .

وذلك أن المليّن حالَ فيما بينه وبين النزول الطعامُ الحابس فبقي في المعدة بعد انهضامه ، ففسَدَ به الطعامُ الآخر . ومتى كان الطعام الملين قبل الحابس انحدر المليّن بعد انهضامه ، وسَهّل الطريق لانحدار الحابس .

وكذلك أيضاً إنْ جَمَعَ أحدٌ في أكلة واحدة طعاماً سريعَ الانهضام وآخرَ بطيء الانهضام ، فينبغي له أن يقدم البطيء الانهضام ويُتبعه السريعَ الانهضامِ ، ليصير البطيء الانهضام في قَعر المعِدة ؛ لأن قعرَ المعدة أسخنُ ، وهو أقوى على الهضم ، لكثرة ما فيه من اجزاء اللحم المخالطة له ، وأعلى المعدة عصبي بارد لطيف ضعيف الهضم ، ولذلك إذا طفا الطعام على رأس المعدة لم ينهضم .

والنحو الرابع : أن من يتناول الطعامَ الثاني بعد انحدار الاول ، وقد قدَّم قبله حركة كافية ، وأتبعَه بنومٍ كافٍ ، استمرأه . ومن أخذ الطعام وقد بقي في معدته او أمعائه بقيةٌ من الطعام الاول غيرُ منهضمة ، فسد الطعام الثاني ببقية الاول .

الحركة والنوم مع الطعام

ومن أكل الطعامَ بعد حركةٍ كافية ، وأخذه على حاجةٍ من البدن اليه ، وافى الطعامُ الحرارةَ الغريزيةَ بمنزلة النار اذا اشتعلت . ومن تناولَ طعاماً من غير حركةٍ وأخذه على غيرِ حاجةٍ من البدن إليه وافى الطعامُ الحرارةَ الغريزية خامدةً ، بمنزلة النار الكامنة في الزناد .

ومن أتبعَ الطعامَ بنومٍ بطَنَت الحرارةُ الغريزيةُ فيه ، فاجتمعت في باطن البدن ، فهضمت طعامه .

ومن أتبع الطعامَ بحركة انحدر عن معدته غيرَ منهضِم ، وانبثّ في العروق غير مستحكِمٍ ، فأحدث سُدَداً وعللاً في الكبد والكُلى وسائر الاعضاء .

وربّما كانت الاطعمة لضعف المعِدة تطفو فيها وتصير في أعلاها ، فلا نأمره بالنوم حتى ينحدرَ الطعامُ عن المعدة بعض الانحدار ، حتى يصير في قعر المعدة .

وربما أمرنا بحركة يسيرة كما ذكرنا آنفاً لانحدار الطعام عن المعدة بعض الانحدار .

وإن اكثر الشرابَ منعَ الطعام من الانهضام ، لأنه يحول فيا بين جرم المعدة وبين الطعام ، وإذا لم تلق المعدةُ الطعامَ لم تحِلْه الى مشاكلة البدن وموافقته ، فيبقى فيها غير منهضم ، فيجب لذلك على مَن أخذ الطعام أن يتناول معه من الشراب ما يسكّن به جُلّ العطش ويصبر على قدر احتماله من العطش ، ويصبر حتى ينهضم ، ثم يتناول بعد ذلك من الشّراب ما أحبّ ، فإنه عند ذلك يعين على انحدار الطعام وترقيقه ، لتنفيذه في المجاري الدّقاق .

ويجب ايضاً ان يكون أخذه للطعام في وقت حركة الشهوة ، وذلك أنه اذا تحركت الشهوة ولم يبادر بأخذ الطعام اجتذبت المعدةُ من فضول البدن ما إذا صار في المعدة أبطل الشهوة ، وأفسد الطعام إذا خالطه .

الاوقات التي يصلح فيها الطعام

أجود الاوقات كلّها للطعام : الأوقات الباردة ، لجمعها الحرارةَ في باطن البدن ، فأمّا الأوقاتُ الحارة فينبغي أن يُجتنَب أخذُ الطعام فيها لأن حرارةَ الهواء تجذب الحرارةَ الباطنةَ الغريزية الى ظاهر البدن ويخلو منها باطِنُه فتضعف الحرارةُ في باطن البدن عن هضمه ، فلذلك كانت القدماء تفضّل العَشاء على الغَداء، لما يلحق العِشاء من اجتماع الحرارةِ في باطن البدن ، لبرد الليل والنومِ ، ولأن الحرارة في النوم تَبطُنُ وتسخّنُ باطنَ البدن ويَبردُ ظاهرُه، واليقظة على خلاف ذلك، لان الحرارة تنتشرُ في ظاهر البدن وتضعف في باطنه .

والذي يَحتاج الى كثرة الغذاء من الناس من كان الغالب على بدنه الحرارة ، وكانت كبِده لحرارتها سريعةَ التوليد للمرّة الصفراء، فلذلك يحتاج الى الاطعمة الغليظة البطيئة الانهضام ويَستمرئها ويستمرىء لحم البقر ، ولا يستمرىء لحم الدجاج وما أشبهه من الأطعمة الخفيفة .

ولا يصلح شيء من هذه الا في وقتِ تحرُّكِ الشهوة، فانه افضلُ وقتٍ يؤخذُ فيه الطعام .

والعادة في هذا حظ عظيم ، ألا ترى أنه من اعتاد الغداء

فتركه واقتصر على العشاء عظُم ضرر ذلك عليه ، ومن كانت عادته أكلة واحدة ، فجعلها أكلتين لم يستمرىء طعامه ؟ ومن كانت عادتُه أن يجعلَ طعامَه في وقتٍ من الاوقات ، فنقلَه الى غير ذلك الوقت أضرّ ذلك به ، وان كان قد نقله الى وقت محمود . فيجب لذلك ان يتبع العادة إذا تقادَمت ، فطالت ، وإن كانت ليست بصواب ، اذا لم يحدث شيء اضطره الى نقلها ، لانّ العادة طبيعة ثانية ، كما ذكر الحكيم أبقراط . فإن حدث شيء يدعوه الى الانتقال عنها فأوفقُ الأمور في ذلك أن ينتقل عنها قليلاً قليلاً .

وللشهوة ايضاً في استمراء الطعام اعظمُ الحظ ، لأنها دليلٌ على الموافقة والملاءمة ، فمتى كان طعامان مستويان في الجودة ، وكانت شهوةُ المحتاج اليهما أميَلَ الى أردئهما ، اخترناه على الأجود ، اذا لم نَخَف منه ضرراً أكثر مما ينال منه من المنفعة ، لحسن قَبول المعدة له واستمرائها اياه .

فقد بان أنه يحتاج في حسن استعمال الاغذية وجودة تخير الأطعمة الى معرفة اختلاف الطبائع وحالاتها .

فقد بيّنت اختلاف طبائع الأبدان وحالاتها ، وما يجب على كل واحدة منها من انواع الأطعمة والأشربة . وبقي ان أبين اختلاف قوى الأطعمة والأشربة ، وان أصف أنواعَ الاغذية ، وأسمّي في كل صِنف منها ، ان شاء الله تعالى .

الاطعمة اللطيفة

هي التي يتولد منها دمٌ لطيف . فمنها لُباب خبز الحِنطة ، والحَبّ المقشور ، ولحمُ الفَراريج ، ولحم الدُرّاج والطيّهوج[1] والحَجل ، وأجنحة جميع الطيور ، وما لانَ لحمه من صِغار السمك ولم تكن فيه لُزوجة ، والقرع والماشُ وما أشبه .

وهذا الجنس من الاطعمة نافع لمن ليست له حركة ، وكانت الحرارة الغريزية في بدنه ضعيفة ، ولم يأمَن ان يتولّد في بدنه كَيموس غليظ ، ويتولّدَ في كبِده او طِحاله سُدَد ، او في كلاه ، او في صدره ، او في دماغه ، او في شيء من مفاصله من البلغم .

---

١ الطيهوج : طائر شبيه بالحجل .

الاطعمة اللطيفة في نفسها

الملطفة لغيرها

هي التي يكون ما يتولد منها لطيفاً وتلطّف ما تلقاه من الكَيموس اللزج الغليظ في البدن .

وهذا الجنس من الاطعمة أربعة أصناف : صنف منها حلوٌ لطيف ، لما فيه من قوة الجِلاء[1]، مثلُ ماء الشعير ، والبطيخ ، والتين اليابس ، والجوز ، والقسطل[2] ، والعسل ، وما يعمل منه من الناطف . وهـذا الجنس في منفعته من جنس الاوّل من الاطعمة الملطِفة ، الا أنه ابلغ في تلطيف البدن .

والصنف الثاني حـــار حِرّيف[3] ، كالحُرْف ، والثّوم ، والكُرّاث ، والكَرَفس ، والكُرُنب ، والجِرجير ، والصّعتر ، والنُعنُع ، والرّازيانَج[4] ، والشّراب الاصفر اللطيف العتيق الحارّ .

وهذا كلّه نافعٌ لمن احتاج الى فتح السُّدَد التي في الكبـد والطّحـال والصدر والدماغ ، وتَقطيع البلغم وترقيقه . ولا ينبغي لأحد أن يُكثِر استعماله لأنه يرَقّق الدم أولاً ويصيّره

١ الجلاء : الصقل والكشف ، والاخراج من المعدة .

٢ القسطل : الكستناء .

٣ حريف : يلذع اللسان .

٤ الرازيانج : الشمرة .

مائياً ، فيقلّ لذلك غذاء البدن ، ويضعف ، ثم إنه يسخن البدن سُخونة مفرطة ، فيصير أكثره مِرّة صفراء ، ثم انه بعد ذلك إذا تمادى مستعملُه في استعماله حَلّل لطيفَ الدم وترك غليظَه ، فصار أكثره مِرّة سوداء ، وربما تولّد من ذلك حجارةٌ في الكلى . ومضرّة هذا الصّنف أشدّ ما تكون على من كانت المرة الصفراء غالبة عليه .

والصنف الثالث : يذيبُ ويلطّف بملوحته ، كالمُرْي[1] ، وما لان لحمه وقلّ شحمه من السّمك إذا مُلّح ، والدّلّق ، ومـاء الجُبن ، وكلّ ما جعل فيه من الأطعمة الملْحُ والمري والبُورَق . ومنافع هـذا الصنف ومضاره قريبة من منافع الأشياء الحرّيفة ومضارها ، إلا أن هذا الصنف في تنقية المعدة والأمعاء وتليين الطبيعة أبلغ :

والصنف الرابع : يقطع ويلطف بحمُوضته ، كالخـلّ ، والسّكنجَبين[2] ، وحُمّاض الأترج[3] ، وماء الرمّان الحامض ، وكلّ ما يتّخذ بها من الأطعمة . وهـذا الصنف نافعٌ لمن كان معدته وسائر بدنه حاراً إذا تولّد فيها بلغم من غلظ ما يتناول من الأغذية ومِن كثرتها .

---

١ المري : ضرب من الأدوية القديمة التي استخرجها الكلدانيون والقبط ، وأجوده المتخذ من دقيق الشعير والفوتنج البري ، اي النعنع الاترجي ، والملح .

٢ السكنجبين : كل حامض وحلو معاً .

٣ حمّاض الاترج : ما في جوفه . والأترج : الكبّاد .

الاطعمة الغليظة في نفسها

الملطفة لغيرها

منها البصل ، والجزَر ، والفُجل ، والسّلجَم[1] وما أشبه ذلك . فهذه الأطعمة في نفسها غليظة وتلطّف ما تلقى من الشيء الغليظ ، بما فيها من الحدّة والحرافة ، وهي تولّد كَيموساً غليظاً . ومتى ما طُبخ شيء منها أو شُوِي ذهب عنه قوة الحرافة والتقطيع ، وبقي جِرمُه غليظاً رديئاً ، وقد يُتناولُ للمنفعة بتقطيع هذه الأطعمة وتلطيفها ، ويُسلَمُ من غِلَظ جِرمِها على إحدى ثلاث جهات : إما أن تُطبخ فتلطُف ، كالذي يُفعل بالبصل ، وإما أن تُعصَر أو تُطبخ ثم يستعمل ماؤها ، وإما أن تؤكل نيئة فتُقطّع البلغم ، كالذي يفعل بها جميعاً .

---

١ السلجم : اللفت .

الاطعمة الغليظة

الغالب على الأطعمة الغليظة كلها اليُبس واللزوجـة . فمنها شيء يكون اليبس واللّزوجة من طبعـه . ومنها ما يكتسب اليبس من غـيره . فالذي يكون اليبس من طبعه العـدَس ، ولحم الأرانب ، والبلّوط ، والشاه بلّوط[1] ، والكمـأة ، والباقِلى[2] المقلوّ . هذه كلّها غليظة ، لأن اليُبس في طبائعها .

وأما الذي يكتسب اليُبس من غـيره فالكُبُود والبيض المسلوق والمشويّ وما قُلي منه، واللبنُ المطبوخ طبخاً كثيراً، والضُروع[3] ، وعصيرُ العنب المطبوخ ، لا سيما إن كان العصير غليظاً . فهذه كلّها غليظة ، لأن الحرارة بالطبخ أحدثت لها يُبساً وانعقاداً .

واما لحوم الابل، ولحوم التيوس ، ولحوم البقر، والكروش

---

١ الشاه بلوط : الكستناء .

٢ الباقلى : الفول .

٣ الضروع ، الواحد ضرع : مدرّ اللبن ، وهو للشاه والبقر وغيرها كالثدي للمرأة .

والأمعـاء ، فإنها غليظة بصلابتهـا . وكذلك الترمس ، وثمر الصنوبر ، والسلجم ، واللوبيا ، وما خُـبز على الفُرن ، فإن ظاهره غليظ لمـا أحدثت له النار من اليبس ، وباطنـه غليظ لما فيه من اللزوجة .

وكذلك كل ما لم يُجَوَّد عجنه او خبزه أو إنضاجـه من خبز التنّور، وكل ما خُبز على الطابق بدُهن أو غيره ، والسّمْن والفُطْر والشُّهد واللبن والأدمغة ، فإنها كلّها غليظة للزوجـة فيها طبيعية .

وأما الفالوذج فإنـه غليظ للزوجته ، والانعقـادِ الحادث له من الطبخ .

وأمّا الباذنجان فإنه غليظ لليبس وللزوجة في طبعه .

وأما الخبز فانه غليظ لاجتماع الحالات الثلاث فيه .

فأمّا السمك الصُّلب اللزج فإنه غليظ ، لاجتماع الصلابـــة واللزوجة فيه .

وأمّا الآذان والشفاه وأطراف العَضَل، فإنها تولّد كيموساً لزجاً ليس بالغليظ، وقد تولّد ما يعرض من الأغذية الباردة عن هضمها وتلطيفها ، كالذي يعرِض من أكل الفاكهة قبل نُضجها ، ومن أكل الخيـار والقِثّاء ، وشحم الأترجّ واللبن الحامض .

فهذه الاطعمة الغليظة كلها إن صادفت بدناً حاراً كثيرَ التعب ،

قليلَ الطعام ، كثير النوم بعد الطعام ، انهضمت وغذّت البدن غذاء كثيراً نافعاً ، وقوّته تقوية كثيرة .

وأحمد ما تُستعمل هذه الاغذية في الشتاء ، لاجتماع الحرارة في باطن البدن وطولِ النوم ، ومتى احسّ أحدٌ في بدنه نقصاناً بيناً . وإن أكلها من يجد الحرارةَ في بدنه قليلةً ، ولا سيما في معدته ، وتعبُه قليل ، ونومُه بعدَ الطعام قليل ، لم يستحكم انهضامُها ، وتولّدَ منها في البدن كيموسٌ غليظٌ حار يابس يتولد منه سددٌ في الكبد والطّحال . فلذلك ينبغي لمن أكل طعاماً غليظاً من غير حاجة اليه لعلة أو شهوة أن يقل منه ولا يُفرده ولا يُدمنه .

وما كان من الأطعمة الغليظة له مع غِلظِه لزوجة فهو أغذاها للبدن ، فإن لم تنهضم فهو أكثرها توليداً للسدد .

الاطعمة المتوسطة

المتوسطةُ بين الغليظةِ واللطيفة، تصلُح لمن كان بدنُه معتدلاً صحيحاً، ولم يكن تعبُه كثيراً.

وأجود الأغذية له المتوسطة، لانها لا تنهكه ولا تُضعِفه كاللطيفة، ولا تولّد خاماً[1] ولا سُدَداً كالغليظة، وهي كل ما أحكم صنعه من الخبز، ولحوم البقر، والدجاج، والجداء، والحوليّة من الماعز. وأما لحوم الخِرفان والضأن كلتُها فرطبة لزجة. وأما لحم فراخ الحمام والقَطا فهي تولّد دماً سخناً، وأغلظ من الدم المعتدل. وأما فِراخ الوَراشين[2] فإنها مثلُ فراخ الحمام والقطا والاوَزّ، فأجنحتها معتدلة، وسائر البدن كثير الفضول.

وكلُّ ما كثُرت حركتُه من الطير وكان مرعاه في موضعٍ جيّد الغذاء، صافي الهواء، كان أجودَ غذاء وألطف. وكلُّ ما كان على خلاف ذلك فهو اردأ غذاء وأوسخ.

---

١ الخام : مادة مائية غليظة فاسدة.

٢ الوراشين، الواحد ورشان : القمريّ، اليام المطوق، طائر شجي الصوت.

وكل ما لم يستحكم نضجُه من البَيض ، وخاصةً ما أُلقِيَ على الماء الحارّ ، وأُخذ من قبل ان يشتدّ ، فهو معتدل .
وكلُّ ما كان من لحم السمك ليس بصُلب ولا كثير اللزوجة والزُّهومة ، وكان مرعاه ماءً نقياً من الأوساخ والحَمْأة ، فهو معتدل جيد الغذاء .

ومن الفواكه التين والعنب ، إذا استَحكم نضجُهما على الشجر واسرعا الانحدارَ الى الجوف ، كان ما يتولّد منهما معتدلاً ، فإن لم يسرعا الانحدارَ فلا خير فيهما .

ومن البقول الهِندبا ، والخسّ ، والهِليَون .

ومن الأشربة ما كان لونه ياقوتياً صافياً ، ولم يكن عتيقاً جداً .

الاطعمة الحارة

يحتاج اليها مَن كان الغالب عليه البرودة ، وفي الأوقات الباردة والبلاد الباردة. وينبغي أن يجتنبها من كان حارّ البدن ، وفي الأوقات الحارة ، وفي البلاد الحارة . منها الحِنطة المَطبوخة ، والخبز المتّخذ من الحنطة ، والحِمّص ، والحُلبة[1] ، والسّمسم ، والشّهدانج[2] ، والعنب الحلو ، والكَرَفس ، والجِرجير ، والفُجل ، والسّلجم ، والخردل ، والثّوم ، والبصل ، والكُرّاث ، والخمر العتيق . وأسخن الأشربة الحارّة العتيقُ الأصفر .

---

١ الحلبة : حب عطري .

٢ الشهدانج : حبّ القنّب .

الاطعمة الباردة

ينبغي أن يستعملها مَن كان حارّ البدن ، وفي الأوقات الحارة ، والبلد الحار . وهي الشعير وكلُّ ما يُتّخذ منه ، والجاوَرْس[1] ، والدُّخْن ، والقَرع ، والبِطّيخ ، والخيار ، والقِثّاء[2] ، والاِجّاص ، والخوخ ، والجُمّار[3] ، وما بين الحموضة والعُفوصة[4] ، من العنب والزّبيب ، والطَّلْع[5] ، والبلَح ، والخَسّ ، والهِندَبا ، والبقلة الحمقاء ، والخَشْخاش ، والتُّفّاح ، والكُمّثرى[6] ، والرُّمّان . فما كان من الرمان عَفِصاً فهو بارد غليظ ، وما كان حامضاً فهو بارد لطيف. فأما الخلّ فهو باردٌ لطيف ، وهو ضارّ بالعصب . وما كان أيضاً من الشّراب عَفِصاً فهو أقلُّ حرارة ، وما كان من ذلك حديثاً غليظاً فهو بارد .

---

١ الجاورس : الدخن ، ضرب من الذرة .
٢ القثاء : ما نسميه بالمقتي .
٣ الجمار : شحم النخل .
٤ العفوصة : المرارة والقبض .
٥ الطلع من النخل : شيء يخرج كأنه نعلان مطبقتان والحمل بينهما منضود .
٦ الكمثرى : شجر الاجاس .

الاطعمة اليابسة

يحتاج الى الأطعمة اليابسة مَن كان الغالب على بدنه الرُّطوبة، وفي الأوقات الرَّطبة ، وللبلد الرطب . منها العدَس ، والكُرُنْب ، والسَّويق ، وكل ما يُشوى ويُطبخ ويُقلى ، وكل ما أكثِر فيه السَّذاب والمُرْي والخلُّ والأبزار والخردل ولحمُ المُسنّ من جميع الحيوان .

الاطعمة الرطبة

يحتاج الى الأطعمة الرَّطبة من أفرط عليه اليُبس ، وفي الأوقات اليابسة والبلد اليابس . وهي : الشعير ، والقَرع ، والبطيخ ، والقِثّاء ، والخيار ، والجوز الرَّطب ، والعِنب ، والنَّبق ، والاجّاص ، والتُّوت ، والجُمّار ، والخس ، والبقلة اليمانيّة ، والقِطف[1] ، والباقِلاء[2] الرَّطب ، والحِمّص الرَّطب ، واللُّوبيا الرَّطبة ، وكلُّ ما يُطبَخ بالماء ويُسلق به وتُقَلّ فيه الأبزار والخلّ والمُرْي ، والسَّذاب ، وجميعُ لحوم صغار الحيوان .

١ القطف : بقلة تشبه الرجلة .

٢ الباقلاء : الفول.

الاطعمة القليلة الفضول

أجنحةُ الطيور ، وأكارع المواشي ، ورقابُها ، وما يربّى في البرّ من الحيوان في المواضع الجافّة .

الاطعمة الكثيرة الفضول

منها لحم الاوزّ خلا الاجنحة ، والاكباد كلها من جميع الحيوان، والنُّخاع والدّماغ ، والطيور التي في الفيافي والآجام، والحِمّص الطريُّ ، والباقلاء الطّري، ولحم الضأن ، ولحم المراضع من كلّ الحيوان، ولحم كلّ ساكن غير سريع النهوض، وما كان من السّمك على ما ذكرنا صُلباً لزِجاً .

الاطعمة التي غذاؤها كثير

كلُّ ما غلُظ من الاطعمة إذا انهضم غذّى غذاءً كثيراً . وكلّ ما كان له فضول[1] كان غذاؤه كثيراً .

وقد يحتاج الى الاطعمة الكثيرة الغذاء مَن احتاج الى أن يأخذ طعاماً قليلاً يغذّي غذاءً كثيراً ، كالناقِهِ والمسافر ، وكالذي يُثقِل معدته الكثيرُ من الطعام وبدنُه يحتاج الى غذاء كثير .

فمن ذلك لحم البقر ، والأدمغة ، والأفئدة ، وحواصل الطير كلها ، والسّمك الغليظ اللوح ، والسّميد ، والباقِلاء ، والحمّص ، واللّوبيا ، والتُّرمُس ، والعدَس ، والتّمر ، والبَلّوط ، والشاه بَلوط ، والسّلجم ، تغذو غذاءً كثيراً لغلظها . واللبن الحليب والشّراب الأحمر . وغذاء اللبن كله أغلظِه وأرقّه ، أقلُّ غذاء . وأغلظُ اللبن لبنُ البقر ولبن النعاج ، وأرقّه لبن الأتن[2] وألبان اللّقاح . وألبان الماعز متوسّطة بين ذلك .

---

١ فضول البدن : ما يخرج من منافذه خروجاً طبيعياً كالريق والعرق وغيرهما.

٢ الاتن ، الواحدة الأتان : أنثى الحمار .

وأغذى الأشربة النبيذُ الأحمر الغليظ الحلو ، ثم الغليظ الاسود الحلو ، ثم الغليظ الابيض الحلو ، ثم مِن بعد هذه الأشربةُ العَفِصة الغليظة الحلوة . وكُلما مال الى الحمرة والحلاوة كان أغذى . والابيضُ أقلها غذاء .

الاطعمة التي غذاؤها قليل

كلُّ ما كان من الأطعمة لطيفاً كان غذاؤه قليلا ، وكلُّ ما أفرط فيه اليُبْس أو الرُّطوبة أو كثرة الفَضْل قلَّ غذاؤه ، كالأكارع ، والكروش ، والمصارين ، والشَّحم ، والآذان ، والرِّئة ، ولحم الطير كلّه . وما مُلِّح من الحيوان قليل الغذاء ، لليبس الذي فيه . وكذلك الزيتون ، والفُستَق ، والجوز ، واللوز ، والبندق ، والغُبَيرا[1] ، والزُّعرور ، والخَرُّوب ، والبُطم[2] ، والكُمَّثرى العَفِص ، والزَّبيب العفِص ، فإنما قلَّ غذاؤه للعفوصة .

وأمّا السَّمك والقرع ، والرُّمان والتوت ، والإجّاص والمِشمِش ، فإنما قلَّ غذاؤها لكثرة رطوبتها . وغذاؤها غير باقٍ سريعُ التحلُّل .

وأمّا خبز الشَّعير والخُشْكار[3] ، والباقِلاء الرَّطب ، وجميعُ البقول ، مثل الكرُنْب ، والسِّلق ، والحُمّاض ، والبقلة الحمقاء ، والفُجل ، والخَردل ، والحُرْف ، والجزَر ، فقليلةُ الغذاء ، لكثرة الفَضْل فيها . وأمّا البصل والثُّوم والكرّاث فإنها إذا أُكلت نيئة لم تغذّ . واذا طبخت غذّت غذاء يسيراً . وأمّا التّين والعنب فإنهما بين ما قلَّ غذاؤه وما كثر غذاؤه .

---

١ الغبيرا : هو ما يسمى بالقراصيا .

٢ البطم : الحبة الخضراء ، ثمرها شبيه بالفستق .

٣ الخشكار : الدقيق الخشن الذي لم ينخل .

الاطعمة التي تولد كيموساً جيداً

كلُّ ما كان معتدلاً من الأطعمة لم تُفرِط فيه قوة ولا تجاوزت القدرَ فيه وَلَّدَ دماً خالصاً نقيّاً صحيحاً . وكلُّ ما كان كذلك فهو موافقٌ لجميع الأبدان، وفي جميع الأوقات، وهو لجميع الأبدان المعتدلة في الأوقات المعتدلة اوفق ، لأنَّ ما تجاوَزَ الاعتدالَ من الأبدان يحتاج من الاطعمة الى ما فيه قوة تجاوز الاعتدال ، وكذلك الابدان المعتدلة في الاوقات التي ليست بمعتدلة .

وفي الاطعمة المعتدلة ما هو غليظ ، وما هو لطيف ، وما هو بين ذلك . وأجودُها لجميع الناس ما كان معتدلاً منها ، بين الغليظ واللطيف . وقد وصفنا الاطعمةَ الغليظة واللطيفة والمتوسطة ، ومتى يصلُح كلُّ صِنف منها . فبقي علينا أن نخبر بجملةِ الاطعمة المولِّدة الكيموسَ الجيِّد ، وقِسمتها على ما قسمناها .

فمن ذلك : خبز الحِنطة النقيّ المحكم الصّنعة إن كان من يومه ، ولحم الدّجاج والجِداء ، وحَوليّة الماعز ، وما كان

من السمك ليس بصلب ولا كثير اللُزوجة ، وما لم يكن له ُزهومة[1] ، وما لم يكن له سِمَن كثير ، وما كان مرعاه في ماء ليس فيه أوساخ ولا حَمأة ، ولم يكن سريعَ العفونة ، وكلُّ ما اشتدَّ واستحكم نُضجه من البيض ، وكلُّ شراب طيّب الريح ، ياقوتيّ اللون ، ليس فيه حلاوة ، وكلُّ ذلك يولد كَيموساً معتدلاً بين اللطيف والغليظ .

وأمّا الدُرّاج والفراريج ، وأجنحةُ جميع الطير ، وما صَغُر من السمك وكان مرعاه على ما وصفنا ، وما أُلقي عليه من السمك الملحُ فصار رَخصاً ، وذهبت لزوجته ، وأمّا كَشْك الشعير[2] ، والشّرابُ الطيّب الرائحة ، الاحمر ، فكلُّ ذلك جيد الكيموس لطيف .

وأما اللبن الحليب فإنه جيد الكَيموس ، إلا أنّ فيه غلظاً . ولذلك ربّما تجبّن في المعدة . فلهذه العلة يخلط به العسل والملح ويُرَقّ بالماء . وأجود اللبن وأعدله لبن الماعز ، لأنه ألطف من لبن الضأن والبقر ، وأغلظ من لبن الأتن واللّقاح[3] .

وينبغي للّبن أن يؤخذ من حيوانٍ صحيح شابّ ، جيّد

---

١ الزهومة : ريح لحم سمين منتن .

٢ كشك الشعير : ماؤه .

٣ اللقاح ، الواحدة لقحة : الناقة الحلوب .

الغذاء. ولا يُستحبُ في وقتِ ما يضع الحيوان، ولا بعد ذلك بزمانٍ طويل؛ لانَّ اللبن من الحيوان في وقتِ ما يَضعُ غليظٌ، ثم يرقّ بعد ذلك قليلاً قليلاً حتى يصير مائياً، فلذلك كان أوّله وآخره رديئاً. وأجود ما يُؤخَذ اللبن ساعةَ يُحلب، قبل أن يغيّره الهواء، لانه سريع الاستحالة. واما الخُشكار من الخُبز الرّطب، وكلُّ ما لم تُحكَم صنعتُه من خُبز السّميد، وخُبز الفرن، ولحم العجل، ومن اجزاء الغنم: الضّرع والكبد والفؤاد، ومن الحبوب الباقِلاء، ومن الشراب ما كان طيب الرائحة حلواً، فكلُّ ذلك يولد كَيموساً غليظاً جداً.

•

الاطعمة التي تولد كيموساً رديئاً

كل ما لم يكن معتدلاً من الاغذية لم يولّد دماً خالصاً صافياً.

والاطعمة الرديئة الكَيموس ثلاثة أصناف : منها ما يزيد في البلغم، ومنها ما يزيد في الصّفراء، ومنها ما يزيد في السوداء.

وينبغي لجميع الناس أن يتجنّبوا الإكثار منها ، وإدمان استعمالها ، وإن كانوا لها مستمرئين ، لانّها وان لم يتبيّنْ لها ضررٌ في عاجل الامر يجتمع منها في بدن مُدمنِ استعمالها مع طول الزّمان كيموس رديء ، يولد امراضاً رديئة . وأولى الناسِ بتجنُّب كل صِنف من أصنافها مَن كان الغالب على بدنه ما يزيد فيه ذلك الصنف .

فأقول : إنّ كلّ ما يُتّخذ من الخبز من دقيق كثير النُّخالة ، أو ما عَتُق من الحنطة ، رديء الكيموس ، يزيد في السوداء .

ولحم الضّأن كلّه يزيد في البلغم ، ولحم الماعز المسنّ كلّه يزيد في السوداء ، وأردؤه لحم التّيوس . ولحم البقر والجَزور والارانب والظّباء والأيايل[1] ، كلُّ هذا يزيد في السوداء ، وشرُّ

---

[1] الايايل : الواحد إيّل ، والانثى إيلة . فالإيل : الوعل ، وانثاه الأروى .

هذه اللحوم لحم الجزور ، وبعـده لحم التيوس ، لا سيما ما لم يُخصَ منها ، وبعده لحم المسنّ من الضأن ، وبعده لحم البقر . وكل ما خصي من هذه كان أجود غذاء .

وأما لحم الارانب والظباء والأيايل فهو دونَ جميعِ ما ذكرنا في الرداءة ، ومن اعضاء جميع الحيوان الكُلى رديئة الكيموس ، لزُهومتها وما استفادت من رداءة البَوْل .

والدّماغ يزيد في البلغم ، وكلُ البطون تزيد في البلغم ، لكثرة الفضول فيها . والبيض المطجّن[1] يولد غـذاء غليظاً فاسداً ، وكذلك الجبن ، ولا سيما ما عَتُق منه . والعدس يزيد في السوداء . والدُّخن والجاوَرْس يولدان دماً غليظاً . وما صلُب لحمه من السمك وغلبت عليه اللُزوجة يولد البلغم ، فان ملّح وعَتُق ولّد السوداء .

والتّين اليابس إن أكثِر أكله ولّد قَمْلا عَفِناً يكثر منه القمل . والكُمّثرى والتفاح إن أُكلا غـيرَ نضيجَين ولّدا كيموساً رديئاً بارداً . وكذلك القِثّاء والخِيار . فأمّا البطيخ والقرع فربّما انهضما ولم يُحدِثا في البدن حدثاً رديئاً ، وربما فسدا في المعدة ، فولّدا كيموساً رديئاً ، ولا سيا إن صادفا في

---

١ المطجن : المقلو في الطاجن ، والطاجن : ما يقلى عليه او فيه .

المعدة فَضْلاً رديئاً ، فلذلك تعرِض الهَيْضة[1] كثيراً لمن أكل البِطّيخ .

والبقول كلها رديئة الكيموس ، لكثرة الفَضْل فيها ، وقلّة الغذاء ، وأمّا البصل والثُّوم والكُرّاث والفُجل والجزر والسّلجم فرديئة ، لما فيها من الحرارة والحَرافة ، وربما زادت في الصفراء ، وربما زادت في السّوداء ايضاً ، كما ذكرت لك آنفاً ، الا أنها إن طُبخت وصُبّ ماؤها وطبخت بماء ثانٍ ذهبت الحَرافةُ والرّداءة عنها .

والباذروج[2] يسخّن الدم ويجفّفه تجفيفاً شديداً . والكرنب يولد السوداء ، وكذلك جميع البقول الرديئة .

---

١ الهيضة : القيء .

٢ الباذروج : بقلة تسمى الريحان الأحمر .

الاطعمة المتوسطة الكيموس

وهي بينَ مايولّد الكيموس الجيّد، وما يولّد الكيموس الرديء، فمنها خبز الخُشكار، ولحم الخِصيان من المعز والضّأن. ومن الاعضاء: اللسان، والأمعاء، والذّنَب. ومن الفاكهة: العنب، والبطيخ، والمعلّق من العنب أجود، والتين اليابس مع الجَوز، والشّاهبَلّوط. ومن البقول: الخسّ وبعده الهِندَبا، وبعده الخُبّازى، وبعده القِطف[1]، والبقلة الحمقاء اليمانية[2]، والحُمّاض[3]، وما لم يكن فيه حدّة كثيرة من الأصول.

---

١ القطف، بكسر القاف: الثمار المقطوفة، والعنقود، وبفتح القاف: الاسفاناخ، اي ما نسميه سبانخ.

٢ البقلة اليانية: الاسفاناخ التوتي.

٣ الحماض: عشبة ورقها كالهندبا، وهو المعروف بالحمّيضة.

الاطعمة السريعة الانهضام

وإنما يسرع الانهضام لأحد وجهين :

فالوجه الاول منهما : إذا كانت الاطعمة غير يابسة كالعدس، ولا صلبة كالتُّرمُس، ولا لزجة كالحِنطة، ولا خشِنة كالسّمسم، ولا كريهة كالسّذاب، ولا كثيرة الفضول كالأرزّ، ولا يغلب عليها برد شديد كاللبن الحامض ، ولا حرّ شديد كالعسل .

والوجه الثاني : لطبيعة البطن المستمرىء لها وذلك لاحد وجهين :

الاوّل : موافقة الاغذية ، ومشاكلة الابدان الطبيعية ، كالاطعمة التي يشتهيها ويلَذّها الانسان، فقد تجد الناس يختلفون في شهواتهم ويستمرىء كلّ واحدٍ منهم ما شهوته اليه أميَل ، وإن كان الذي لا يشتهيه أحمد من الذي يشتهيه .

والوجه الثاني : لمِزاجٍ عارِض يصادف من الطعام مضادّة كالذي ترى ، أنّ من غلب عليه الحَرّ لعلّةٍ من العلل كان للاطعمة الباردة أشدّ استمراء ، لما تُطفىء من حرارة البدن وتعدّله . ومَن غلب عليه البرد استمرأ الحار ولم يستمرىء البارد. ومن رَطُب بدنُه كله أو معدته استمرأ الاطعمة الجافة

ولم يستمرىء الرّطبة ، ومَن عرض له اليُبس خلاف ذلك .

فقد بان بما ذكرناه ان الاطعمة اللطيفة والمتوسّطة في نفسها ، سريعةُ الانهضام . وقد يجوز أن تكون الاطعمةُ الغليظة أسرع انهضاماً في بعض الأبدان أيضاً ، فقِشر الخبز المحكم ، ولحم الدجاج والفراويج والدُرّاج والحجَل ، وكبود الاوز وأجنحتها ، سريعة الانهضام . وفي الجملةِ : الجناحُ من كلّ طائرٍ أسرعُ انهضاماً من سائره . وليس الطير كله بأسرع انهضاماً من المواشي.

وكلُّ ما كان من الحيوان يابساً فصغيره أسرعُ انهضاماً . وكذلك لحم العجاجيل أسرع انهضاماً من لحم البقر ، ولحم الجدي الحَوليّ اسرعُ انهضاماً من لحم المسنّ من الماعز .

وكلُّ ما كان من الحيوان أرطبَ فكبيره من قبل ان يشتدّ أسرعُ انهضاماً من صغيره. الا ترى أنّ الحوليّ من الضأن أسرع انهضاماً من الخروف ؟

وكلُّ ما كان مرعاه في المواضع اليابسة أسرعُ انهضاماً مما كان مرعاه في المواضع الرطبة . وكلُّ ما كان جِرمه متخلخلاً فهو أسرعُ انهضاماً مما كان جرمه متلزّزاً . ولذلك كان الجَوز أسرع انهضاماً من البندق . والبيض الحارُّ أمرأ من البيض البارد . والشراب الحلو أمرأ من العفِص[١] .

---

١ العفص : ما كان فيه العفوصة ، وهي المرارة والقبض .

الاطعمة البطيئة الانهضام

وانما يعسر الانهضام من الطبيعة في الطعام اذا كان يابساً، او صلباً، أو لزجاً، أو متلزّزاً[1]، أو كثير الدسم، أو كثير الفُضول، أو كريه الطعم، أو الحرافةُ فيه مفرطةٌ او البردُ أو الحرّ، أو مخالفاً للمِزاج الطبيعي اذا لم يُشتَهَ. فلحمُ البقر ولحم الابل، والكروشُ والأمعاء، والاوزّ، والآذان من جميع الحيوان، والجبن، والبيض البارد، عسرة الانهضام ليُبسها وصلابتها. وكذلك من الطير الوَراشِينُ والفَواختُ[2] والطواويس. والقوانص من جميع الطير عسرة الانهضام.

ومن الحبوب: الارزّ، والتُّرمس، والعدَس، والدُّخن، والجاوَرس، والبلوط، والشاهبلوط.

وأمّا لحم التيوس، وأكارعُ البقر، فعسرة الانهضام،

---

[1] المتلزز: المجتمع الشديد.

[2] الفواخت، الواحدة فاختة: حمامة وحشية مطوّقة.

لزهومتها وكراهتها . وأمّا لحم الضّأن ، والكبودُ من جميع الحيوان والاِوزّ فلكثرة الفضول فيها . وأمّا الجبن الحامض فلبرده . وأما الحِنطة المسلوقة فللزوجتها وتلزّزها. وأما الباقِلاء واللوبيا فلكثرة النّفخ فيهما . وأما السّمسم فلكثرة دُهنه . وأمّا العنب والتين وسائرُ الفواكه إذا لم يستحكم نضجُها ، والاترجُ والباذَرُوج والسّلجَم والجَوز والشّراب الحديث الغليظ ، فلكثرة الفضولِ فيه .

الاطعمة الضارة للمعدة

السّلق رديء للمعـدة ، للذعه إياها ، ولما فيه من الحِـدّة البُورَقيّة . والباذَرُوج والسّلجم ما لم يُستقصَ طبخهما للذع فيهما . والبقلة اليمانية والقِطف للزوجتهمـا ، فلذلك ينبغي أن يؤكلا بالخلّ ، والمُرّي . والحلبةُ رديئة للمعدة ، للذعها إياها ، والسّمسم رديء للمعدة للزوجته و كثرة دهنه ، واللبن لسرعـة استحالته في المعدة ، والعسل ما أكثِر منه لَذَع المعدة وأغثاها . والبطّيخ أيضاً يُغثي ، وإذا لم ينضج في المعدة ولّد كيموساً رديئاً ، فينبغي بعد أكل البطيخ أن يأكل طعاماً كثيراً جيّد الكيموس .

والأدمغة أيضاً كلها رديئة للمعدة ، فلذلك ينبغي أن تؤكل بالصّعتر ، والفُودَنج[١] البرّي ، والخردلِ ، والملح . و كذلك أيضاً المِخاخ . والنبيذ الحديث الغليظ الأسود العَفِص يُسرع الحموضة في المعدة ويُغثي .

---

١ الفودنج : نوع من النعنع البري .

الاطعمة التي تفسد في المعدة

المِشمِش ، والسمسم ، والتُّوت ، والبطيخ ، إذا لم يسرع انحدارها عن المعدة وصادفت فيها كَيموساً رديئاً أسرع إليها الفساد . فيجب أن تؤكل قبل الطعام والمعدةُ نقيّــة ، ليسرعَ انحدارُها عنها ، ويسهلَ الطريقُ لما يؤكل بعدَها من الطعام ، فإن أكلت بعد الطعام فسدت لبقائها في المعدة ، وأفسدت سائرَ الطعـام بفسادها ، وربما بلغ الفسادُ بهـا الى أن تصير بمنزلة السم القاتل .

الاطعمة التي لا يسرع اليها الفساد

في المعدة

من كان يفسد طعامه في معدتـه فأجود الأطعمة له ما كان غليظاً بطيء الانحدار ، مثل لحم البقر ، وأكارعها ، وما أشبه ذلك ، مما قد ذكرناه في الأطعمة الغليظة .

الاطعمة الملينة المسهلة للبطن

كلُّ ما كان من الأطعمة فيه حلاوةٌ أو حِدّةٌ أو ملوحة أو لزوجة . فمن ذلك ماء العدَس ، وماء الكرُنب يلينان البطن ، وجِرمُهما يُمسِك البطن ، وكذلك مَرقة الديوك العتيقة ، وخُبز الخُشْكار ، وماء الحلبة مع العسل ، وزيتونُ الماء إذا كان قبل الطعام مع مُرْيٍ ليّنَ البطن ، فإن كان أيضاً بعد الطعام بلا مُرْي فإنه يقوّي المعدةَ على دفع الطعام لعفُوصته . وكذلك ما عُمل منه بالخلّ .

وكلُّ طعام عَفِصٍ فإنه دابغٌ للمعدة مقوٍّ لها .

فأمّا اللبن وماء الجبن ، فيليّنان البطن ، ولا سيما إذا خلط به الملح .

ولحم الصغير من الحيوان ، والسّلقُ ، والقِطف ، والبقلة اليمانية ، والقرع ، والبطيخ ، والتين ، والزبيب الحلو ، والتُّوت الحلو ، والجوز الرّطب ، والاجاص الرطب ، والسَّكَنجَبين[1] والنبيذ الحلو مليّن للبطن .

---

[1] السكنجبين : كل شراب حلو حامض ، يتخذ دواء للصفراء .

الاطعمة التي تحبس البطن

إذا كان الطعام ينحدر عن المعدة قبل انهضامه احتجنا الى الأطعمة المُمسكة الحابسة للبطن .

وكلُّ ما غلب عليه من الأطعمة اليبس أو العفُوصة أو الغِلظ ، كالسّفرجَل ، والكُمّثرى ، وحَبّ الآس ، وثمر العَوسَج[1] ، وجرم العدس[2] ، والبلوط ، والشاهْبلوط . والنبيذ العَفِص يمسك البطن ، لعفوصته وقبضه . والجاوَرْس ، والدُّخن ، وسويق الشعير ، تمسك البطن بيبوستها . ولحم الأرانب والكُرنب المطبوخ بعد صب مائه الأول عنه ، ثم يُطبخ بماء ثانٍ ، فإنه يمسك البطن بيبسه . واللبن المطبوخ ، والجبن ، كلاهما يمسك البطن لغِلظه . وذلك أن يطبخ اللبن حتى تفنى مائيّته ، ويبقى جِرمُه ، وربما ولّد سُدَداً في الكبد ، وحجارة في الكُلى .

وأما الأشياء الحامضة كالتُفاح الحامض ، والرمّان الحامض ، فإن صادفت في المعدة كيموساً غليظاً قطعته وحدّرته ، وليّنت البطن ، وإن صادفت المعدة نقيّة امسكت البطن .

---

١ العوسج ، الواحدة عوسجة : من شجر الشوك .

٢ جرم العدس : جسمه ومادته ، لا ماؤه .

الاطعمة التي تولد السدد

اللبن الغليظ والجُبن ربما أحدثا سُدَداً في الكبد ، وحجارة في الكلى ، لمن أكثر استعمالهما ، وكانت كُلاه وكبدُه مستعدّةً لقبول الآفات .

وجميعُ الاطعمة الحلوة رديئةٌ للكبد والطّحال ، فإذا أُكِل معها الفُوذَنج الجبليّ ، والصّعتر ، والفُلفُل ، فتح سُدَد الكبد والطّحال .

والرُّطَب ، والتمر ، وجميعُ ما يُتخذ من الحنطة سوى الخبز الجيّد الصنعة ، والأشربة الحلوة ايضاً تولّد سُدَداً في الكبد ، وحجارةً في الكلى ، وتغلّظ الطحال .

الاطعمة التي تجلو المعدة وتفتح السدد

ماء الكَشْك كَشْكِ الشعير يجلو المعدة ، ويفتح السُّدد . والحُلبة ، والبطيخ ، والزبيب الحلو ، والباقِلاء ، والحِمّص الأسود ، ينقّي الكلى ، ويفتّت الحجارة المتولّدة فيها . والكَبَر[1] بالخلّ ، والعسلُ اذا أكل قبل الطعام فانه يجلو وينقي المعدة والأمعاء ، ويفتح السُّدد . والسّلق أيضاً يجلو ويفتح السُّدد في الكبد ، ولا سيما اذا أُكِل بالخردل. والبصل، والثوم ، والكُرّاث ، والفُجْل يقطّع ويلطّف الكيموس الغليظ . والتين رطبه ويابسهُ يجلو وينقّي الكلى . واللوز كله ، ولا سيما المرُّ منه فإنه يجلو ويلطّف ، ويفتح سُدَد الكبد والطّحال ، ويعين على نَفْث الرطوبة من الصدر والرئة . والفُستُق يقوّي الكبد ويفتح سُدَدها .

وعَسل النحل حارٌّ يابس . وماء العسل يلطّف البصاقَ الغليظ، ويُعين على نفثه. والسكَنْجَبين يلطّف ويقطع الرطوبة

---

١ الكبر : ما نسميه بالقبار ، وهو حب طري واحدته بقدر الحمصة ، يكبس بالخل ويؤكل .

الغليظة ، ويفتح سُدَد الكبد والطحال، وينقّي الصدر والرئة .

والنبيذ اللطيف اذا كانت له حِدّةٌ وحرافة يصفّي اللون، وينقّي العروق من الكَيموس الغليظ ، وينتفع به مَن كان يجد في بدنه كيموساً غليظاً بارداً . واما النبيذ الرقيق المائيّ فإنه يعين على نفث الرُطوبة من الرئة ، بتقويته الأعضاء وتلطيفه لما بها من الفَضْل الغليظ ، وقد يفعل ذلك النبيذ الحلو .

●

الاطعمة التي تنفخ

الحِمّص والباقلاء ، ولا سيما إنْ طُبِخ بقشره ، فإن طُبخ مقشّراً أو مسحوقاً كان أقلّ نفخاً ، وإنْ قُلي أيضاً كان أقلّ نفخاً . وبعد هذه اللوبياء ، والماشُ ، والعدَس ، والشّعير إذا لم ينعم طَبخُها .

والنّعناع[1] ، والأنجُذانُ ، والحِلتيت ، والتين الرطب ، يولد نَفْخاً إلا أنه يتحلّل سريعاً لسرعة انحداره .

وما استَحكم نضجُه من التين والعنب كان أقلّ نفخاً . ويابس التين أقلُ نفخاً من رطبه .

واللبن يولّد رياحاً في المعدة . والعسل اذا طُبخ ونُزعت رِغوتُه قل نفخه . والنبيذ الحلو العَفِص يولد نفخاً .

ما يذهب النفخ من الاطعمة

كلُ طعام نافخٍ اذا أُحكمت صنعته ، وأُجيد طبخُه وإنضاجه قلّ نفخُه . وكلُ ما قُلي منه قلّ نفخه . وكل ما خلط به الأبزار المحللة للرياح كالكمُّون والسّذاب والأنيسون والكاشِم[2] يقلّ نفخه . والخل الممزوج بالعَسل يلطّف الرياح ، ويذهب بالنّفخ .

---

١ النعناع : ضرب من الكمأة أبيض رخو .

٢ الكاشم : نبت يشبه السذاب .

كتاب اسحاق بن عمران

الى بعض اخوانه

كتب إسحاق بن عمران المعروف بسمّ ساعة الى رجلٍ من إخوانه :

اعلم رحمك الله أنّ الخامَ والبلغم يظهران على الدم والمِرّة بعد الأربعين سنة فيأكلانهما ، وهما عدوّا الجسد وهادماه . ولا ينبغي لمن خلّف الأربعين سنة أن يحرّك طبيعة من طبائعه غيرَ الخام والبلغم ، ويقوّي الدم جاهداً ، غير أنه ينبغي له في كل سبع سنين أن يفجُر من دمه شيئاً ، ومن المِرّةِ مثلَ ذلك ، لقلة صبره على الطعام اللذيذ ، والمشروب الرويّ .

فتعاهَدْ أصلَحك الله ذلك من نفسك ، واعلم أن الصحة خيرٌ من المال والأهل والولد ، ولا شيء بعد تقوى الله سبحانه وتعالى خيرٌ من العافية .

وما تأخذ به نفسك ، وتحفظ به صحتك أنْ تلزَم ما أكتب به إليك :

في شهر كانون الثاني تشرب شراباً شديداً كلّ غداة . وفي شهر شباط لا تأكل السّلقِ . وفي آذار لا تأكل الحَلواء كلها

وتشرب الأفسنتين[١] في الحلاوة . وفي نيسان لا تأكل شيئاً من الأصول التي تنبت في الأرض ولا الفُجل . وفي أيار لا تأكل رأسَ شيء من الحيوان . وفي حزيران تشرب الماء البارد بعدما تطبخُه وتبرّده ، على الريق . وفي تموز تجنّب الوطء . وفي آب لا تأكل الحيتان . وفي ايلول تشرب اللبنَ البقريّ . وفي تشرين الأول لا تأكل الكراث نيئاً ولا مطبوخاً . وفي تشرين الثاني لا تدخل الحمّام . وفي كانون الأول لا تأكل الأرنب .

زعم علماء الطبّ أنّ في الجسد من الطبائع الاربع اثني عشر رطلاً : فللدم منها ستة ارطال ، وللمرة الصّفراء والسوداء والبلغم ستة أرطال ، فان غلب الدمُ الطبائعَ تغيّر منه الوجه وورم ، وخرج ذلك الى الجُذام ، وإن غلبت الثلاثُ الطبائع الدمَ أنبتت المدّ .

قال : فإذا خاف الانسانُ غلبةَ هذه الطبائع بعضها بعضاً فليعدّل جسده بالاقتصاد ، وينقّه بالمشي ، فإنه إن لم يفعل اعتراه ما وصفنا : إمّا جُذام ، وإما مدّ . نسأل الله العافية .

ولا بأس بعلاج الجسد في جميع الأزمان الاّ ايام السّموم ،

---

١ لأفسنتين : نبت له ورق كالصعتر .

الا ان ينزل فيها مرض شديدٌ لا بدَّ من مداواته ، او يظهر فيها مُوم[1] ، أو ذات الجنب ، فإنه ينبغي للطبيب ان يعانيَه[2] بفصاد ، او شيء خفيف ، فإنها ايام ثقيلة ، وهي خمسة عشر يوماً من تمّوز الى النصف من آب، فذلك ثلاثون يوماً لا يصلح فيها علاج ، وكان بقراطيس[3] يجعلها تسعةً وأربعين يوماً ، ويقطّع الغرَرَ والخطر في ايام القيظ ، فإذا مضى لأيلولَ ثلاثة ايام طاب التداوي كلّه .

وأمر جالينوس[4] في الربيع بالحِجامة ، والنّورة ، وأكل الحلاوة وشربها ، ونهى عن القَطاني[5] واللبن الرائب ، وعتيق الجُبن ، والمالح ، والفاكهة اليابسة ، الا ما كان مسلوقاً .

وفي القيظ وهو زمان المِرّة الصفراء بأكل البارد الرطب على قدر قوّة الرجل في طبعه وسنّه ، وترك الجماع ، وأكل الحوت الطريّ ، والفاكهة الرصبة والبقول ولحم البقر والمعز ، ومن القطاني : العدس ، ومن الأشربة : المربّب بالورد ،

---

١ الموم : اشد الجدري .

٢ المعاناة : حسن السياسة .

٣ بقراطيس : بقراط ، الطبيب اليوناني الشهير .

٤ جالينوس : طبيب يوناني شهير .

٥ القطاني ، الواحدة قطنية : هي من الحبوب ما كان مثل العدس والفول والحمص واللوبيا ، مما يقتات به .

والسُكُركة[1] من الشعير ، والسكر بالماء المطبوخ ، وأكل الكزبرة الخضراء في الاطعمة ، واكل الخيار والبطيخ ، ولزوم دُهن الورد ، وماء الورد ، ورشّ الماء ، وبسط البيت بورَق الشجر ، ومن الدواء السكر بالمصتكى[2] ، يسحقهما مِثلاً بمثل ، ويأخذ منهما على الريق قدر الدرهم او أكثر قليلاً .

وفي زمان الخريف وهو زمان السوداء ، وهو أثقل الازمنة على اهل تلك الطبيعة ، من الطعام والشراب بالحارّ الرطب ، مثل الاحساء بالحلاوة ، وأكل العسل وشربه . ونهى فيه عن الجماع ، وأكل لحم المعز والبقر ، وأمر بأكل صُيود البر والبحر ، وحَسو البيض[3] والدُهن قبل الحمّام ، وإتيان النساء على غير شبع في آخر الليل وفي اول النهار ، والتماس الولد على الريق من الرجل والمرأة ، فإن أولاد ذلك الزمان أشدّ واقوى تركيباً من غيرهم ، كما قالت الحكماء .

---

١ السكركة : أصلها شراب الذرة .

٢ المصتكى : الصمغ الابيض الذي يُعلك .

٣ حسو البيض : شربه .

الخمر المحرمة في الكتاب

أجمعَ الناسُ على انّ الخمر المحرّمة في الكتاب خمرُ العنب ، وهي ما غلا وقذَف الزَّبدَ من عصير العنب ، من غير ان تمسّه نار . ولا تزال خمراً حتى تصير خَلاّ ، وذلك إذا غلبت عليها الحموضة ، وفارقتها النّشوة ؛ لانّ الخمر ليست محرّمة العين ، كما حُرّمت عينُ الخنزير ، وانما حُرّمت لعرَضٍ دخلها ، فإذا زايلها ذلك العرَض عادت حلالاً ، كما كانت قبل الغليان حلالاً ، وعينُها في كل ذلك واحدة ، وإنما انتقلت اعراضها من حلاوةٍ الى مرارةٍ ، ومن مرارة الى حموضة ، كما ينتقل طعمُ الثّمرة اذا اينعت من حموضةٍ الى حلاوة ، والعينُ قائمة ، وكما ينتقل طعمُ الماء بطول المُكث فيتغيّر طعمُه وريحُه ، والعينُ قائمة .

ونظير الخمر فيما يحلّ ويحرم بعرَض : المسك ، الذي هو دمٌ عبيط حرام ، ثم يجفّ وتوجد رائحتُه فيصير حلالاً طيباً .

فهذه الخمرُ بعينها المجمَع على تحريمها . وأصحابُ النّبيذ إنما يدورون حولها ويتعلّلون بأنهم يشربون ما دون المُسكِر ،

ولا لذّةَ لهم دون مواقعة السُّكْر ، كما قال الشاعر :

يدورونَ حول الشّيخ ، يلتمسونه
بأشربةٍ شتّى ، هي الخمر تُطلبُ

وكقول القائل :

إيّاكِ أعني فاسمعي يا جاره[1]

•

قيل للأحنف بن قيس : أيُّ الشراب أطيب؟ فقال : الخمر. قيل له: وكيف علمت ذلك وأنت لم تشربها ؟ قال : إني رأيت من حلّتْ له لا يتعدّاها ، ومن حَرُمت عليه انما يدور حولها.

•

وقال ابن شُبرُمة :

ونبيذ الزّبيب ما اشتدّ منه ، فهو للخمر والطّلاء نسيبُ

•

وقال عبد الله بن القعقاع :

أتانا بها صفراء يزعم أنها
زبيبٌ، فصدّقناه ، وهو كذوبُ

---

[1] هذا مثل من امثال العرب .

فهل هي إلا ساعةٌ غاب نحسُها ،
أُصلّي لربّي بعدَها واتوبُ ؟

•

وقال ابن شُبرمة : أتانا الفرزدق ، فقال : اسقوني . فقلنا : وما تريد أن نسقيَك ؟ قال : « أقربَهُ الى الثمانين » ، يعني حدّ الخمر .

•

وقال قيصر لقُسّ بن ساعدة : أيُّ الأشربة أفضل عاقبةً في البدن ؟

قال : ما صفا في العين ، واشتدّ على اللسان ، وطابت رائحتُه في الانف ، من شراب الكَرْم .

قيل له : فما تقول في مطبوخِه ؟

فقال : مرعىً ولا كالسّعدان[1] !

قيل له : فما تقول في نبيذ الزّبيب ؟

قال : ميتٌ أُحييَ ، فيه بعض المتعة ، ولا يكاد يحيا مَن مات مَرّة .

قيل له : فما تقول في العَسل ؟

قال : نِعم شراب الشّيخ ذي الإبرِدة[2]، والمعدة الفاسدة .

•

١ مثل من امثال العرب . والسعدان : نبات تستطيبه الابل .

٢ الإبردة : علة من غلبة البرد والرطوبة .

عليّ بن عياش قال : إني عند الوليد بن يزيدَ في خلافته ، اذ أُتي بابن شُراعة من الكوفة ، فوالله ما سأله عن نفسه ولا سفره ، حتى قال له : يا ابن شُراعة ، إني والله ما بعثت فيك لأسألك عن كتاب الله ، ولا سنّة رسوله .

قال : والله لو سألتَني عنهما لأصبتَني فيهما حماراً .

قال : فإنما أرسلتُ اليك لأسألك عن القهوة .

قال : فأنا دِهقانُها[1] الخبير ، وطبيبُها العليم .

قال : فأخبِرني عن الطّعام ؟

قال : ليس لصاحب الشّراب على الطعام حُكم ، غيرَ أنّ أنفعَه أدسَمُه ، وأشهاه أمرَؤه .

قال : فما تقول في الشراب ؟

قال : ليسألْ أميرُ المؤمنين عمّا بدا له .

قال : فما تقول في الماء ؟

قال : لا بد لي منه ، والحمارُ شريكي فيه .

قال : فما تقول في السويق ؟

قال : شَرابُ الحزينِ والمستعجِل والمريض .

قال : فما تقول في اللبن ؟

---

١ الدهقان : التاجر .

قال : ما رأيتُه قط إلا استحييتُ من أمّي ، من طول ما أرضَعَتني به .

قال : فنبيذ التمر ؟

قال : سريع الامتلاء ، سريع الانفشاش .

قال : فنبيذ الزبيب ؟

قال : حاموا به عن الشراب .

قال : فما تقول في الخمر ؟

قال : أوْهِ ، تلك صديقةُ روحي .

قال : وأنتَ والله صديقُ روحي .

قال : وأيُّ المجالس أحسن ؟

قال : ما شرب النّاسُ على وجهٍ قطُّ احسنَ من النّساء .

•

قال الاصمعي : دخلت على هارون الرشيد ، وهو في الفُرُش منغمسٌ كما ولدته أمُّـــه ، فقال لي : يا اصمعيُّ ، من أين طُرِقتَ[1] اليوم ؟

قال : قلتُ احتجمت .

قال : وأيُّ شيء أكلتَ عليها ؟

---

[1] طرق الرجل : اصابه استرخاء وضعف .

قلت : سِكباجَة[١] وطَباهِجة[٢] .

قال : رميتَها بحجَرها .

قال : هل تشرب ؟

قلت : نعم يا أمير المؤمنين :

اسقني حتى تَراني مائلاً ،
وترى عُمرانَ دِيني قد خَرِبْ

قال : يا مسروق ، أيُّ شيء معك ؟

قال : ألف دينار .

قال : ادفعها اليه .

---

١ السكباج: لحم يعالج بالخل والتوابل ، ويضاف اليه احياناً الزعفران والسذاب.

٢ الطباهجة : ضرب من اللحم المقلي ، وهو ما يسمى بالكباب .

آفات الخمر وجناياتها

أول ذلك أنها تُذهب العقل – وأفضل ما في الانسان عقلُه – وتحسّن القبيح ، وتُقبّح الحسَن . قال أبو نواس :

اسقني حتى تراني حَسَنٌ عندي القبيحُ

وقال أيضاً :

اسقني صِرفاً حُميّا ، تترك الشيخَ صَبيّا
وتُريه الغيَّ رُشداً ؛ وتُريه الرُّشدَ غَيّا

وقال أيضاً :

عُتِّقت في الدَّنّ حولاً ، فهي في رقة ديني

•

وقال الناطق بالحق :

تركتُ النبيذَ وشُرّابه ، وصرتُ خَديناً لمن عابه[1]
شرابٌ يُضِلّ سبيلَ الرشاد ، ويَفتحُ ، للشرّ ، أبوابَه

•

---

[1] الخدين : الصديق .

وإنما قيل لمُشارِب الرجل نديم من الندامـة ، لأنّ معاقرَ الكأس، اذا سكِر تكلَّم بما يندم عليه ، وفعَلَ ما يندم عليه ، فقيل لمن شارَبَه نادمه ، لأنه فعل مثلَ ما فعلَه ، فهو نديمٌ له ، كما يقـال جالسه فهو جليسٌ له . والمعاقر : المُدمِن ، كأنـه لَزِمَ عُقرَ الشيء ، أي فِناءه .

•

وقال أبو الأسود الدؤلي :

دَعِ الخمرَ يشربها الغُواةُ ، فإنني
رأيتُ أخاهـا مُغنياً بمكانِهـا

فإلاّ يَكُنْها أو تكُنْـــه ، فإنه
أخوهـا ، غذَتْه أمُّـه بِلبانِها[١]

•

وقد شُهِـر أصحابُ الشَّراب بسوء العهد ، وقِلة الحِفاظ ، وأنَّهم صديقُك ما استغنيتَ حتى تفتقر ، ومـا عُوفيتَ حتى تُنكَب ، وما غلَتْ دِنانُك حتى تُـــنزَف ، وما رأوك بعيونهم حتى يفقدوك .

•

---

١ اللبان : ما يرتضع الصبي من ثدي امه .

قال الشاعر :

أرى كلَّ قومٍ يحفظون حريمَهم
وليس ، لأصحابِ النبيذِ ، حريمُ

اذا جئتَهم حيّوك ألفاً ورحّبوا ؛
وإن غبتَ عنهم ، ساعةً ، فذَميمُ

إخاؤهمُ ما دارت الكأس بينهم ،
وكلُّهمُ رثُّ الوِصال سؤومُ

فهـذا ثنائي لم أقُل بجَهالةٍ ،
ولكنّني ، بالفاسِقين ، عليمُ[1]

•

وقال قُصيُّ بن كِلاب لبنيه : اجتنبوا الخمر ، فإنها تُصلِح الأبدان وتُفسِد الأذهان .

•

وقيل لعديِّ بن حاتم : ما لكَ لا تشرب الخمر ؟ قال : لا أشرب ما يشرب عَقْلي .

---

١ الثناء : هنا بمعنى الذم .

وقيل له : ما لك لا تشرب النبيذ ؟ قال : مَعاذ الله أنْ أُصبحَ حكيمَ قومي وأُمسِيَ سفيهَهم .

•

وقيل لأعرابيّ : ما لك لا تشرب النبيذ ؟ قال : لا أشرب ما يشرب عقلي .

•

وقال يزيد بن الوليد : النّشوةُ تَحلُّ الحُبْوة[1] .

•

وقيل لعثمان بن عفّان رضي الله عنه : ما منعك من شرب الخمر في الجاهلية ، ولا حرجَ عليك فيها ؟ قال : إني رأيتها تُذهِب العقــل جُملة ، وما رأيت شيئاً يَذهَبُ جُملةً ويعودُ جملة .

وقال أيضاً: ما تغنّيتُ ، ولا تفتّيت[2] ، ولا شربت خمراً ، ولا مَسستُ فرجي[3] بيدي بعد أن خططت بها المُفصّل[4] .

•

---

١ الحبوة : ما يحتبى به اي يشتمل به من ثوب أو عمامة . يزيــد : هو ابن الوليد بن عبد الملك الملقب بالناقص .

٢ تفتيت : صنعت صنيع الفتيان .

٣ الفرج : العورة من الانسان .

٤ المفصل من القرآن : من الحجرات الى آخره في أصــح الأقوال . سمي بذلك لكثرة الفصول بين سوره ، او لقلة المنسوخ فيه .

وقال عبدُ العزيز بن مروانَ لنُصَيب بن رَباح : هل لك فيما يُثمِر المُحادثة ؟ يريد المنادمة . قال : أصلح الله الأمير ، الشَّعَر مُفلفَل ، واللون مُرمَّد ، ولم أقعد إليك بكرم عنصر ، ولا بحُسن منظَر ، وإنما هو عقلي ولساني ، فإن رأيت ألاَّ تفرق بينهما فافعلْ .

•

وربما أذهبتِ الكأسُ البيانَ ، وغيَّرت الخِلقة ، فيعظُم أنفُ الرجل ويحمرّ ويترهَّل[1] .

•

وقال جرير في الأخطل :

وشربتَ ، بعد أبي ظُهير وابنه ،
سَكَرَ الدِّنان كأنَّ أنفَك دُمَّل[2]

شبّه أنفه بالدمّل في ورمه وحُمرته .

•

وقال آخر[3] في حماد الراوية :

نِعم الفتى ، لو كان يَعرِفُ ربَّه ،
ويُقيم ، وقتَ صلاته ، حمّادُ

---

١ ترهل اللحم : ارتخى وانتفخ .
٢ السكر : الخمر .
٣ هو حماد بن الزبرقان .

هدلَت مَشافِرَه الدِّنانُ ، فأنفُه
مثلُ القَدُوم ، يسُنُّها الحدّادُ

وابيضَّ، من شُرْب المُدامةِ ، وجهُه ،
فبياضُه ، يومَ الحسابِ ، سَوادُ

•

ودخل أميّة بن عبد الله بن أسيد على عبد الملك بن مروان وبوجهه أثر ، فقال : ما هذا؟ فقال : قمتُ بالليل فأصاب الباب وجهي . فقال عبدُ الملك :

رأتني صريعَ الخمر يوماً ، فسؤتُها ،
وللشاربيها المُدمنيها مَصارعُ

فقلت : لا واخَذَكَ الله يا أميرَ المؤمنين بسوء ظنك. فقال: بل واخذَكَ الله بسوء مصرعِك .

•

وقال حسّان بن ثابت :

تقول شعثاء : لو صحوتَ ، عن
الكأس ، لأصبحتَ مُثرِيَ العددِ

أنسى حديث النّدمان ، في فلقِ
الصُّبح ، وصوتَ المُسامرِ الغرِدِ

لا اخدِش الخدشَ بالجليس ، ولا
يَخشى نديمي ، اذا انتشيتُ ، يدي

يأبى ليَ السيفُ واللسانُ وقومٌ
لم يُساموا ، كلبدةِ الأسدِ

•

وقال ابن الموصلي :

سلامٌ على سيرِ القِلاص ، مع الركبِ ،
ووصلِ الغَواني ، والمُدامةِ والشربِ[١]

سلامُ امرىءٍ لم تبقَ منه بقيّةٌ ،
سوى نظرِ العَينين ، أو شهوةِ القلبِ

لَعمري ، لئن نَكّبتُ عن مَنهلِ الصّبا ،
لقد كنتُ وَرّاداً لمشرَبِه العذبِ

ليالِيَ أمشي ، بين بُردَيّ ، لاهياً ،
أمِيس كغُصن البانة الناعم ، الرّطبِ

•

ويُروى أن الحسن بن زيد لما ولي المدينة قال لابراهيم بن

---

١ القلاص : النياق ، الواحدة قلوص .

هرْمة : لا تحسبنّي كمن باع لك دِينَه رجاء مدحِك، وخوفَ ذمّك، فقد رزقني الله بولادة نبيّه المادحَ ، وجنّبني المقابحَ، وإنّ من حقه عليّ ألا أغضيَ على تقصير في حقه ، وإني أقسم لئن أُتيتُ بك سكرانَ لأضربنّك حدّين : حدّ الخمر ، وحدّ السُكْر ، ولأزيدنّك لِمَوضِع حُرمتك ، فليكن تركُك لها لله تُعَنْ عليه، ولا تدعْها للناس فتوكلَ اليهم .

فنهض ابنُ هرمةَ وهو يقول :

نهاني ابنُ الرسول عن المُدامِ ،
وأدّبني بآدابِ الكِرامِ

وقال ليَ : اصطبر عنها، ودَعْها
لخوفِ الله ، لا خوفِ الأنامِ

وكيف تصبُّري عنها ، وحُبّي
لها حُبٌّ تمكّنَ في العِظامِ

أرى طيبَ الحَلالِ عليّ خُبثاً ،
وطيبَ النفس في خُبْثِ الحرامِ

•

وذكروا أن حارثة بن بدر الغُدانيّ كان فارسَ بني تميم

وشريفَها ، وكان قد غلب على زياد ، وكان الشرابُ قد غلب عليه ، فقيل لزياد : إنَّ هـذا قد غلب عليك ، وهو رجـــلٌ مُستهتَر بالشّراب .

فقال لهم : كيف باطّراح رجلٍ ما راكَبني قطُّ فمسَّت ركبتي ركبتَه ، ولا تقدَّمَني فنظرت الى قفـاه ، ولا تأخّر عني فلويتُ إليه عنقي ، ولا سألتُه عن شيء قطُّ إلاَّ وجدتُ علمه عنده .

فلما مـات زيادٌ جفاه ولدُه عُبيـد الله بنُ زياد ، فقال له حارثة : أيهـا الأمير ، ما هذا الجفاء مع معرفتك بمحالي عنـد أبي المُغيرة ؟

فقال له عُبيد الله : إن أبا المُغيرة قد برع بُروعاً لم يَلحقه معه عَيب ؛ وأنا حدَثٌ ، وإنما أُنسَب إلى مَن تغلّب عليَّ ، وأنت رجلٌ نديمُ الشرابِ ، فدَع النبيذَ وكنْ أوّل داخلٍ وآخرَ خارج .

فقال حارثة : أنا لا أدعُه لله ، أفأدعه لك ؟

قال : فاختر من عملي ما شئت !

قال : ولّني رامَهُرْمُزَ ، فإنها عَذِيَة[1] ، وسُرّق[2] ، فإن

---

[1] العذية : الطيبة البعيدة عن الماء والوخم .

[2] سرق : احدى كور الأهواز .

بها شراباً وُصف لي عنه .

فولاه إياها ، فلما خرج شيّعه الناس . وكتب اليـه أنس ابن أبي أنيس :

أحارِ بنَ بدرٍ ! قد وليتَ ولايةً ،
فكُنْ جُرَذاً فيها تَخُونُ وتَسْرِقُ

ولا تَحقِرنْ ، يا حارِ ، شيئاً تخونُه ،
فحظُّك ، من مُلك العِراقين ، سُرَّقُ

وبادر تميماً بالغِنى ، إنّ للغنى
لِساناً ، بـه المرء الهَيوبةُ يَنطقُ[1]

فإنّ جميعَ الناس إمّا مكـذّبٌ
يقول بما تَهْوى ، وإمّا مصدّقُ

يقولون أقوالاً ، ولا يَعلمونها ،
ولو قيـل يوماً : حقّقوا ! لم يُحقّقوا

فوقّع حارثة في أسفل كتابه : «لا بَعُدَ عنك الرُّشد.»

•

---

١ الهيوبة : الكثير الخوف .

ولما خرجت الأزارقةُ على أهـل البصرةِ لاقاهم حارثةُ بنُ بدرٍ ، وتولى حربَهم في أصحابـه في فرسانٍ من بني يَربوع ، حتى أُصيبَ في تلك الحروب . وقال فيه الشاعر :

فلولا ابنُ بدرٍ للعراقـين لم يَقُمْ ،
لما قام فيـــه للعراقين ، إنسانُ

اذا قيل : مَن حامي الحقيقة ؟ أومأت
إليـه معدٌ بالأكفّ وقحطـانُ

•

وقال الشاعر :

شربنـا من الداذيّ ، حتى كأننـا
ملوكٌ ، لهم ، في كلّ ناحية ، وَفْرُ[1]

فلمـا علت شمسُ النهار رأيتُنـا
تَخَلّى الغنى عنّا ، وعاوَدَنا الفقرُ

•

وكان أبو الهِنـديّ من ولد شَبَث بن رِبعيّ الرّياحيّ ، من بـني يربوع ، وكان قد غَلب عليـه الشراب ، على كريم

---

١ الداذي : شراب الفساق . الوفر : الغنى .

منصبه ، حتى كاد يُبطِله ، وكان قد ضاف[1] الى راعٍ يسمى سالماً ، فسقاه قَدحاً من لبن ، فكرهه وقال :

سيُغني أبا الهنديّ ، عن وَطْبِ سالمٍ ،
أباريقُ ، كالغزلانِ بيضٌ نحورُها

مفدّمةٌ قزّاً ، كأنّ رقابَها
رقابُ كَرَاكٍ ، أفزعتها صُقورها[2]

فما ذرّ قرنُ الشمس ، حتى كأنما
أرى قريةً حولي ، تَزَلزَلُ دورُها

ولقيه نصرُ بن سيّار ، والي خراسان ، وهو يَميد سُكراً ، فقال له : أفسدتَ مروءتَك وشرفَك .

قال : لو لم أُفسِد مروءتي لم تكن أنتَ واليَ خراسان .

ومرض أبو الهنديّ ، فلما وجد فقْدَ الشّرابِ جعل يبكي ويقول :

رضيعُ المُدام ، فارقَ الرّاحُ روحَه ،
فظلّ عليها مُستهِلّ المدامعِ

١ ضاف اليه : نزل عليه ضيفاً .

٢ مفدمة : موضوع عليها الفدام ، وهو المصفاة توضع على فم الابريق . القز : الحرير . الكراكي ، الواحد كركي : ضرب من الطير .

أديرا عليّ الكأسَ ، إنّي فقدتُها ،
كما فَقَد المَفطومُ دَرَّ المراضع

وكان يشرب مع قيس بن أبي الوليد الكناني ، وكان ابو الوليد ناسكاً ، فاستعدى عليه وعلى ابنه ، فهرب معه ، وقال فيه ابو الهندي :

قل للسريّ ابي قيس : أتُوعدُنا ،
ودارُنا أصبحتْ من داركم صَدَدا [1] ؟

أبا الوليد ! أما ، والله ، لو عَمِلتْ
فيكَ الشَّمولُ ، لما حرّمتَها أبدا

ولا نَسيتَ حُميّاها ، ولَذّتَها ؛
ولا عَدلت بها مالاً ، ولا ولدا [2]

وشرب ابو الهنديّ في غرفة مع نديمٍ له ، فاطّلع منها فإذا بميّت يُزفُّ به [3] على شرجع [4] ، فالتفت الى صاحبه فقال :

---

١ صدداً : اي قربها وقبالتها .
٢ الحميا : سورة الخمر وأخذها بالرأس .
٣ يزف به : يسرع به .
٤ الشرجع : النعش .

اصبُب على قلبِك من بردِها ،
إنّي أرى النّـاسَ يموتونا

فكان هذا القول منه دليلًا على عدم اتّعاظه بالموت .

وكان ابو الهنديّ عجيبَ الجواب ، وجلس اليه رجلٌ كان صُلِب أبوه في جنايةٍ ، فجعل يعرّض له بالشراب ، فقال ابو الهنديّ : احدهم يبصرُ القذى في عين أخيه ، ولا يُبصِر الجِذع المعترضَ في است أبيه !

•

وقال عبد الرحمن بن أمّ الحكَم :

وكأسٍ ترى ، بينَ الاناء وبينَها ،
قذى العين ، قد نازعتَ أمَّ ابانٍ[1]

ترى شاربَيها ، حين يَعتورانِها ،
يميـلان أحياناً ، ويعتدلان[2]

فما ظَنُّ ذا الواشي بأروعَ ماجدٍ ،
وعَذراءَ خَوْدٍ ، حين يَلتقيان[3]

---

١ الكأس : هنا بمعنى الخمر . قذى العين : مثل في الصغر والقلة والخفـاء . ام ابان : امرأة .
٢ يعتورانها : يتداولانها .
٣ الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة .

دعتني أخاها أمُّ عمرو ، ولم أكُن
أخاها ، ولم أرضَع لها بِلبانِ

دعتني أخاها ، بعدَما كان بيننا ،
من الأمرِ ، ما لا يفعلُ الأخَوانِ

وقال :

لا هَنيئاً بما شَرِبتَ مريئاً ،
ثم قُم صاغِراً ، وغيرَ كَريمِ

لا أحبُّ النديمَ يُومِضُ بالعين ،
اذا ما انتشى ، لعِرسِ النديم[1]

•

وقال ابو العباس المبرّد : ودخل عمرو بن مسعدة على المأمون ، وبين يديه جامُ زُجاج ، فيه سكَّرٌ طبرزذ ، ومِلحٌ جريش ، قال : فسلّمت عليه ، فردّ وعرض عليّ الأكل ، فقلت : ما أريد شيئاً . هَناكَ الله يا أمير المؤمنين ، فلقد باكرتُ الغَداء .

قال : بِت جائعاً !

ثم أطرق ورفع رأسه وهو يقول :

---

[1] العرس : الزوجة .

اعرِض طعامَك ، وابذُلْه لمن دخلا ،
واعزِم على من أبى، واشكُر لمن أكلا[1]

ولا تكن سابريَّ العِرْض ، محتشماً
من القليل ، فلستُ ، الدهرَ ، مُحتفلا[2]

ودعا برِطل ، ودخلَ شيخ من جِلّة الفقهاء فمدّ يده اليه ، فقال : والله يا أميرَ المؤمنين ، ما شربتُها ناشئاً ، فلا تَسقِنيها شيخاً .

فردّ يده الى عمرو بن مسعدة ، فأخذها منه وقال : يا أميرَ المؤمنين ، فإني عاهدتُ الله ، في الكعبة ، ألاّ أشربَها أيضاً .

ففكّر طويلاً والكأسُ في يد عمرو بن مسعدة ، فقال :

رُدّا عليّ الكأسَ ، إنكما
لا تَعلمانِ الكأسَ ما تُجْدي

لو ذقتُما ما ذقتُ ما امتزجت
إلاّ بدمعكما ، من الوَجدِ

خوّفتاني اللهَ ، ربّكما ،
وكخيفتيهِ رجاؤُهُ عندي

١ عزم عليه : اقسم .
٢ السابريّ : ضرب من الثياب رقيق .

إن كنتمـا لا تَشربانِ معي ،
خوفَ العِقاب ، شربتُها وحـدي

•

شرب المأمون ويحيي بن أكثم القاضي وعبد الله بن طاهر ، فتغامز المأمون وعبد الله على سكر يحيى ، فغمز يـد السّاقي ، فأسكره ، وكان بـين أيديهم رِزَم من ورد ورياحين ، فأمر المأمون فشُقَّ له لَحدٌ في الورد والرياحين ، وصيَّروه فيـه ، وعمل بيـتَيْ شعر ، ودعا قَينةً ، فجلست عند رأسه وحرّكت العود وغنّت :

دعوتُه ، وهو حيٌّ لا حَراكَ بـه ،
مكفَّنٌ في ثِيـابٍ من رياحـينِ

فقلتُ : قُمْ ! قال : رِجلي لا تُطاوعني !
فقلت : خُذْ ! قال : كفّي لا تُواتيني

فأنتبه يحيى لرنة العود ، وقال مجيباً لها :

يا سيّـدي ، وأميرَ الناسِ كلهـمُ ،
قد جارَ ، في حُكمه ، مَن كان يَسقيني

إني غَفلتُ عن السـاقي ، فصيَّرني ،
كما تَراني ، سليبَ العقـلِ والدينِ

لا أستطيعُ نُهوضاً ، قد وهَى جسدي ،
ولا أجيبُ المنـادي ، حينَ يدعوني

فاْختر لبغدادَ غيري ، إنني رجـلٌ ،
الراحُ تَقتلني ، والعُودُ يُحييني

•

حدَّثنا ابو جعفر البغدادي قال : كان بالجزيرة رجلٌ يبيع نبيذاً في ماخُورٍ[1] له ، وكان بيته من قصَب ، وكان يأتيه قومٌ يشربون عنده ، فإذا عَمِل فيهم الشرابُ قال بعضُهم لبعض : أما تَرون بيتَ هذا النبّاذِ من قصب ؟

فيقول بعضهم : عليَّ الآجُرُّ .

ويقول الآخر : عليَّ الجِصّ .

ويقول الآخر : عليَّ أجرة العامل .

فإذا أصبحوا لم يَعملوا شيئاً ، فلما طال ذلك على النبّـاذ قال فيهم :

لنـا بيتٌ يهـدَّم ، كلَّ يومٍ ،
ويُصبحُ ، حينَ يُصبح ، جِذْمَ خُصٍّ[2]

---

١ الماخور : بيت الخمار ، ومجلس الريبة والفسق .
٢ الجذم : الأصل . الخص : بيت من قصب او شجر .

إذا ما دارت الأقداحُ قالوا :
غداً نَبني بآجُرٍّ وجِصْ

وكيفَ يُشيِّد البنيانَ قومٌ ،
يمرُّون الشتاء ، بغير قُمْص !

•

ودخل حارثةُ بن بدر على زياد ، وبوجهه أثر ، فقال له : ما هذا ؟

قال : ركبت فرسي الأشقرَ فصرَعَني .

قال : أما إنك لو ركبتَ الأشهبَ ما صرعَك .

أراد حارثة بالأشقر النبيذَ وأراد زيادٌ بالأشهب اللبن .

•

وكان قيس بن عاصم يأتيه في الجاهلية تاجرُ خَمر ، فيبتاعُ منه ، ولا يزال الخمّار في جِواره حتى يَنفَدَ ما عندَه. فشرب قيسٌ ذاتَ يوم فسكر سُكراً قبيحاً ، فجذب ابنتَه وتناول قرنَها[1] ، ورأى القمرَ فتكلّم بشيء ، ثم أنهب مالَه ومالَ الخمارِ ، وأنشأ يقول :

مِن تاجرٍ فاجرٍ جاء الاله بـه ،
كأنّ لحيتـه أذنابُ أجمالِ

---

[1] القرن : الذؤابة والضفيرة .

جاء الحيثُ ببَيسانيّةٍ تركت
صَحبي وأهلي ، بلا عقلٍ ولا مالِ [1]

فلما صحا أُخبِر بما صنع وما قال ، فآلى ألاّ يذوق خمراً أبداً .

•

وربما بلغت جنايةُ الكأس الى عقِب الرجل ونَجْلِه . قال المأمون : «يا نُطَف [2] الخمّار ، ونزائع [3] الظؤور ، وأشباهَ الخؤولة .»

•

وقال الشاعر :

لمّا رأيتُ الحظّ ، حظّ الجاهلِ ،
ولم أرَ المغبونَ غيرَ العاقلِ

رحلتُ عَنساً من كروم بابلِ ،
فبتُّ ، من عقلي ، على مَراحلِ [4]

•

١ البيسانية : الخمر المنسوبة الى بيسان ، مدينة بالاردن .

٢ النطف ، الواحدة نطفة : ماء الرجل .

٣ النزائع ، الواحدة نزيعة : المرأة التي تُزوّج في غير عشيرتها . الظؤور : المراضع ، الواحدة ظئر .

٤ العنس : الناقة الشديدة الصلبة . رحل البعير : شد عليه الرحل .

وقال آخر يصفُ السكر :

أقبلتُ من عند زيادٍ كالخَرِفْ ،
أجرُّ رجليَّ بخَطٍّ مختلفْ
كأنما يكتُبانِ لامَ ألِفْ

•

وقال آخر يصف السكر :

شربنا شَربةً من ذاتِ عِرقٍ ،
بأطرافِ الزُّجاجِ من العَصيرِ

وأخرى بالمروَّح ، ثمَّ رُحنا
نرى العُصفورَ أعظَمَ من بعيرِ

كأنَّ الدِّيكَ ، ديكَ بني تميمٍ ،
أميرُ المؤمنين على السريرِ

كأنَّ دجاجَهم، في الدارِ، رُقْطاً،
بناتُ الرومِ في قُمصِ الحريرِ

فبتُّ أرى الكواكبَ دانياتٍ ،
ينَلْنَ أناملَ الرجلِ القصيرِ

أدافعهنَّ بالكفَّين مني ،
وألثمُ لَبّةَ القمر المُنيرِ[1]

---

١ اللبة : موضع القلادة من النحر .

وقال الشاعر :

دع النبيذَ تكنْ عدلاً ، وإنْ كثُرت
فيكَ العيوبُ ، وقل ما شئت يُحتملُ

هو المُشيد بأخبار الرّجال ، فما
يَخفى على الناس ما قالوا ، وما فعلوا

كم زلّةٍ من كريمٍ ظلّ يسترها ،
من دونها سُترُ الأبوابِ والكِلَلُ

أضحتْ كنارٍ ، على علياء ، مُوقَدةٍ ،
ما يَستَسرُ لها سَهلٌ ولا جَبَلُ

والعقلُ عِلقٌ مصونٌ ، لو يُباع ، لقد
ألفيتَ بُيّاعه يُعطَونَ ما سألوا

فاعجَب لقومٍ ، مُناهم في عقولهمُ ،
أنْ يُذهِبوها بعَلٍّ بعدَه نَهَلُ

قد عقّدتْ ، بخُمار الكأس ، ألسُنُهم ،
عن الصوابِ ، ولم يُصبح بها عِلَلُ

وزُرّتْ ، بسِنات النوم ، أعينُهم ،
كأنّ أحداقَها حُولٌ ، وما حوِلُوا

تَخالُ رائحَهم ، من بعد غدوته ،
حُبلى أضرَّ بها ، في مَشيها ، الحبَلُ

فإن تكلَّمَ لم يَقصِد لحاجته ؛
وإنْ مشى قلت مَجنونٌ به خَبلُ

وقال :

أخُو الشرابِ ضائعُ الصَّلاةِ ،
وضائعُ الحُرمةِ والحاجاتِ

وحالُه مِن أقبحِ الحالاتِ ،
في نفسه ، والعِرْسِ ، والبناتِ

أفٍّ له أفٍّ الى أفّاتِ ،
خمسةَ آلافٍ مؤلّفاتِ

من حد من الاشراف في الخمر

وشهر بها

منهم يزيد بن معاوية ، وكان يقال له : يزيد الخمور ، وبلغه أن مِسْوَرَ بنَ مخرمة يرميه بشُرب الخمر ، فكتب الى عامله بالمدينة أنْ يجلِدَ مِسوراً حدَّ القَذْف[١] ، ففعل . فقال مِسور :

أيشربُها صِرفاً بطِينِ دِنانِها ،
ابو خالدٍ ، ويُضربَ الحدَّ مِسورُ؟[٢]

•

ومن حُدَّ في الشراب الوليدُ بن عقبة بن أبي مُعيط ، اخو عثمانَ بنِ عفّانَ لأمه . شَهد اهلُ الكوفة عليه أنه صلى بهم الصبحَ ثلاثَ رَكَعات ، وهو سكران. ثم التفت اليهم فقال : إن شئتم زدْتكم ! فجلده علي بن أبي طالب بين يدي عثمان . وفيه يقول الحطيئة ، وكان نديمه أبو زُبيد الطائي :

شهد الحطيئةُ ، يومَ يلقى ربَّه ،
أنَّ الوليدَ أحقُّ بالعُذر

---

١ القذف : الاتهام بالريبة .

٢ طين الدن : الطين الذي يختم به وعاء الخمر .

نادى ، وقد تمّت صلاتُهمُ ،
ليزيدَهم خيراً ، ولا يدري

ليزيدَهم خيراً ، ولو قبلوا
لقرنتَ بين الشّفع والوَتْرِ[1]

كبحوا عنانَك ، إذ جريتَ ، ولو
تركوا عِنانَك لم تزل تجري

•

ومنهم عبيدُ الله بن عمر بن الخطاب ، شربَ بمصر ، فحدَّه هناك عَمرو بن العاص سرّاً . فلما قدِم على عُمرَ جلدَه حدّاً آخر علانية .

•

ومنهم العبّاس بن عبد الله بن عبّـــاس ، كان ممن شُهرَ بالشراب ومُنادمة الأخطلِ الشاعر . وفيه يقول الأخطل :

ولقد غدوتُ على التّجّارِ بمسمَحٍ ،
هرّتْ عواذلُه هريرَ الأكلُبِ[2]

---

١ الشفع : الزوج من العدد . الوتر : الفرد .
٢ المسمح : السمح الجواد .

لبّاسِ أرديةِ المُلوكِ ، تَرُوقه ،
من كُلّ مُرتقبٍ ، عيونُ الرّبربِ[1]

•

ومنهم قُدامة بن مَظعون ، من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، حدّه عمر بن الخطّاب بشهادةِ عَلقمةَ الخَصيّ وغيرِه ، في الشراب .

•

ومنهم عبدُ الرحمن بن عمر بن الخطاب المعروف بأبي شَحْمة، حدّه ابوه في الشراب ، وفي أمرٍ أنكره عليه .

•

ومنهم عبدُ الله بن عُروة بن الزبير، حدّه هِشام بن إسماعيل المخزومي في الشراب .

•

ومنهم عاصمُ بنُ عمر بن الخطاب ، حدّه بعض ولاة المدينة في الشراب .

•

ومنهم عبدُ العزيز بن مروان ، حدّه عمرُو الأشدق .

•

وممن فُضح بالشّراب بلالُ بن أبي بُردة الاشعري ، وفيه يقول يحيى بن نوفل الحميري :

---

١ الربرب : القطيع من بقر الوحش .

وأمّـا بلالٌ ، فـذاك الذي
يَميل الشرابُ به ، حيثُ مالا

يَبيت يَمَصُّ عتيقَ الشرابِ ،
كمصّ الوليدِ ، يخاف الفِصالا[1]

ويُصبِـح مضطرباً ، ناعساً ،
تخالُ من السُكرِ فيه احولالا

ويَمشي ضعيفاً ، كمَشي النَزيف ،
تَخال به حينَ يمشي شِكالا[2]

•

وممن شُهر بالشَراب عبدُ الرحمن بن عبـد الله الثَقفي ، القاضي بالكوفة . وفُضح بمُنادمة سعد بن هَبّار . وفيـه يقول حارثةُ بن بدر :

نهـارُه في قَضايا غـيرِ عادلةٍ ،
وليلُه في هوى سعدِ بن هبّـارِ

ما يَسمعُ الناسُ أصواتاً لهم عرضَت ،
إلا دَويّاً ، دويّ النحل في الغار

١ الفصال : الفطام .
٢ الشكال : حبل تشد به قوائم الدابة .

يَدين أصحابَه ، فيما يَدينُهم ،
كأساً بكأسٍ ، وتكراراً بتكرار

فأصبحَ النّاسُ أطلاحاً ، أضرَّ بهم
حَثُّ المطيِّ ، وما كانوا بسُفّار[1]

•

ومنهم ابو محجن الثّقفي ، وكان مغرماً بالشراب ، وقد حدّه سعدُ بن ابي وقّاصٍ في الخمر مراراً . وشهد القادسيّة مع سعد ، وأبلى فيها بلاه حسناً . وهو القائل :

اذا متُّ فادفنّي الى ظلِّ كَرمةٍ ،
تُروّي عِظامي ، بعد موتي ، عروقُها

ولا تدفنّني بالفــلاة ، فإنّني
أخاف ، اذا ما مِتّ ، ألاّ أذوقَها[2]

ثم حلف بالقادسية ألاّ يشرب خمراً أبداً ، وأنشأ يقول :

إن كانتِ الخمرُ قد عزّت ، وقد مُنِعت ،
وحال ، من دونِها ، الإسلامُ والحَرَجُ

---

١ الأطلاح ، الواحد طلح : المعي الذي ادركه الكلال .
٢ في هــذا البيت اقواء لاختلاف حركة رويّه عن حركة روي البيت الذي قبله .

فقد أباكرُها صهبـاءَ، صافيةً،
طَوراً، وأشربُهـا صِرفاً، وأمتزِج

وقد تقومُ، عـلى رأسي، مغنّيةٌ،
فيها اذا رفَعَتْ، من صوتها، غَنَجُ

فتَخفِضُ الصوتَ، أحياناً، وتَرفعُـه،
كما يَطِنُ ذُبابُ الرّوضةِ الهَزِج[1]

•

ومنهم عبدُ الملك بن مروان، وكان يُسمى: حمامة المسجد، لاجتهاده في العبادة قبلَ الخلافة. فلما أفضت اليه الخلافةُ شَرِب الطّلاء، وقال له سعيد بن المسيّب: بلغني يا أمير المؤمنين أنك شربت بَعدي الطّلاء؟ فقال: إي والله، والدّماء!

•

ومنهم الوليدُ بن يزيد، ذهب به الشرابُ كلَّ مذهب حتى خُلِعَ، وقُتِلَ. وهو القائل:

خذوا ملكَكم، لا ثبّتَ اللهُ ملكَكم،
ثباتاً، يُساوي ما حييتُ عِقالا[2]

---

١ الهزج: المغنّي المطرّب.
٢ العقال: حبل يُشد به البعير في وسط ذراعه.

دَعُوا ليَ سَلمى ، والنبيذَ ، وقَينةً ،
وكأساً ، ألا حَسبي بذلك مالا[1]

أبالمُلك أرجو أن أخلَّدَ فيكم ؟
ألا رُبَّ مُلكٍ قد أُزيل فزالا

•

وسقى قومٌ أعرابيّة مسكراً ، فقالت : أيشرب نساؤكم هذا الشراب ؟ قالوا : نعم . قالت : فما يَدري أحدكم من أبوه !

•

ومنهم ابراهيم بن هَرْمة ، وكان مُغرَماً بالشراب ، وحدَّه عليه جماعةٌ من عُمّال المدينة ؛ فلما ألحُّوا عليه وضاق ذرعُه بهم ، دخل الى المهديّ بشعره الذي يقول فيه :

له لحظاتٌ عن حِفافَيْ سريرِهِ ،
إذا كرَّها ، فيها عِقابٌ ونائلُ

لهم طينةٌ بيضاء من آل هاشمٍ ،
إذا اسودَّ ، من لؤم التراب ، القبائلُ

١ سلمى : امرأته ، وهي بنت سعيد بن خالد .

اذا ما أتى شيئاً ، مضى كالذي أتى ؛
وإن قال : اني فاعـلٌ ، فهو فاعلُ

فأعجب المهديُّ بشعره ، وقال له : سل حاجتَك . قال : تأمرُ لي بكتابٍ الى عامل المدينة أن لا يحدَّني على شراب .

فقال له : ويلـك ، كيف تأمر بذلك ؟ لو سألتني عَزْلَ عامل المدينة وتوليتَك مكانَه لفعلت .

قال : يا أمير المؤمنين ، ولو عزلتَ عامل المدينة ووليّتني مكانَه ، أما كنتَ تعزلني أيضاً وتولّي غيري ؟

قال : بلى .

قال : فكنت أرجع الى سيرتي الأولى .

فقال المهديّ لوزرائه : ما تقولون في حاجة ابن هَرْمة وما عندكم فيها من التلطف ؟

قالوا : يا أمير المؤمنين ، إنه يطلب ما لا سبيلَ اليـه : إسقاطَ حدٍّ من حدود الله .

قال المهدي : إن عندي له حيلةً ، إذ أعيتكم الحيل فيـه ، اكتبوا له الى عامل المدينـة : مَن أتاك بابن هَرْمة سكران فيُضرب ابنُ هرمة ثمانين ، ويُضرب الذي يأتيك به مائة .

فكان ابن هرمـة اذا مشى في أزقّة المدينـة يقول : مَن يشتري مائةً بثمانين ؟

•

وكان بأمَج رجلٌ يقال له حُميد، وكان مفتوناً بالخمر، فهجاه ابنُ عمٍّ له، وقال فيه:

حُميدُ الذي أمَجٌ دارُه،
أخو الخمر، ذو الشَّيبةِ الأصلعُ

علاهُ المشيبُ على شُربها،
وكان كريماً، فما يَنزِعُ

ودخل حميدٌ يوماً على عمر بن عبد العزيز، فقال له: من أنت؟

قال: أنا حميد.

قال: حميدُ الذي[1]؟

قال: والله يا أمير المؤمنين ما شربت مُسكِراً منذ عشرين سنة.

فصدَّقه بعضُ جلسائه فقال له: إنما داعبناك.

---

١ يشير الى الشعر السابق.

الفرق بين الخمر والنبيذ

أول ذلك أن تحريمَ الخمر مُجمَع عليه لا اختلاف فيه بين اثنين من الائمة والعلماء . وتحريم النبيذ مختلفٌ فيه بين الأكابر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين بإحسان . حتى لقد اضطُرَّ محمدُ بن سيرين في علمه وورعِه أن يسأل عَبيدة السَّلماني عن النبيذ . فقال له عَبيدة : اختُلف علينا في النبيذ . وعَبيدة ممن أدرك أبا بكر وعمر . فما ظنُّك بشيء اختلفَ فيه الناس وأصحاب النبي عليه الصلاة والسلام متوافرون ، فمن بين مُطلِق له ومحظّرٍ عليه ؟ وكلٌّ واحدٍ منهم يقيمُ الحججَ لمذهبه ، والشواهدَ على قوله .

•

والنبيذ كل ما نُبِذ في الدُّبَّاء[1] والمزفّت ، فاشتدَّ حتى يُسكِرُ كثيرُه . وما لم يشتدَّ ، فليس يسمّى نَبيذاً ، كما أنه ما لم يُغلَ من عصيرِ العنب حتى يشتدَّ ، فليس يسمّى خمراً ، كما قال الشاعر :

---

[1] الدباء : القرع ، وكانوا يضعون فيه النبيذ .

نبيذٌ ، اذا مرَّ الذُّباب بدَنّه
تَقَطَّرَ ، أو خرَّ الذُّبابُ ، وقيذا[1]

•

وقيل لسُفيانَ الثّوري ، وقد دعا بنبيذٍ فشرب منه ، ووضعه بين يديه : يا أبا عبد الله ، أخَشِيَ الذبابُ أن يَقع في النبيذ ؟ قال : قبّحَه الله ، إذا لم يذبّ عن نفسه .

•

وقال حفص بن غِياث : كنتُ عند الأعمش وبين يديه نبيذ ، فاستأذن عليه قومٌ من طلبة الحديث ، فسترتُه ، فقال لي : لمَ سترتَه ؟ فكرهتُ أن أقول : لئلا يراه مَن يدخل ، فقلت : كرهتُ أن يقعَ فيه الذُّباب . فقال لي : هيهات ، إنه أمنعُ من ذلك جانباً .

•

ولو كان النبيذ هو الخمر التي حرّمها الله في كتابه ما اختلَفَ في تحريمه اثنان من الأئمة .

•

حدّث محمد بن وضّاح قال : سألت سحنونَ ، فقلت : ما تقول فيمن حلف بطلاق زوجته ، إنّ المطبوخ من عصير

---

١ تقطر : صرع وسقط . الوقيذ : المضروب حتى يموت .

العنب هو الخمر ، التي حرمها الله في كتابه ؟ قال : بانت زوجتُه منه .

•

وذكر ابن قتيبة في كتاب الأشربة : إنّ الله تعالى حرم علينا الخمر بالكتاب ، والمُسكِر بالسُّنّة ، فكان فيه فُسحة ، فما كان محرّماً بالكتاب ، فلا يحلُّ منه لا قليلٌ ولا كثيرٌ ، وما كان محرّماً بالسنّةِ ، فإنّ فيه فسحةً أو في بعضِه ، كالقليل من الدّيباج والحرير يكون في الثوب ، والحريرُ محرّمٌ بالسُّنّة. وكالتفريط في صلاةِ الوِترِ ، وركعتَي الفجر ، وهما سنّة ، فلا نقول : إنّ تاركَهما كتارك الفرائض من الظهر والعَصر .

وقد استأذن عبدُ الرحمن بن عوف رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في لباس الحرير لبليّةٍ كانت به ، وأذِنَ لعَرفجة بن سعد ، وكان أصيب أنفُه يوم الكُلاب ، باتخاذ أنفٍ من الذهب.

وقد جعل الله فيما أحلّ عِوضاً مما حرّم، فحرّم الربا وأحلّ البيع، وحرّم السّفاحَ وأحلّ النّكاح ، وحرّم الديباجَ وأحلّ الوشي ، وحرّم الخمر وأحلّ النبيذَ غيرَ المسكِر . والمسكر منه ما أسكرك .

مناقضة ابن قتيبة

في قوله في الأشربة

قال في كتابه : فإن قال قائل : إنَّ المنكَرَ هو الشَّربة المسكرة ، أكذَبَه النظر . لأنَّ القدحَ الأخيرَ إنما أسكرَ بالأوّل ، وكذلك اللُّقمةُ الأخيرة إنما أشبعت بالأولى . ومن قال : السُّكرَ حرام ، فإنما ذلك مجازٌ من القول ، وإنما يريد ما يكون منه السُّكر حرام . وكذلك التُّخمة حرام .

وهذا الشاهد الذي استشهد به في تحريمه قليلَ ما أسكر كثيرُه ، وتشبيهُ ذلك بالتُّخمة شاهدٌ عليه لا شاهدٌ له ؛ لأن الناس مُجمِعون أنَّ قليلَ الطعام الذي تكون منه التخمة حلال وكثيره حرام . وكذلك ينبغي أن يكون قليلُ النبيذ الذي يُسكر كثيرُه حلالاً ، وكثيرُه حراماً ، وأنَّ الشَّربة الآخِرةَ المسكرة هي المحرَّمة . ومَثَل الأربعة الأقداحِ التي يُسكِرُ منها القدحُ الرابع ، مَثَلُ أربعةِ رجال اجتمعوا على رجل ، فشجّه أحدُهم مُوضِحَة ، ثم شجّه الثاني مُنقّلة ، ثم شجّه

الثالث مأمومة[1] ، ثم أقبل الرّابعُ فأجهزَ عليه . فلا نقولُ : إنّ الأول هو قاتلُه ، ولا الثاني ، ولا الثالث ، وإنما قتله الرّابع الذي أجهَزَ عليه ، وعليه القوَد .

وذكر ابن قتيبة في كتابه ، بعد أن ذكر اختلاف النّاس في النبيذ ، وما أدلى به كلُّ قومٍ من الحُجّة ، فقال :

وأعدلُ القول عندي أنّ تحريمَ الخمر بالكتاب وتحريمَ النبيذ بالسنّة ، وكراهيةَ ما أفترَ وأخدَرَ من الأشربة تأديب .

ثم زعم في هذا الباب بعينه أنّ الخمر نوعان : فنوعٌ منهما مُجتمَعٌ على تحريمه ، وهو خمر العنب من غير ان تمسّه نار ، لا يحلُّ منه لا قليل ولا كثير . ونوعٌ آخرُ مختلَف فيه ، وهو نبيذ الزّبيب إذا اشتدّ ، ونبيذ التّمر اذا صَلُب ، وهو يسمى السَّكَر ، ولا يسمى السكر إلا نبيذ التمر خاصّة .

وقال بعض الناس : ليس نبيذ التمر خمراً . ويحتجّون بقول عمر : ما انتُزِع بالماء فهو حلال ، وما انتُزِع بغير الماء فهو حرام .

قال ابن قتيبة : وقال آخرون : هو خمر حرامٌ كله . وهذا هو القولُ عندي ، لانّ تحريمَ الخمر نزَل ، وجمهورُ

---

1 الموضحة : التي توضح عن العظم . المنقلة : التي تنقّل العظم ، اي تكسره . المأمومة : التي تبلغ أم الدماغ حتى يبقى بينها وبين الدماغ جلد رقيق .

الناس مختلفة ، وكلُّها يقع عليها هذا الاسم في ذلك الوقت .

وذكَر أن ابا موسى قال : خمرُ المدينة من البُسر والتمر ، وخمرُ أهل فارسَ من العِنب ، وخمرُ أهل اليمن من البِتْع ، وهو نبيذ العسل . وخمر الحبشة السُّكُرْكَة وهي من الذرة ، وخمر التَّمر يقال له : البِتْع والفضيخ .

وذكَر ان عمر قال : الخمرُ من خمسة أشياء : من البُرّ ، والشَّعير ، والتمر ، والزَّبيب ، والعسل .

والخمر ما خامر العقل . ولأهل اليمن أيضاً شراب من الشعير ، يقال له المِزْر .

فزعم هاهنا ابنُ قتيبة أنّ هذه الأشربةَ كلها خمر . وقال : هذا هو القولُ ، وقد تقدّم له في صدر الكتاب أن النبيذ لا يسمى نبيذاً حتى يشتدّ ويُسكِرَ كثيرُه ، كما أن عصير العنب لا يسمى خمراً حتى يشتد ، وأن صدرَ هذه الامّة وأئمّةَ الدين لم يختلفوا في شيء اختلافَهم في النبيذ ، وكيفيّته .

ثم قال فيما حكم به بين الفريقين :

أمّا الذين يذهبون الى تحريمه كلّه ولم يفرقوا بين الخمر وبين نبيذ التمر ، وبين ما طُبخ وبين ما نُقِع ، فإنهم غَلَوا في القول جِداً ، ونَحَلوا قوماً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم البدريّين ، وقوماً من خيار التابعين ، وأئمّةً من السلفِ المتقدّمين

شُربَ الخمر. وزينوا ذلك بأن قالوا : شربُوها على التأويل . وغَلِطوا في ذلك ، فاتّهموا القوم ، ولم يتهموا نظرهُم ، ونَحَلوهم الخطأ ، وبرّأوا انفسَهم منه .

فعجبت منه ، كيف يعيب هذا المذهبَ ثم يتقلّدُه، ويطعن على قائله ثم يقول به. الا أني نظرت في كتابه فرأيته قد طال جدّاً ، فأحسبه أنسِيَ في آخره ما ذهَبَ اليه في اوّله .

والقول الاول من قوله هو المذهب الصحيح الذي تأنس اليه القلوب ، وتقبلُه العقول ، لا قوله الآخِرُ الذي غلط فيه .

احتجاج المحرمين

لقليل النبيذ وكثيره

ذهبوا ، أجمعون ، أن جميعَ ما أسكرَ كثيرُه من الشراب فقليلُه حرام ، كتحريمِ الخمر .

وقال بعضُهم: بل هو الخمرُ بعينِها ، ولم يفرقوا بين ما طُبيخ وبين ما نُقع . وقَضَوا عليه كلّه انه حرام .

وذهبوا من الأثر الى حديثٍ رواه عبد الله بن قتيبة عن محمد ابن خالد بن خِداش ، عن أبيه، عن حمّاد بن زيد ، عن أيوب ، عن نافع، عن ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كلُّ مسكرٍ حرام وكلُّ مسكرٍ خمر. وحديثٍ رواه ابن قتيبة عن إسحق بن راهَويه ، عن المعتمر بن سليمان ، عن ميمون بن المهديّ ، عن أبي عثمان الأنصاري ، عن القاسم ، عن عائشة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كلُّ مسكر حرام . وما اسكر منه الفَرْقُ فالحَسوةُ منه حرام .

والفرق : ستة عشر رطلًا. وللعرب أربعة مكاييلَ مشهورة: فأصغرها المُدُّ، وهو رِطل وثلُث في قول الحجازيِّين، ورِطلان

في قول العراقيّين . وكان رسول الله صـــلى الله عليه وسلم يتوضّأ بالمُدّ .

والصاع : اربعـةُ امدادٍ ، خمسةُ أرطالٍ وثلثٌ في قول الحجازيين ، وثمانية أرطال في قول العراقيين . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصّاع .

والقسط : وهو رِطلان وثلثان ، في قول الناس جميعاً . والفَرَق ، وهو ستةَ عشرَ رِطلاً ، ستةُ أقساط في قول الناس جميعاً .

وذهبوا الى حديث رواه ابن قتيبة عن محمد بن عبيد ، عن ابن عُيينـة ، عن الزُهري ، عن أبي سلمة ، عن عائشة : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كلُّ شراب اسكَرَ فهو حرام ، مع أشباهٍ لهذا من الحديث يطول الكتاب باستقصائها ، إلا أن هذه أغلظُها في التحريم ، وأبعدُها من حيلة المتأوّل .

قالوا : والشّاهد على ذلك من النظر : أن الخمر إنما حُرّمت لاءسكارها وجنايتها على شاربها ، ولأنها رِجس ، كما قال الله .

ثم ذكروا من جنايات الخمر ما قد ذكرناه في صدر كتابنا هذا ، في باب آفات الخمر وجناياتها .

ثم قالوا : فالعلّة ، التي لها حُرّمت الخمرُ من الاءسكار ، ومن الصُّداع والصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة ، قائمةٌ بعينها في النبيذ كلّه المسكر ، فسبيلُه سبيلُ الخمر ، لا فرقَ بينهما

في الدّليل الواضح ، والقياسِ الصحيح . كما أن حديث النبي صلى الله عليه وسلم في الفأرة إذا وقعت في السمن ، إنه إن كان جامداً ألقِيَتْ وألقي ما حولها ، وإن كان ذائباً أريق السّمن. فحملت العلماء الزيتَ وغيره محمَل السّمن ، بالدليل الواضح .

وعلمت ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقصِد الى السّمن خاصةً بنجس الفأرة ، وإنما سئل عن الفأرة تقع في السمن فأفتى به ، فقاس العلماء الزيت وغيرَه بالسمن. وكما أمر في الاستنجاء بثلاثة احجار ، فعلم أهل العلم أنه انما أراد صلى الله عليه وسلم بالثلاثة الأحجار للتنقية من الأذى، فأجازوا كلَّ ما انقى : من الخزَف ، والخِرَق ، وغيرِ ذلك ، وحملوه محمل ثلاثة الأحجار . ولمّا حُرّمت الخمر لِعلّةٍ قائمةٍ في النبيذ المسكِر حُمل النبيذ محمَل الخمرِ في التحريم .

قالوا : ووجدناهم يقولون لمن غلب عليه غثَث النّفس[1] وصُداعُ الرّأس من الخمر : مخمور ، وبه خُمار . ويقولون مثل ذلك في شارب النبيذ ، ولا يقولون : منبوذ ، ولا به نُباذ. والخُمار مأخوذ من الخمر ، كما يقال : الكُباد في وجع الكبد ، والصُّدار في وجع الصدر .

---

١ غثث نفسه : لقست ومالت الى القيء .

وذهبوا في تحريم النبيذ الى حديثِ أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه نهى عن أن يُنْبَذ في الدُبَّاء والمزفَّت ، وقالوا لمن أجاز قليلَ ما أسكرَ كثيرُه : إنه ليس بينَ شارب المسكر وموافقته السَّكرَ حدٌ يُنتهى إليه، ولا يوقَف عنده ، ولا يَعلم شارب من شاربي المسكر متى يسكر حتى يسكر، كما لا يعلم النَّاعسُ متى يرقُد حتى يرقد . وقد يشرب الرجل من الشراب المسكِر قدحين وثلاثة أقداح ولا يسكر ، ويشرب منه غيرُه قدحاً واحداً فيسكر ، لا ، بل قد يختلف طبعُ الرجل في نفسه ، فيسكر مرّةً من القدحين ، ويشرب مرة أخرى ثلاثة اقداح فلا يسكر .

•

رسالة عمر بن عبد العزيز

الى اهل الأمصار في الأنبذة

أمّا بعد فإنّ الناس كان منهم في هذا الشرابَ المحرّم أمرٌ ساءت فيه رغبةُ كثيرٍ منهم ، حتى سفّه أحلامَهم ، وأذهبَ عقولَهم ، فاستُحلّ به الدّمُ الحرام ، والفرج الحرام .

وإنّ رجالاً منهم ممن يصيب ذلك الشرابَ يقولون : شربنا طِلاء ، فلا بأسَ علينا في شربه . ولعمري إنّ فيما قرّب مما حرم اللهُ بأساً ، وإنّ في الأشربة التي أحلّ الله : من العسل ، والسويق ، والنبيذ من الزبيب والتمر لمندوحة عن الاشربة الحرام ، غير أنّ كلّ ما كان من نبيذ العسل والتمر والزبيب فلا يُنبذ إلا في أسقيةِ الأدَم التي لا زِفتَ فيها ، ولا يُشرب منها ما يُسكر ؛ فإنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن شرب ما جُعل في الجِرار ، والدُّبّاء ، والظروف المزفّتة . وقال : كل مُسكرٍ حرام . فاستغنُوا بما أحل الله لكم عمّا حرّم عليكم .

وقد أردتُ بالذي نهيتُ عنه من شُرب الخمر وما ضارع

الخمرَ من الطِّلاء ، وما جُعِل في الدُّبّاء والجِرارِ والظروف المزفّتة ، وكلّ مسكر ، اتخاذَ الحُجّة عليكم . فمن يُطِعْ منكم فهو خيرٌ له . ومن يخالِفْ الى ما نُهِي عنه نعاقبْه على العلانية ، ويكفِنا الله ما أسرّ . فإنه على كلّ شيء رقيب . ومَن استخفى بذلك عنا فإن الله أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلاً .

احتجاج المحللين للنبيذ

قال المحلّلون لكلّ ما اسكر كثيرُه من النبيذ :

إنما حَرُمت الخمرُ بعينها ، خمرُ العنب خاصّةً بالكتاب ، وهي معقولة مفهومة ، لا يمتري فيها أحدٌ من المسلمين ، وإنما حرّمها الله تعبُّداً لا لعلةِ الإسكار ، كما ذكرتم ، ولا لأنها رِجْس كما زعمتم . ولو كان ذلك كذلك لما أحلّها الله للأنبياء المتقدّمين ، والأمم السالفين ، ولا شربها نوحٌ بعد خروجه من السفينة ، ولا عيسى ليلةَ رُفِع ، ولا شربها أصحابُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم في صدر الاسلام .

وأما قولكم : إنها رجس ، فقد صدقتم في اللفظ ، وغَلِطتم في المعنى ، إذ كنتم أردتم أنها منتنة ؛ فإن الخمرَ ليست بمنتنةٍ ولا قذِرة ، ولا وصَفَها أحدٌ بنتن ولا قذَر ، وإنما جعلها الله رِجْساً بالتحريم ، كما جعل الزّنا فاحشة ومَقْتاً ، أي معصيةً وإثماً ، بالتحريم ، وإنما هو جِماع كجِماعِ النّكاح ، وهو عن تراضٍ وبذل ، كما أن النّكاح عن تراضٍ وبذل ، وقد يُبذَل في السِّفاح ما لا يُبذَل في النكاح ، ولذلك سمّى الله تبارك

وتعالى المحرّماتِ كلها خبائث ، فقال تعالى : ويُحرّم عليهم الخبائث . وسمّى المحلّلات كلّها طيّبات ، فقال : يسألونَكَ ماذا أُحِلّ لهم، قل أُحِلّ لكم الطيّبات. وسمّى كلّ ما جاوز أمرَه أو قصّر عنه سرَفاً ، وإن اقتصد فيه .

وقد ذكرَ الخمرَ فيما امتنّ به على عباده قبلَ تحريمها ، فقال تعالى : ومِن ثَمَرات النّخيل والأعنابِ تَتّخِذون منه سَكَراً ورزقاً حسناً . ولو أنها رِجسٌ ، على ما تأوّلتم ، ما جعَلها الله في جَنّته ، وسمّاها لذّة للشاربين .

وإن قلتم : إنّ خمرَ الجنة ليست كخمر الدنيا ؛ لأنّ الله نفى عنها عُيوبَ خمر الدنيا ، فقال تعالى : لا يُصدّعون عنها ولا يُنزَفون . وكذلك قوله في فاكهة الجنة : لا مقطوعةٍ ولا ممنوعة ، فنفى عنها عيوبَ فواكه الدنيا ؛ لأنها تأتي في وقتٍ وتنقطع في وقت ، ولأنها ممنوعةٌ إلاّ بالثمن ، ولها آفاتٌ كثيرة ، وليس في فواكه الجنة آفة. وما سمِعنا أحداً وصَفَ الخمر إلاّ بضِدّ ما ذكرتم من طِيب النسيم ، وذكاء الرائحة .

قال الأخطل :

كأنّما المسكُ نُهبى ، بينَ أرحُلِنا ،
وقد تضوّع من ناجُودِها الجاري[1]

١ النهبى : اسم ما يُنهب . الناجود : اول ما يخرج من الخمر اذا شق دنها .

وقال آخر :

فتنفّسَتْ في البيتِ ، إذ مُزجت ،
كتنفُّس الريحانِ في الأنفِ

•

وقال أبو نُواس :

نحنُ نُخفيها ، ويأبى طيبُ ريحٍ ، فتفوحُ

•

وإنما قوله فيها رِجسٌ كقوله تعالى : وأما الذين في قلوبهم مَرَضٌ فزادَتهُم رِجساً الى رِجْسِهم ، أي كُفراً الى كفرهم.

وأمّا منافعُها التي ذكرها الله تعالى في قوله: يَسألونك عن الخمر والمَيسر قُلْ فيهما إثمٌ كبيرٌ ومنافعُ للناس وإثمهما أكبَرُ من نَفعِهِما ، فإنها كثيرةٌ لا تُحصَى : فمنها أنها تُدِرّ الدم، وتقوّي المُنّة[1]، وتصفّي اللون ، وتبعث النشاط، وتفتق اللسان ، ما أخذ منها بقدر الحاجة ، ولم يُجاوزِ المقدار . فإذا جاوز ذلك عاد نفعُها ضَرّاً .

•

وقال ابن قتيبة ، في كتاب الأشربة :

---

١ المنة : القوة ، ضد الضعف .

كانت الأوائل تقول : الخمرُ حبيبةُ الروح ، ولذلك اشتقّ لها اسمٌ من الروح ، فسميت راحاً ، وربما سميت رُوحاً .

•

وقال ابراهيم النظّام :

ما زلتُ آخذُ رُوحَ الزّقّ في لَطَفٍ ،
وأستبيحُ دماً من غير مذبوحِ

حتى انثنيتُ ، ولي روحانِ في جسدي ،
والزقُّ مُطّرَحٌ جسمٌ بلا رُوحِ

•

وقد تُسمّى دماً لأنها تزيد في الدم . قال مسلم بن الوليد الأنصاري :

مَزَجنا دماً من كَرمةٍ بدمائِنا ،
فأظهرَ في الألوان منّا الدّمَ الدمُ

•

قال ابن قتيبة : وحدّثني الرياشي أنّ عبيداً راوية الأعشى قال : سألتُ الأعشى عن قوله :

وسُلافةٍ مما تُعتّق بابلٌ ،
كدم الذبيح سلبتُها جِريالَها[1]

---

[1] الجريال : لون الخمر .

فقال : شربتُها حمراء ، وبَلْتُها بيضاء . يريد أنَّ حمرتها صارت دماً .

•

ومن منافع الخمر أنها تزيد في الهمّة ، وتولد الجرأة ، وتهيج الأنفة ، وتسخّي البخيل ، وتُشجّع الجبان . قال حسّانُ ابن ثابت :

ونشربُها ، فتتركُنا ملوكاً ،
وأسْداً ، ما ينهنها اللقاء

•

وقال طرَفة :

فإذا ما شربوها وانتشَوا ،
وَهبُوا كلَّ أمُونٍ وطِمِرّ[1]

ثم راحوا ، عَبَقُ المسكِ بهم ،
يَلحَفونَ الأرضَ هُدّابَ الأزُرْ

•

وقال مسلم بن الوليد :
تَصدُّ بنفس المرء عمّا يغُمُّه ،
وتُنطِقُ بالمعروفِ ألسنةَ البُخْلِ

١ الأمون : الناقة الوثيقة الخلق التي يؤمن عثارها . الطمر : الجواد المتوثب .

•

وقال الحسن بن هانىء :

إذا ما أتَتْ دون اللّهاة من الفتى ،
دعا هَمُّه من صَدره برحيلِ

•

ومِن تسخيتها للبخيل على البذل قول بعض المُحدَثين :

كساني قميصاً مرتين ، اذا انتشى ،
ويَنزِعُه مني ، إذا كان صاحيا

فلي فَرحةٌ في سكرهِ بقميصِه ،
وفي الصَّحو رَوعاتٌ تُشيب النّواصيا

فيا ليتَ حظّي، من سروري وترحتي ،
ومن جُودِه ، ألاّ عليَّ ولا ليا

•

قالوا : ولولا أن الله تعالى حرّم الخمر في كتابه لكانت سيّدة الأشربة . وما ظنُّك بشرابٍ الشربةُ الثانية منه أطيبُ من الاولى ، والثالثةُ أطيبُ من الثانية ، حتى يؤدّيَك الى أرفق الأشياء وهو النوم . وكلُّ شرابٍ سواها فالشربةُ الأولى أطيبُ من الثانية ، والثانية أطيبُ من الثالثة حتى تملّه وتكرهه .

•

وسقى قومٌ أعرابياً كؤوساً ، ثم قالوا : كيف تجـدُك ؟ قال : أجِدُني أبْشَرَ[1] وأجدُكم تُحبّبون إليّ .

•

وقالوا : ما حرّم الله شيئاً إلاّ عوّضنا ما هو خيرٌ منه او مثلُه ، وقـد جـعَل الله النبيذَ عوضاً من الخمر نأخذُ منـه ما يطيّب النفس ، ويصفّي اللون ، ويَهضِم الطعامَ ، ولا نَبلُـغُ منه الى ما يُذهِب العقل ، ويُصدّع الرأس ، ويُغثي النفس ، ويشْرَكُ الخمرَ في آفاتها وعظيم جناياتها .

•

قالوا : وأمّا قولُكم : إنّ الخمرَ كلُّ ما خمّر ، والنبيذَ كلّه يخمّـر ، فهو خمرٌ ، فإن الأسمـاء قد تتشاكلُ في بعض المعاني ، فتسمّى ببعضها لعلّةٍ فيها ، وهي في آخر ولا يُطلَق ذلك الاسمُ على الآخر . ألا ترى أن اللبنَ قد يخمّرونه برُوبةٍ تُلقى فيه ولا يسمّى خمراً ، وأنّ العجينَ قد يخمّـر فيسمّى خميراً ولا يسمى خَمْراً ، وأنّ نقيـعَ التمر يُسمى سَكَراً لإسكاره ولا يسمّى غيرُه من النبيذ سَكَراً وإن كان مسكراً. وهذا أكثرُ في كلام العرب من أن يحاطَ به .

•

---

[1] ابشر : افرح .

ورائبُ اللبنِ يُسكر إسكاراً كسكر النبيذ . ويقال : قوم ملبونون ، وقومٌ رَوبى ، إذا شربوا الرّائب فسكِرُوا منه . وقال بشر بن أبي خازم :

فأمّا تميمٌ تمـيمُ بنُ مرّ ، فألفاهم القومُ رَوبى نيامـا

•

وأما قولكم للرجـل : مخمورٌ ، وبه خُمـار ، إذا أصابه صُداعٌ من الخمر ، وقد يقال مثلُ ذلك لمن اصابه صُداع من النبيذ ، فيقال : به خُمار ، ولا يقال بـه نُباذ ، فإنّ حجّتنا في ذلك أن الخُمار انمـا يعرض مما أسكر من النبيذ ، وذلك حرامٌ لا فرق بينه وبين الخمر عندنا ، فيقال فيه ما يقال في الخمر . وإنما كان شَرَبةُ النبيذ من أسلافنا يشربون منه اليسير على الغَداء والعشاء ، ومما لا يعرض منه خُمار .

•

وقد فرّقت الشعراء بين النبيـذ والخمر ، فقال الأقيشر ، وكان مُغرَماً بالشراب :

وصَهباء جُرجانيّةٍ ، لم يُطِفْ بهـا
حنيفٌ ، ولم تَنغَر بها ، ساعةً ، قِدرُ[1]

---

[1] تغرت القدر : غلت .

اتاني بها يحيى ، وقد نمتُ نومةً ،
وقد غارتِ الشّعرى ، وقد خفقَ النّسر[1]

فقلت : اصْطَبِحْها ، أو لغيريَ ، فاسقها ،
فما أنا بعدَ الشيب ، ويحك ، والخمرُ

اذا المرء وافى الأربعينَ ، ولم يكن
له ، دون ما يأتي ، حياء ولا سِتر

فدَعْه ، ولا تُنكر عليه الذي أتى ،
وإن جرّ أرسانَ الحياةِ له الدّهر

فأعلمكَ أنّ الخمر هي التي لم تَغلِ بها القدور .

•

وأما قولُ بعض الشعراء في شاربي النبيذ ، وما عابوهم به من قلة الوَفاء ، ونقض العهود ، فقد قالوا أقبح من ذلك في تارك النبيذ ، وقال ابن بِيض :

ألا لا يغرّنْك ذو سجدة ، يظلُّ بها دائباً ، يخدعُ
وما للتّقى لزمت وجهَه ، ولكن ليأتيَ مُستودِع[2]

---

[1] الشعري والنسر : نجمان .

[2] يشير الشاعر بهذا البيت الى قصة رواها عنه ابو الفرج الاصبهاني ، وهي انه استودع يوماً ناسكاً ثلاثين الف درهم واستودع مثلها رجلاً يشرب النبيذ فأعاد هذا اليه الوديعة ، اما الناسك فانفق ما كان استودع وانكره .

ثلاثون ألفاً حواها السُّجُود، فليست ، الى ربّها ، ترجع
وردٌ أخو الكأس ما عندَه، وما كنتُ، في ردّه، أطمع

•

وقال آخر :

أمّا النبيذ ، فلا يَذْعَرْك شاربُه ،
واحفَظْ ثيابَك ممن يشرب المـــاء

قومٌ يورُّون عمّا في نفوسِهِمُ ،
حتى اذا استمكنوا كانوا هم الداء

مشمّرين إلى أنصافِ سُوقِهِمُ ،
هم الذّئابُ ، وقد يُدعَون قُرّاء

•

وقال اعرابيّ :

صلّى ، فأعجبني ، وصام ، فرابني ،
نَحِّ القَلوصَ عن المصلّي الصائمِ

•

وقال غيره :

شَمّر ثيابَــك ، واستعدّ لقائلٍ ،
واحكُكْ جبينَك للقضاء بثُومِ

وامشِ الدَّبيبَ ، إذا مشيت لحاجةٍ ،
حتى تُصيبَ وديعـــةً ليتيم

•

وقال بعض الظرفاء :

أظهَروا للهِ سمتـاً ، وعلى المنقوشِ دارُوا[1]
وله صلّوْا وصامُوا ، وله حَجُّوا وزاروا
لو يُرى فوقَ الثريّا ، ولهم ريشٌ ، لَطاروا

•

وهؤلاء المراءون بأعمالهم ، العاملون للنـاس والتّاركون للناس ، هم شِرارُ الخَلْق وأراذِل البريّة . وقد فضّل شَرَبَةَ النبيذ عليهم بإرسال الأنفس على السجيّة ، وإظهـار المروءة . ولسنا نَصِفُ بهذا منهم الا ّ الادنياء ، فليس في الناس صِنفٌ الا ولهم حُشوة .

•

ومن احتجاج المحلّلين للنبيـذ ما رواه مالك وأثبتَه في موطّأه ، من حديث أبي سعيدٍ الخُدريّ : أنّه قدِم من سفرٍ فقُدِّم اليه لحمٌ من لحوم الاضاحي، فقال : ألم يكن من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها أمر ؟ فخَرَجَ الى الناس فسألهم ،

---

١ المنقوش : الدينار .

فأخبروه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كنت نهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاثة أيام ، فكلوا وادّخروا وتصدّقوا. وكنت نهيتكم عن الانتباذ في الدُّبّاء والمزفّت ، فانتبذوا ، وكلُّ مُسكرٍ حرام . وكنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها ولا تقولوا هُجْراً .

والحديثان صحيحان رواهما مالك بن أنس وأثبتهما في موطّإه ، وانما هو ناسخٌ ومنسوخ ، وانما كان نَهيُه أن ينتبذ في الدُّبّاء والمزفّت نهياً عن النبيذ الشديد ، لأنّ الاشربة التي تُعتَمل فيها تشتدّ . ولا معنى للدُّبّاء والمزفّت غيرُ هذا .

وقوله بعد هذا : كنت نهيتكم عن الانتباذ فانتبذوا ، وكلُّ مُسكر حرام ، إباحةٌ لما كان حَظّرَ عليه من النّبيذ الشديد .

وقوله صلى الله عليه وسلم : كلُّ مسكرٍ حرام ، فنهاهم بذلك ان يشربوا حتى يسكروا . وإنما المسكِر ما أسكَرَ ولا يسمّى القليلُ الذي لا يُسكر مُسكراً . ولو كان ما يُسكر كثيرُه يسمّى قليلُه مُسكراً ما أباح لنا منه شيئاً . والدليل على ذلك أنّ النبي صلى الله عليه وسلم إذ شرب من سِقاية العبّاس ، فوجده شديداً ، قطّب بين حاجبيه ثم دعا بذَنوبٍ من ماء

زمزم فصبّ عليه ، ثم قال : إذا اغتلمت[1] أشربتكم فاكسروها بالماء . ولو كان حراماً لأراقه وما صب عليه ماء ثم شربه .

•

واحتجوا في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: كل مسكر حرام وما اسكر الفرق[2] منه فمِلءُ الكف حرام ، فإنّ هذا كله منسوخٌ ، نَسَخه شُربه للصُّلب[3] يوم حَجة الوداع .

•

قالوا : ومن الدليل على ذلك أنه كان نهى وفدَ عبدِ القيس عن شُرب المسكر، ثم وفدوا اليه بعد، فرآهم مصفرّةً ألوانُهم، سيّئةً حالهم ، فسألهم عن قِصّتهم فأعلموه أنه كان لهم شَرابٌ فيه قِوامُ أبدانهم ، فمنعهم من ذلك ، فأذِن لهم في شُربه . وأنّ ابنَ مسعودٍ قال : شهِدنا التحريم وشهدتم ، وشهدنا التحليل وغِبتم . وأنه كان يشرب الصُّلب من نبيذ الجرّ[4] حتى كثُرت الروايات به عنه وشُهِرت وأذيعت ، واتّبعه عليه عامّة التابعين من الكوفيّين ، وجعلوه أعظم حُججِهم ، وقال في

١ فسر هذا الحديث ابن الاثير في النهاية بقوله : اغتلمت : اي جاوزت حدها الذي لا يسكر الى حدها الذي يسكر .

٢ الفرق : مكيال ضخم ، قيل يكون فيه ستة عشر رطلاً .

٣ الصلب : ما اشتد من النبيذ .

٤ الجر : الواحدة جرة .

ذلك شاعرهم :

من ذا يحرّم ماء المزْن ، خالَطَهُ ،
في جوف خابيةٍ ، ماء العناقيدِ ؟
إني لأكرَهُ تشديدَ الرُواة لنا
فيه ، ويُعجبني قولُ ابنِ مسعودِ

وإنما أراد : انهم كانوا يَعمدون الى الرُبّ الذي قد ذهب ثلثاه وبقي ثلثه ، فيردُّون عليه من الماء قدرَ ما ذَهَب منه ، ثم يتركونه حتى يغلي ويسكنَ جأشُه ثم يشربونه . وكان عُمر يشرب على طعامه الصُلب ، ويقول : يقطّع هذا اللحمَ في بطوننا .

•

واحتجوا بحديث زيد بن أخزم ، عن ابي داود ، عن شُعبة ، عن مِسعر بن كِدام ، عن ابن عون الثقفي ، عن عبد الله بن شدّاد ، عن ابن عباس ، أنه قال : حُرّمت الخمر بعينها ، والسُّكَر من كلّ شراب .

•

وفي حديث رواه عبد الرحمن بن سليمان ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عِكرمة ، عن ابن عباس ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم طاف وهو شاكٍ على بعير ، ومعه مِحجَن[1] ، كلما مرّ بالحجَر

---

١ المحجن : العصا المنعطفة الرأس .

استلمه بالمِحجن ، حتى اذا انقضى طوافُه نزل فصلّى ركعتين ثم أتى السّقاية[1] فقال : اسقُوني من هذا .

فقال له العباس : ألا نسقيك بما يُصنَع في البيوت ؟

قال : لا ، ولكن اسقوني ممّا يَشرب الناس .

فأتي بقدحٍ من نبيذ ، فذاقَه فقطّب ، وقال : هلمُّوا فصبُّوا فيه الماء . ثم قال : زد فيه مرّةً ، او مرّتين ، او ثلاثاً . ثم قال : إذا صَنَع بكم هذا فاصنعوا به هكذا .

•

وبحديثٍ رواه يحيى بن اليمان ، عن الثّوري ، عن منصور ابن خالد ، عن سعيد بن مسعود الأنصاري : أنّ النبي صلى الله عليه وسلم عَطِش وهو يطوف بالبيت ، فأتي بنبيذٍ من السّقاية فشمّه فقطّب ، ثم دعا بذَنوب من ماء زمزمَ فصبّ عليه وشرب ، فقال له رجلٌ: أحرام هو يا رسول الله ؟ فقال : لا .

•

وقال الشّعبي : شرب أعرابيٌّ من إداوة عُمر ، فانتشَى ، فحدّه عمر . وإنما حدّه للسُّكر لا للشراب .

•

---

١ السقاية : هي ما كانت قريش تسقيه الحجاج من الزبيب المنبوذ في الماء .

ودخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، على قوم يشربون ويُوقدون في الأخصاص[1] ، فقال : نهيتكم عن معاقرة الشراب فعاقرتم ، وعن الإيقاد في الأخصاص فأوقدتم . وهمّ بتأديبهم فقالوا : مهلاً يا أمير المؤمنين ، نهاك الله عن التجسُّس فتجسّست ، ونهاك عن الدخول بغير إذن فدخلت . فقال : هاتان بهاتين . وانصرف ، وهو يقول : كلُّ الناسِ أفقهُ منك يا عمر .

وإنما نهاهم عن المعاقرة وعن إدمان الشراب حتى يسكَروا ، ولم ينههم عن الشراب .

وأصل المعاقرة من عُقْر الحوض ، وهو مَقام الشاربة .

ولو كان عنده ما شربوا خمراً لحدّهم .

وبلغه عن عاملٍ له بمَيْسان أنه قال :

ألا أبلِغ الحسناء أنّ حليلَها ،
بمَيْسانَ ، يُسقَى في زُجاجٍ وحَنْتَمِ[2]

---

١ الأخصاص ، الواحد خص : بيت من قصب .
٢ الحنتم : الجرة الخضراء .

اذا شئتُ غنّتني دهاقينُ قريةٍ ،
وصنّاجةٌ تجذو على كلّ مَنْسِمِ[1]

فإن كنتَ ندماني ، فبالأكبر اسقِني ،
ولا تَسقِني بالأصغر المتثلّمِ[2]

لعلّ أميرَ المؤمنين يسوؤه
تنادُمُنا ، في الجَوسق المتهدّمِ

فقال : إي والله ، انه ليسوؤني ذلك . فعزله وقال : والله لا عَمِلَ لي عملاً ابداً .

وانما أنكر عليه المُدام ، وشربَه بالكبير ، والصّنج والرقص ، وشغْلَه باللهو عما فوّض اليه من أمور الرعيّة . ولو كان ما شرب عنده خمراً لحدّه .

•

---

١ دهاقين ، الواحد دهقان : القوي على التصرف على حدة ، التاجر ، زعيم فلاحي العجم ، ورئيس الاقليم . تجذو : تقف على اطراف اصابعها . المنسم : المذهب والوجه . يقول ان هذه الصناجة ، التي تعزف بالصنج ، تقف على اطراف اصابعها راقصة على كل مذهب او وجه من مذاهب الرقص ووجوهه .

٢ المتثلم : المتكسرة حافاته .

حدّث محمد بن داود ، عن سعيد بن نُصَير ، عن يَسار ، عن جعفر قال : سمعت مالك بن دينار ، وسُئِل عن النبيذ ، أحرام هو ؟ فقال : انظر ثمن التمْر ، من أين هو ، ولا تَسَلْ عن النبيذ أحلالٌ هو أم حرام ؟

•

وعُوتِب سعيد بن زيد في النبيذ ، فقال : أمّا أنا فلا أدَعُه حتى يكون شرّ عملي .

•

وقيل لمحمد بن واسع : أتشربُ النبيذ ؟ قال : نعم . فقيل : وكيف تشربُه ؟ فقال : على غَدائي وعَشائي ، وعند ظمئي . قيل: فما تركتَ منه ؟ قال: التُّكأة ومحادثة الاخوان .

•

وقال المأمون : اشرب النبيذ ما استبشعتَه ، فإذا سَهُل عليك فدَعْه . وإنما أراد به أنه يسهل على شاربه إذا أخَذَ في الإسكار .

•

وقيل لسعيد بن أسلم : أتشرب النبيذ؟ فقال : لا . قيل: ولِمَ ؟ قال : تركتُ كثيرَه لله ، وقليله للناس .

•

وكان سفيانُ الثَّوريُّ يشرب النبيذ الصُّلب الذي تحمرُّ منه وَجنتاه .

•

واحتجُّوا من جهة النظر أنَّ الأشياء كلَّها مباحةٌ إلاَّ ما حرَّم الله ، قالوا : فلا نُزيل نفسَ الحلال بالاختلاف ، ولو كان المحللون فرقة من الناس ، فكيف وهم أكثر الفرق ؟ وأهل الكوفة أجمعون على التحليل ، لا يختلفون فيه . وتلوا قول الله عزَّ وجلَّ : قل أرأيتم ما أنزلَ الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً ، قل آلله أذِنَ لكم ام على الله تَفتَرون .

•

حدَّث إسحاق بن راهَويه قال : سمعت وَكيعاً يقول : النبيذ أحلُّ من الماء .

وعابه بعضُ الناس في ذلك ، وقالوا : كيف يكون أحلَّ من الماء ؟ وهو وإن كان حلالاً فهو بمنزلة الماء . وليس على وكيعٍ في هذا الموضع عَيب ، ولا يرجع عليه فيه كَذِب ، لأن كلمتَه خرجت مخرجَ كلامِ العرب في مُبالغتهم ، كما يقولون : هو اشهر من الصباح ، وأسرع من البرق ، وأبعد من النجم ، وأحلى من العسل ، وأحرُّ من النار . ولم يكن

أحدٌ من الكوفيين يحرّم النبيذَ غيرَ عبد الله بن إدريس. وكان بذلك معيباً .

•

وقيل لابن ادريس : مَن خيارُ اهل الكوفة ؟ فقال : هؤلاء الذين يشربون النبيذ. قيل : وكيف وهم يشربون ما يحرّم عندك ؟ قال : ذلك مبلغُهم من العلم .

•

وكان ابن المبارك يكره شُربَ النبيذ ، ويخالف فيه رأيَ المشايخ وأهل البصرة .

قال أبو بكر بن عيّاش : مِن أين جئتَ بهذا القول في كراهيتك النبيذ ، ومخالفتك أهلَ بلدِك ؟ قال : هو شيء اخترتُه لنفسي. قلت : فتَعيب مَن شربَه ؟ قال : لا. قلت : فأنت وما اخترتَ .

•

وكان عبد الله بن داود يقول : ما هو عندي وماء الفُرات إلاّ سواء . وكان يقول : أكرَه ادارةَ القدَح ، وأكرهُ نقيعَ الزّبيب ، وأكره المعتّق .

وقال : مَن أدار القَدَح لم تَجزْ شهادتُه .

وشهد رجلٌ عند سوّارٍ القاضي ، فردّ شهادته لأنه كان يشرب النبيذ . فقال :

أمّا النبيذُ ، فإني غيرُ تاركِه ،
ولا شهادةَ لي ما عاشَ سوّارُ

•

حدّث شبابة قال : بينما زيد بن عليٍّ في بعض أزقة الكوفة اذ بَصُر به رجلٌ من الشيعة ، فدعاه الى منزله ، فأحضرهُ طعاماً ، فتسامعت به الشيعة ، فدخلوا عليه حتى غصّ المجلس بهم ، فأكلوا معه ، ثم استسقى ، فقيل له : أيّ الشراب نسقيك يا ابنَ رسول الله ؟

قال : أصلبُه أو أشدُّه .

فأتوه بعُسٍّ[1] من نبيذ فشرب ، ودارَ العسُّ عليهم فشربوا. ثم قالوا: يا ابنَ رسول الله ، لو حدّثتَنا في هذا النبيذ بحديثٍ رويتَه عن أبيك عن جدّك ، فإنّ العلماء يختلفون فيه؟ قال : نعم ، حدثني أبي عن جدّي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لتركَبُنّ طبقةَ بني اسرائيل حذوَ القُذّة بالقذة[2] ، والنّعل بالنعل . ألا وإن اللهَ ابتلى بني اسرائيل بنهر طالوت ، أحلّ منه الغُرفة والغُرفتين ، وحرّم منه الريّ ، وقد ابتلاكم بهذا النبيذ ، أحلّ منه القليلَ وحرّم منه الكثير .

---

١ العس : القدح الكبير .

٢ القذة : ريش السهم .

وكان أهلُ الكوفة يسمُّون النبيذ نهر طالوت . وقال فيه شاعرهم :

اشرَبْ على طربٍ ، من نهر طالوتِ ،
حمراء صافيـــةً ، في لونِ ياقوتِ

من كفِّ ساحرةِ العينيـن شاطرةٍ ،
تُربي على سحر هاروتٍ وماروتِ

لها تماوُت ألحاظٍ ، إذا نظـرت ،
فنار قلبـكَ من تلـك التّماويتِ

قصة الحارث بن كلدة طبيب العرب

مع كسرى أنوشروان الفارسي

وفدَ على كِسرى ملك الفرس الحارثُ بنُ كلَدة طبيب العرب ، فأذن له بالدُّخول ، فمثَل بين يديه فقال له كِسرى : مَن أنت ؟

قال : أنا الحارث بن كلَدة .

قال : أعرابي أنت ؟

قال : نعم من صميمِها .

قال : فما صناعتُك ؟

قال : طبيب .

قال : فما تصنع العرب بالطبيب مع جهلها ، وضُعف عقولها ، وقلّة قَبولها ، وسُوء غِذائها ؟

فقال : ذلك أجدَرُ أيُّها الملك ، إذ كانت بهذه الصفة ، أن تحتاج الى من يُصلح جهلها ، ويقيمُ عِوَجها ، ويَسوس ابدانَها ، ويعدّل أمشاجها[1] .

---

١ الامشاج : اخلاط البدن : المرة الصفراء ، والمرة السوداء ، والدم ، والبلغم .

قال الملك : كيف لها أن تعرف ما تزوّره عليها ، لو عرفت الحقّ لم تُنسب الى الجهل .

قال الحارث : أيها الملك ، إن الله جلّ اسمه قسّم العقولَ بين العباد كما قسّم الارزاقَ ، وأخذ القومُ نصيبهم ، ففيهم ما في الناس من جاهلٍ وعالم ، وعاجز وحازم .

قال الملك : فما الذي يُحْمَد من أخلاقهم ، ويُحفَظ من مذاهبهم ؟

قال الحارث : لهم أنفسٌ سخيّة ، وقلوب جريّة ، وعقول صحيحة مرضيّة ، وأحسابٌ نقية ، يمرُق الكلام من أفواههم مُروق السّهم العائر[1] ، ألينَ من الماء ، وأعذبَ من الهواء ، يُطعِمون الطعام ، ويَضربون الهامَ ، وعزّهم لا يرام ، وجارُهم لا يُضام ، ولا يُروّع اذا نام ، لا يُقِرّون بفضل أحدٍ من الأنام ، ما خلا الملك الهمام ، الذي لا يقاس به أحدٌ من الأنام .

قال : فاستوى كِسرى جالساً ، ثم التفت الى من حوله ، فقال : أطرى قومَه ، فلولا ان تداركه عقلُه لذمّ قومه ، على أني أراه راجحاً .

ثم أذنَ له بالجلوس فقال : كيف بصرُك بالطبّ ؟

---

١ العائر : الذي لا يُدرى من رماه .

قال : ناهيك[1] .

قال : فما أصل الطبّ ؟

قال : ضبط الشّفتَين والرّفق باليدين .

قال : أصبت الدواء ، فما الداء ؟

قال : إدخال الطّعام على الطعام ، هو الذي أفنى البرِيّة ، وقتل السباع في البرّيّة .

قال : أصبت . ثم قال : فما الجمرة التي تلتهب منها الأدواء ؟

قال : هي التُّخمة ، إن بقيَتْ في الجوف قتلَتْ ، وان تحلّلت أسقمَتْ .

قال : فما تقول في الحِجامة ؟

قال : في نُقصان الهِلال ، في يومٍ صحوٍ لا غيمَ فيه ، والنّفس طيّبة ، والسرور حاضر .

قال : فما تقول في الحمّام ؟

قال : لا تدخل الحمّام شبعان، ولا تغشَ أهلك سكران، ولا تنم باللّيل عُريان ، وارفُقْ بجسمك يكن أرجى لنسلك .

قال : فما تقول في شُرب الدّواء ؟

---

١ ناهيك : كلمة في مقام التعجب والاستعظام بمعنى انه غاية فيا تطلبه ينهاك عن تطلّب غيره .

قال : اجتنب الدّواء ما لزِمَتْك الصّحة ، ودعهُ فاذا أحسستَ بحركة الدّاء فاحبِسه بما يردعه من الدواء؛ فإنّ البدنَ بمنزلة الارض ، إن اصلحتها عَمَرت ، وإن افسدتها خرِبت .

قال : فما تقول في الشّراب ؟

قال : اطيبه أهناه ، وارقّه أمراه ، ولا تشربْ صِرفاً يورثك صداعاً ويُثر عليك من الدّاء أنواعاً .

قال : فأيُّ اللُّحمان أحمَد ؟

قال : الضأن الفتيّ وأدسمه امرؤه ، واجتنب أكل القديدِ المالح ، من الجَزور والبقر .

قال : فما تقول في الفاكهة ؟

قال : كُلْها في إقبال دولتها ، وحين أوانها ، واتركها اذا أدبرت وتولّت وانقضى زمانها . وأفضل الفاكهة الرمّان والأترُجّ[1] ، وأفضلُ البقولِ الهِندبا والخسّ ، وافضل الرياحين الورد والبنفسج .

قال : فما تقول في شرب الماء ؟

قال : هو حياة البدَن ، وبه قوّتُه ، وينفع ما شُرب منه بقدر ، وشُربُه بعد النوم ضَرَر ، وأفضل المياه مياه الأنهار العظام ، أبرده وأصفاه .

---

١ الأترج : ليمون الكبّاد .

قال : فما طعمه ؟

قال : شيء لا يوصف ، مشتقٌ من الحياة .

قال : فما لونه ؟

قال : اشتَبَه على الأبصار لونُــه ، يحكي لونَ كلّ شيء يكون فيه .

قال : فأخبرني عن أصل الانسان ما هو ؟

قال : أصله من حيث يشربُ الماء . يعني رأسه .

قال : فما هذا النور الذي تُبصَر به الأشياء؟

قال : العين مركبة من اشياء ، فالبياض شحمــة ، والسّواد ماء .

قال : فعلى كم طبعُ هذا البدن ؟

قال : على أربع طبائـع : على المرة السوداء ، وهي باردة يابسة ؛ والمرة الصفراء ، وهي حارّة يابسة ؛ والدم ، وهو حار رطب ؛ والبلغم ، وهو بارد رطب .

قال : فلِمَ لم يكنْ من طبعٍ واحد ؟

قال : لو خُلق من شيء واحد لم ينحلّ ولم يمرَضْ ولم يمت .

قال : فمِن طبعين ما حالُ الاقتصار عليهما ؟

قال : لو اقتصر عليهما لم يجُزْ ؛ لأنهما ضدّانِ يقتتلان ، ولذلك لم يجزْ من ثلاثة : موافقان ومخالف .

قال : فأجمِلْ لي الحارّ والبارد في أحرف جامعة .

قال : كلُّ حلوٍ حارٌ، وكلُّ حامضٍ باردٌ، وكلُّ حِرّيف حارّ ، وكلُّ مُزٍّ معتدل ، وفي المُرّ حارٌ وبارد .

قال : فما أفضل ما عولج به المِرّة السّوداء ؟

قال : بكلّ حارٍّ ليّن .

قال : فالرّياح ؟

قال : الحُقَن الليّنة والأدهان الحارّة الليّنة .

قال : أفتأمر بالحُقَن ؟

قال : نعم ، قرأتُ في بعض الكتب : أنّ الحقنة تُنَقِّي الجوف ، وتَكْسَح الأدواء عنه ، وعجباً لمن احتقَن كيف يهرَمُ أو يَعدَم الولد ، وإن الجاهلَ كل الجاهل مَن أكل ما قد عرف مَضرّتَه ، فيؤثِر شهوتَه على راحة بدنِه .

قال : فما الحِمْية ؟

قال : الاقتصاد في كلّ شيء ؛ فإنه اذا أكل فوق المقدار ضيّق على الرّوح ساحته .

قال : فما تقول في إتيان النساء ؟

قال : كثرةُ غِشيانهنّ رديء، وإتيان المرأة المولّية[1] فإنها

---

١ المولية : التي قد أدبر شبابها .

كالشّنّ البالي ، تُسقِم بدنَك ، وتَجذِب قوّتك ، ماؤها سُمٌّ قاتل ، ونَفَسها موت عاجل ، تأخذُ منك ولا تُعطيك . عليك بإتيان الشباب ، فإنّ الشابّةَ ماؤها عذبٌ زلال ، ومعانقتُها غُنْج ودلال ، فُوها بارد ، وريحها طيّب ، تزيدك قوة ونشاطاً .

قال : فأيُّ النساء القلبُ لها أبسط ، والعينُ برؤيتها آنَسُ وأقصد ؟

قال : إن أصبتَها مديدةَ القامة ، عظيمة الهامة ، واسعةَ الجبين ، عريضةَ الصدر ، مليحةَ النحر ، ناهدةَ الثديين ، لطيفة الخصر والقدمين ، بيضاء فرعاء ، جعدةً غضّة ، حسنة الثّغر ، تخالها في الظلمة بدراً زاهراً ، تبسِمُ عن أقحوان باهر ، وإن تكشِفْ تكشِفْ عن بَيضةٍ مكنونة ، وإن تُعانِق تعانق ما هو ألينُ من الزبد ، وأحلى من الشّهد ، وأعذب من القَنْد[١] ، وأبرد من الفردوس والخُلد ، وأذكى ريحاً من الياسمين والورد .

قال : فاستضحك كسرى حتى اختلجت كتفاه ، قال : فأيُّ الأوقات أفضل ؟

قال : عند إدبار الليل يكون الجوف أخلى ، والنفس أشهى .

قال : فأيُّ الأوقات ألذّ وأطرَبُ ؟

---

١ القند : عسل قصب السكر اذا جمد .

قال : نهاراً . قال كسرى : لله درُّك من أعرابيّ ، لقد أعطيتَ علماً ، وخُصِصت بفطنة وفهم . ثم أمر له بجائزة وكُسْى ، وقضى حوائجه .

•

وحضر ابنُ ابي الحُوّاري بالشام — وكان معروفاً بالرّقائق والزهد — مائدةَ صالحٍ العبّاسي ، مع فقهاء البلد ، فحدّثني البحتري ابو عبادة ، وكان ممّن حضر المجلس : أنه بعث اليه بقدح نبيذ فشربه ، ثم بعث اليه بِثانٍ فامتنع من شُربه ، فأخذه الناس بألسنتهم ، وقالوا : شربتَ المسكِر على أعين هؤلاء وصرتَ لهم حجّة .

قال : أحسبكم أردتم أن اكون ممّن قال الله تعالى فيه : يَسْتَخْفُونَ من الناس ولا يستَخْفُونَ من الله وهو معَهم ، فكيف كنت أدعهُ لكم وأشربه بعينِ الله ؟

•

وقال بعض القضاة لرجُل كان يعدّله : بلغَني أنك تشرب المُسكر . فقال : ما أشرب المسكر ، ولكني اشرب النبيذ الصُّلب .

•

فأين هؤلاء في ترك الرّياء والتصنّع مِن رجلٍ سُرقت نعلُه ، فلم يشترِ نعلاً حتى مات ، فعوتِب في ذلك فقال : أخشى ان اشتري نعلاً فيسرقها احد فيأثم .

وآخَرَ لمّا نظر الى اهـل عرفاتٍ قال : ما اظنُّ اللهَ الا وقد غفر لهم ، لولا أني كنتُ فيهم .

وآخَرَ أمر له عمر بن الخطاب بكيسٍ ، فقال: آخذُ الكيسَ والخيط ؟ فقال له عمر : دع الكيس .

ورجلٍ سأل ابن المبارك فقال : إني قاسمت إخوتي، وبيننا مَبرَزٌ[1] غيرُ مقسوم ، وفيَّ بَطر ، أفترى لي أن أدخلَه أكثرَ مما يَدخُلُه شركائي ؟

وآخرَ قال : أفطرتُ البارحةَ على رغيف وزيتونة ونصف، أو زيتونـة وثلث ، أو زيتونة ورُبع ، أو ما علـم اللهُ من زيتونةٍ اخرى . فقـال له بعضُ من حضر المجلس : يا فتى ، انه بلغنا أنّ من الورع ما يُبغضه الله ، وأحسبه ورعَك هذا .

•

الاعمش قال : أتاني عبد الله بن سعد فقال لي: ألا تعجَب؟ جاءني رجلٌ فقال : دُلّني على شيء اذا أكلتُه أمرضَني ، فقد استبطأتُ العِلّة ، وأحببت أن أعتلّ فأوجَر. فقلت له : سلِ الله العافية ، واستَدِم النّعمة ؛ فإنّ من شكر على النّعمة كمن صبر على البليّة . فألحّ عليّ فقلت له : كُل السّمك ، واشرب

---

١ المبرز : موضع قضاء الحاجة .

نبيذ الزبيب ، ونَمْ في الشَّمس ، واستمرض الله يُمرضك إن شاء الله !

•

هارون بن داود قال : شرب رجلٌ عند خمّار نصرانيّ ، فأصبح ميّتاً ، فاجتمعَ عليه النّاس ، وقالوا للخمّار : أنتَ قتلتَه . قال : لا والله ، ولكنْ قتله استعمالُه قولَه :

وأخرى تداويتُ منها بها[1]

[1] شطر بيت لأبي نواس صدره : وكأس شربت على لذة .

الطعام والشراب

العقد الفريد

« تم »

٢٠٠ غ.ل.

العقد العربي
٣١

فكاهات ومُلَح

مكتبة صادر
بيروت

فكاهات وملح

ولو أنّ النساء غَنِينَ ، يوماً ،
عن المِسك الذكيّ ، كما غَنيتُ

لأصبح كلُّ عطّارٍ فقيراً ،
قليلاً مالُه ، ما يَستبيتُ[1]

●

١ ما يستبيت : ما يجد بيت ليلة اي قوت ليلة . والبيت ، بكسر الباء : القوت .

ابيات من الشعر المحدث

ماءُ النّعيمِ بوجهِهِ متحيّرٌ ،
والصُّدغ منه كعَطفةٍ للراء

وكأنّما نُهِكت قُوى أجفانِه ،
بالرّاح ، او قد شِيبَ بالإغفاء

لو باشَرَ الماءَ القَراحَ بكفّه ،
لجرت أناملُه بنَبْعِ الماء

•

وقال المؤمّل :

عجبتُ لمن يُطيّبني بمِسكٍ ،
وبي يَتطيّبُ المسكُ الفَتيتُ

خلاخيلُ النساء لها وَجيبٌ
ووسواسٌ ، وخَلخالي صَموتُ[1]

---

[1] الوجيب : الخفوق ، الاضطراب . الوسواس : صوت الحلى .

عليه كهيئة مرّ الشجاعِ
في دِعص مخنيَةٍ ، أعفرِ[1]

إذا رأسُه صحَّ لم ينبعث ،
وحارَ السبيلَ ، ولم يُبصر

وإنْ مُديةٌ صدَعت رأسَه ،
جَرى جَرْيَ لا هائبٍ مقصِرِ

يقضّي لبانتَه مقبلاً ،
ويحسِمُها هيئةَ المِزبرِ[2]

جَريءٌ بكفّ فتى كفّه
تَسوق الثراء الى المقتر

١ الشجاع : الحية . الدعص : رمل مجتمع .
٢ المزبر : القلم .

وقال آخر في القلم :

فلا هو يَمشي ، لا ولا هو مُقعَدٌ ،
وما إنْ له رأسٌ ، ولا كَفُّ لامِسِ

ولا هو حيٌّ ، لا ولا هو مَيّتٌ ،
ولكنّه شخصٌ يُرى في المجالس

يزيد ، على سمّ الأفاعي ، لُعابُه ،
يدبّ دبيباً في الدُجى والحنادس

يُفرّق أوصالاً بصمتٍ يجيبُه ،
وتُفرى به الأوداجُ تحت القلانِس

اذا ما رأته العينُ تَحقِرُ شأنه ،
وهيهات يبدو النّقس عند الكرادِس[1]

وقال آخر فيه :

ضئيل الرُّواء ، كبير الغَناء ،
من البَحر في المَنصِب الاخضرِ

[1] النقس : المداد الذي يكتب به . الكرادس ، الواحد كردوس : كل عظمين التقيا في مفصل . عبر به عن القصبة .

وليس له رِجْـلٌ ، وليس له يدٌ ،
وليس له رأسٌ ، وليس له ذَنب

ولا هو حَيٌّ ، لا ولا هو مَيّتٌ ،
الا خبّروني ، ان هـــذا هو العجب

•

وقال آخر :

إنّي رأيتُ عجوزاً ، بينَ حاجبِها
ونابِها ، حَبَشيٌّ قائمٌ رجِـــلُ

له ثلاثون عيناً بين مِرفَقِـــه ،
وبين عاتقهِ ، في رِجلـه قَزَلُ[1]

في ظَهره حيّةٌ حَمراء ، قانيةٌ ،
في ظَهرِها رجلٌ ، في ظَهرهِ رجـلُ

العجوز : الناقة . والحبشيّ الذي بين حاجبِها ونابها : الاسود الحابس بالخِطام . وقوله : له ثلاثون عيناً بين مرفقه وبين عاتقه : مثاقيل كانت مصوّرة في عضُده . وقوله : في ظهره حية حمراء قانية : كان عليه بُرنُسٌ فيه تصاوير بعضها داخل في بعض .

•

[1] القزل : العرج .

الثور : النمل الذي يُخرج التّرابَ من الجُحْر العظيم بفيه. والقَطاة : موضع الرّدف من الفَرس . والنُّسور : بطون الحوافر . والعَجوز : السيف . وبطن الكلب : الجلد الذي يُعمل منه غِمدُ السيف . وصار كلباً : ضمّ كلباً ، أخذه من صار يصور ، من قول الله عزّ وجلّ : فصُرْهُنّ اليك . والأتان : الصخرة . والعُقاب التي تطير من غير ريش : البَكَرة. والمقيمة أحوالاً : اللواء .

•

وقال آخر في البيضة :

ألا قلْ لأهل الرأي والعلم والأدبْ ،
وكلّ بصير بالأمور أخي أرَبْ

الا خبّروني : أيّ شيء رأيتمُ
من الطّير، في أرض الأعاجم والعرب

قديمٍ ، حديثٍ، وهو بادٍ وحاضرٌ،
يُصادُ بلا صيد وإن جُدّ في الطلبْ

ويؤكَل أحياناً طبيخاً ، وتارةً
قَليّاً ، ومَشْويّاً ، اذا دُسّ في اللهب

وليس له لَحمٌ ، وليس له دمٌ ،
وليس له عَظمٌ ، وليس له عَصب

قال : أصبت . ثم قال :

فما اسم حديدةٍ في الرمح ، تُمسي
دُونَ الصّدر ، ليست بالسنان ؟

فقال : "زُزّ" .

فقال : أصبت .

•

وقال المأمون يصف خاتماً :

وأبيضَ أمّا جسمهُ فمدوّرٌ ،
نقيٌّ ، وأمّا رأسهُ فمُعار

ولم يُكتسَب الا لتسكنَ وسطه
مؤنثة ، لم تُكسَ قطُّ خمارُ

لها أخواتٌ أربعٌ ، هنّ مثلُها ،
ولكنّها الصُّغرى وهُنّ كبارُ

•

وقال آخر في أرنب :

لموتُ بذاتِ رأسٍ ذي التباثٍ ،
كرَفع الإصبعين على الثلاثِ[1]

---

١ الالتباث : الالتفاف ، والقوة ، والسمن .

باب اللغز

كانت في أبي عَطاء السِّندي لُثغة قبيحة ، فاجتمع يوماً في مجلس بالكوفة حمادُ الراوية ، وحمّادُ عجرد ، وحمّاد بن الزِّبرقان ، وبكر بن مُصعب ، فنظر بعضُهم الى بعض ، فقالوا : ما بقي شيء الا قد تهيأ في مجلسنا هذا ، فلو بعثنا الى ابي عطاء السنديّ .

فأرسلوا اليه ، فأقبل يقول : مَرهَبا مَرهبا ، هيّاكم الله . وقد كان قال أحدُهم : من يحتال لأبي عطاء حتى يقول : جَرادة وزُجّ وشيطان ؟ فقال حماد الراوية : أنا . فقال : يا ابا عطاء ، كيف علمك باللغز ؟

قال : هَسن ، يريد حسن ، فقال له :

فما صَفراء تُكنى أمَّ عَوف ، كأنَّ سُويقَتَيْها مِنجلانِ ؟

قال : زَرادة .

فقال : أصبت . ثم قال :

أتعرف مَسجداً لبني تميم ، فُويق الميل دونَ بني أبان ؟

قال : هو في بني سَيتان[1] .

---

١ يريد بني شيطان .

فأمكنَتْهُ فرشفها ساعةً ثم انصرف ، فوقع في قلبها من حُبّه مثل الذي كان بقلبه منها .

وفشا خبرُهما في الحيّ ، فقال اهل الجارية : ما مُقام هذا الفاسق في هذا الجبل ؟ امضُوا بنا اليه حتى نخرجَه منه . فبعثت اليه الجارية آخِرَ النهار : ان القوم سيأتونك الليلة فاحذر على نفسك .

فلما أمسى قعد على مرقبٍ ومعه قوسُه وسهمه ، ووقع بالحيّ في بعض الليل مطر ، فاشتغلوا عنه ، فلما كان في آخر الليل وانقشَع السحاب وطلَع القمر ، اشتاقت اليه الجارية ، فخرجت تريده ، ومعها صاحبةٌ لها من الحيّ كانت تثق بها ، فنظر الفتى اليهما فظن أنهمـــا ممن يطلبه ، فرمى فما أخطأ قلبَ الجارية ، فوقعتْ ميّتة وصاحت الأخرى ورجعت . وانحدر الفتى من الجبل فإذا الجاريةُ ميتة ، فقال :

نَعبَ الغرابُ بما كرِهـ ـتُ ، ولا إزالةَ للقدَرْ
تَبكي وأنتَ قتلتَها ، فاصبِر والا فانتحِرِ

ثم وجأ بمشاقصه اوداجَه[1] حتى مات ، فجاء أهـــل المرأة فوجدوهما ميتين فدفنوهما في قبر واحد .

---

[1] المشاقص ، الواحد المشقص : سهم عريض النصـــل او طويله . الاوداج ، الواحد ودج : عرق في العنق يقطعه الذابح فلا يبقى معه حياة .

في نفسي ، وعلمتُ شرف همتها وفضلها .

فهذا خبر بوران صحيحاً على الحقيقة ، والسبب الذي تزوّجها المأمون به .

•

قال هشام بن الكلبي والهيثم بن عـدي : إن ناساً من بني حنيفة خرجُوا يتنزّهون الى جبلٍ لهم ، فرأى فتىً منهم في طريقه جارية فرمقها فقال لأصحابه : لا أنصرف واللهِ حتى أرسلَ اليها وأخبرَها بحبّي لها .

فطلبوا اليه ان يكفّ عن ذلك فأبى أن يكفّ ، وأقبل يُراسِل الجارية ، وتمكن حبها من قلبه ، فانصرفَ اصحابه ، وأقام الفتى في ذلك الجبَل ، فمضى اليها ليلةً متقلّداً سيفاً وهي بين أخوين لها نائمة ، فأيقظها فقالت : انصرف لا ينتبهْ أخَوايَ فيقتلاك .

فقال : الموت والله اهونُ مما انا فيه ، ولكن ان أعطيتني يدك حتى أضعها على قلبي انصرفت .

فأعطته يدَها ، فوضعها على قلبه وصدره وانصرف .

فلما كانت الليلة الثانية أتاها ، وهي على مثل تلك الحال ، فأيقظها ، فقالت له مثل مقالِها الأول ، فقال : لكِ الله إن أمكنتِني من شفتيك أرشفُهما أن أنصرف .

قال إسحاق : فما اصبحنا حتى أمر بحمل المال، ونُقلتْ اليه من يومها ، وكانت أحظى نسائه عنده وآثَرَهنّ لديه . وأقمت استر هـذا الحديث الى ان مات المأمون ، فما اجتمع لأحدٍ ما اجتمع لي في تلك الاربعــة الأيام التي كنت انصرف من مجلس امير المؤمنين في خلافته الى مجلسها . ووالله ما رأيت من الرجال في ملوكهم ولا خلفائهم ولا سُوَقِهم[1] أحداً يفي بالمأمون، ولا شاهدت من النساء امرأةً تقاربُها فهماً وعقلاً ، وحلاوة وشكلاً ، وأما معرفتها وأدبُها فما أظُنّ ان في الأرض امرأةً كان يتهيأ لها ان تقف من العلوم على مثل ما وقفَت عليه . ولقد سألت بعضَ من كان يتولّى خدمتهـا من عجائزها فقلت لها : وما حملها على ما أرى ؟

فقالت : والله إنها لتفعل هذا منذ كذا وكذا سنة . ولقد عاشَرَت من الظرفاء والادباء والمِلاح اكثرَ من ان يقع عليه إحصاء ، وما جرى بينها وبين أحد مكروه ولا خنا ، ولا لفظة قبيحة ، ولم يكن مذهبُها في ذلك إلا حبّ الأدب والمذاكرة لأهله ، والمعاشرة لأهـل المروءة والأقدار ، وذوي النُّبـل والأخطار ، لا لريبةٍ تظهر ، ولا لحالةٍ تُنكر .

قال : فوالله لقـد تضاعف قدرُها عندي ، وعظُم خطرُها

---

١ السوق ، الواحدة سوقة : وهي الرعية .

فرجعتُ وأعلمته فقال : عليّ به الساعة .

قال : فقلت لها : امضي فأحضريه وأعلميه أن أمير المؤمنين يطلبه .

قال : فغابت عني هنيهة ثم جاءت وهو في إثرها فوقف بين يديه فقال : ألك بنت ؟

قال : نعم يا امير المؤمنين .

قال : أزوّجتها ؟

قال : لا والله .

قال : وما اسمها ؟

قال : بوران .

قال : فإني أخطبُها اليك .

قال : هي يا امير المؤمنين أمَتُك ، وأمرها اليك .

قال : فإني قد تزوّجتها على نقد ثلاثين الف دينار نحملها اليك في صبيحة ليلتنا هذه ، فإذا قبضتَ المالَ فاحملْها الينا من ليلتها .

قال : نعم يا أمير المؤمنين .

قال : ثم نهض وفتح لنا الباب وخرجنا ، فلما صرنا الى الدّار قال : يا إسحاق ، لا يقفنّ أحدٌ على ما وقفت عليه ، فإن المجالس بالأمانة .

قلت : يا امير المؤمنين ، ومثلي يحتاج الى وصية بهذا الأمر !

قالت : وإنكما فيها لغريبان . ثم قالت : موعدك .

فقلت : لعمري إنه ليجب ، ولكن حتى يسمع شيئاً .

قالت : وذاك .

وأخذت العود ، وغنّت صوتاً ، فشربنا عليه رطلا ، ثم غنّت بصوت كان المأمون يقترحه عليّ ، فشربنا عليه رطلا .

قال : فلما شرب المأمون ثلاثة ارطال وغلب عليه الفرح وتداخله السرور وارتاح وطرب ، قال : يا اسحاق .

فوالله لقد رأيتـــه نظَرَ إليّ نَظَرَ الأسد الى فريسته ، فنهضت وقلت : لبّيك يا أمير المؤمنين .

قال : غنّني هذا الصوت .

فلمّا رأتني أخذتُ العودَ ووقفتُ بين يديه أغنّيه ، علمتْ أنه الخليفة وأني إسحاق . فنهضتُ وقال : هاهنا . وأومأ الى كِلّة مضروبة . فدخلتُها ثم فرغتُ من ذلك الصوت وشربَ رطلا وقال لي: ويحك يا إسحاق ؛ انظر هذه الدار ومن ربُّها ؟

فخرجت فلقيت تلك العجوز ، فقلت لها : من صاحب المنزل ؟ ومن مولاكم ؟

قالت : الحسن بن سهل .

قلت : ومَن هذه منه ؟

قالت : ابنته بُوران .

نحن في السطح ، وبادرنَ بين أيدينا حتى انتهين بنا الى المجلس.

قال : فأقبل المأمون يتأمل الفرش والدار والزيّ ، ويعجب بذلك إعجاباً شديداً ، وقعدت في موضعي الذي كنت أقعد فيه ، وقعد المأمون دوني في المرتبة . ثم أقبلَت فسلّمت ، فما تمالك أن نظرَ إليها فبُهِت من حسنها ، فقالت : حيّا الله ضيفَنا بالسلام ، والله ما انصفتَ ابن عمّك ، ألاّ رفعتَ مجلسه ؟

فقلت : ذلك إليكِ جُعلت فداءك .

فقالت : ارتفعْ فديتك ، فأنت جديد ، وهذا قد صار من أهل البيت ولكلّ جديد لذة .

فنهض المأمون حتى قعد في صدر المجلس ، ثم أقبلَتْ عليه تذاكره وتناشده وتمازحه ، وهو آخِذ معها في كل فنّ ، فسكّتها وأفحمها .

قال : فالتفتَتْ إليّ وقالت : وفيتَ بوعدك ، وصدقت في قولك ، ووجب شكرُك على صنيعك .

قال : ثم أحضرنا النبيذ وأخذنا في الشراب ، وهي مع ذلك مقبلة عليه ، وهو مقبلٌ عليها ، ومسرورةٌ به ومسرور بها .

قال : فالتفتَتْ إليّ فقالت : وابن عمّك هذا من ابناء التجّار ؟

قلت لها : نعم ، فديتُك ، نحن لا نعرف إلاّ التجارة .

إلا بذكرها ، وما وصلنا الى آخر النهار إلا والمأمون لا يصدّق من شدة تعلق قلبه بها ، وبما قرّبت عنده من حالها ، حتى اذا كان بعد هدأةٍ من الليل وهو يقول في كل ساعة : ما جاء الوقت ؟ وانا اقول : بقي قليل ، والساعةَ ، والقلقُ غالبٌ عليه ، حتى اذا جاء الوقت نهضنا فخرجنا من بعض ابواب القصر ، ومعنا غلام ، وهو على حمار وأنا على حمار . فلما صرنا بالقرب من منزلها نزلنا ثم قلنا للغلام : انصرفْ فاذا كان عند انشقاق الفجر فكن هنا بالحمارين .

واقبلنا نمشي متنكّرَين وأنا اقول : يجب أن تُظهِر برّي بحضرتها وإكرامي ، وتطرح نخوة الخلافة وتجبُّر المُلك ، وكن كأنك تبع لي .

وهو يقول : نعم ، أوترى أني اجهل وتحتاج الى ان توصيني ؟

ثم قال لي : ويحك يا إسحاق ، فإن قالت لي : غنّ فكيف اصنع ؟

قال : قلت : انا اكفيك وأدفعها عن ذلك ، وأصدُّها برفق وحُسن مسّ .

ثم صرنا الى الزُّقاق ، فإذا بزنبيلين معلّقَين بثمانية أحبل فقعد في واحد وقعدت في آخر ، ثم جذب الجواري ، واذا

فأومأ الى من كان واقفاً بين يديه فتنحّوا ، حتى اذا خلونا قلت : كان من خبري كيت و كيت ، وفعلت وصنعت ورأيت كذا . فوالله ما فرغت من حديثها حتى قال : يا إسحاق ، أتدري ما تقول ؟

فقلت : إي والله ، اني لأدري .

فقال : ويحك ، فكيف لي بمشاهدة ما شاهدت ؟

قلت : ما الى ذلك من سبيل .

قال : والله لا بدّ ان تَلطُف لي وتوصلني اليها ، فهذا ما لا صبر لعاقلٍ عنه .

قلت : إي والله ، قد تفكّرتُ في قصّتي وفيما قدمت عليه من عصيانك ، وعلمت انه لا ينجيني إلا الصّدقُ و كشف الحال ، وعلمتُ أنك تطالبني به أشد المطالبة ، فقدّمت اليها ذِكراً من ذلك ، وقلت لها كيت و كيت ، ووعدتُها في أمرك بكذا و كذا .

قال : قد والله أحسنتَ ، ولولا ذلك لنلتُك بكلّ مكروه.

قلت : فالحمد لله الذي سلم .

قال : ثم نهض ونهضت حتى صرنا الى مجلسنا ، وأخذنا في لذتنا وشربنا ، وهو مع ذلك يقول : يا إسحاق ، حدّثني عنها وصف لي حالها ، واشرح لي امرها . فوالله ما قطعنا يومنا ذلك

فقلت لها : جُعلت فداكِ ، ذكرتُه لتكوني أنتِ المحكّمة، فإن أذنتِ واردت ذلك وإلا فلا اكراه .

قالت : فإن كان ابنُ عمّك هذا على ما ذكرت فما نكره ان نعرفه ونشاهده .

فقلت : هو والله على اكثر مما وصفتُ .

قالت : فاذا شئت .

قلت : فالليلة .

قالت : والليلة .

ثم حضر الوقت فنهضتُ وصرت الى البيت ، فما وصلت حتى وافيتُ منزلي قد هُجم عليه ، واذا برسل الخليفة واصحاب الشُرط قد ركبوا الى بابي ، فلما بصروا بي سُحِبت سحباً على حالتي تلك، حتى انتهَوا بي الى الدار ، فإذا المأمون جالسٌ وسَط الدار على كرسيّ ، وإذا هو مغتاظ حَرِد ، فقال : يا إسحاق ، أخروجاً عن الطاعة ؟

قلت : لا والله يا امير المؤمنين .

قال : فما قصّتُك وما الذي اظهر ما ارى من الانحراف، وكثرة الخلاف ؟ فاصدُقني حالك .

قلت : يا أمير المؤمنين ، إنه كانت لي قصة احتاج فيها الى خلوة .

قالت : جعلتَها دار مُقام ؟

قلت : جُعلت فداكِ حقّ الضيافة ثلاث ، ثم إن رجعت بعدها فأنتِ في حلٍّ من دمي .

قالت : والله لقد اتيتَ بحُجة .

قال : ثم جلسنا ، فأخذنا في مثل حالنا الأوّل من الشُرب والانشاد والمذاكرة والمحادثة والغِناء حتى إذا علمتُ ان الوقت قد قارب فكرتُ في قضيّتي ، وعلمتُ ان المأمون لا يقارُني[1] على هذا ، وأني لا اتخلص منه الا بأن أشرح له قصّتي ، وأكشف له عن حالي ، وعلمت أني إن قلت له ذلك طالبني بمعرفة الموضع والمسير به اليه ، مع ما كان غلَبَ عليه من الميل الى النساء ، والاستهتار بهنّ . فقلت لها : اتأذنين في ذكر شيء خطر ببالي؟

قالت : قلْ ما بدا لك .

قلت : جُعلت فداكِ ، اني اراك ممن يقول بالغِناء ، ويُعجَب به وبالأدب ، ولي ابنُ عمّ هو احسن مني وجهاً ، وأظرفُ قدّاً ، واكثر أدباً ، وأغزرُ معرفة ، وإنما انا تلميذ من تلاميذه ، وحَسَنة من حسناته ، وهو اعرفُ الناس بغِناء إسحاق وأحفظهم له .

قالت : طفيلي ويقترح ، لم ترض ان اتيتنا ثلاثة ايام ، حتى احتجت ان تأتي معك بآخر .

---

[1] لا يقارني : اي لا يوافقني .

قلت : فالليلة ان شاء الله .

وطُرحت الستارات ودخل الى الحرم ، فما هو الا ان توارى عني حتى ضُرِبَ بي وقمت وقعدت ، وجالت وساوسي ، وجعلت افكّر في مجلسي معها ومكانها ومحادثتها والنظر اليها ، وفي الخروج عن طاعة المأمون ، وما يلحقني في ذلك من سخطه ومَوجِدته ، فيسهُل عليّ كلُّ صعب إذا فكرت في امرها .

قال : فوثبت مبادِراً ، فاجتمع عليّ جندُ الدار ، فقالوا لي : اين تريد ؟

فقلت : الله الله ، فإن لي قصّة ، وأنا معلّق القلب ببعض مَن في منزلي ، وأحتاج الى مطالعتهم في بعض الامر .

فقالوا : ليس الى تركك من سبيل .

قال : فلم ازل ارفق بهذا ، واطلب الى هذا ، وأُقبّل رأس هذا ، ووهبت خاتمي لواحد ، ورِدائي لآخر ، حتى تركوني ، فلما خرجت عن جملتهم وانا لا اصدق فلم ازل اعدو حاسراً ، حتى وافيت الزّنبيل فجلست فيه ، وصعدت السطح ، وصرت الى الموضع ، وأقبلَت على مثل حالتها تلك ، فلما رأتني قالت : ضيفنا ؟

قلت : إيهاً لله[1] .

[1] إيهاً ، بمعنى حسبك : كلمة يراد بها الكف والإسكات .

بمثل ما استعملناه معك !

قلت : لا والله يا امير المؤمنين ، ما الى ذلك ذهبت ، ولا اليه قصدت ، ولكني ظننت ان يكون امير المؤمنين قد تشاغل عني بلذّته ، واغفل أمري. وجاءني الشيطان فأذكرني امرَ الجارية فبادرت الى البيت .

قال : وكان من امرك ماذا ؟

قلت : فَرَغَ الامر .

فقال : قد انقضى ما كان بقلبك منها ، وواحدة بواحدة ، والبادي أظلم .

فقلت : بل انا يا امير المؤمنين ألوم واظلم ، واليك المعذرة .

فقال : لا تثريب عليك ، هل لك في مثل حالنا الأوّل ؟

قلت : إي والله .

قال : فانهض بنا .

وقام وقمت ، حتى إذا صرنا الى الموضع الذي كنا فيه أخذنا في لذّتنا وشربنا ، حتى إذا كان في الوقت قال لي : يا إسحاق ، ما عزمك ؟

قلت : لا عزم لي يا أمير المؤمنين .

قال : فعزمت عليك لتجلسنّ حتى أخرُج اليك لنصطبح ، فإني عازم على الصّبوح ، وقد نغّصت عليّ ذلك مُذْ يومين .

رُزِقتَه ، ولا قدَرت عليه . ثم قلت : يا جُعلت فداك ، لا تَخلـّينا مما كان من فَضلك البارحة ، لا تخلـّينا منه .

فتأخـذ في الأغاني ، وكلما مَر صوتٌ حسن طيب وجيّد بالغ قالت : يا فتى ، أتدري لمن هذا ؟

فأقول : لا .

فتقول : لاسحاق .

فأقول : وإسحاق هكذا جُعلت فداك في الحذق ؟

فتقول : بخ ، إسحاق تاريخ هذا الشأن بديع الصوت ، وعتيق الغناء !

فأقول : سبحانك الله ، لقد أعطي إسحاق هـــذا ما لم يُعطَه احد .

فتقول : ولو سمعتَ هذا منه لكنتَ اشدّ استحساناً له ، وبه اشدّ كلفاً .

حتى إذا كان الوقت ، وجاءت العجوز نهضتُ وودعتُها ، وبادرت بين يديّ جارية ففتحت الباب ، فخرجتُ منه وبادرتُ المنزل ، فتوضأتُ للصلاة وصلـّيت الصبح ، ووضعت رأسي فنِمت ، فما انتبهت الا برسل الخليفـةِ يطلبونني ، فقمت وقد أسرج لي فركبت الى الدار ، فما هـو الا ان مثلت بين يدي المأمونِ حتى قال : يا إسحاق ، ابيَت الا مُكافأةً لنا ، ومعاملةً

الحاجة، والله لا كان لي حَبسٌ ولا لبثٌ، وأمير المؤمنين اطال الله بقاءه اذا دخل أبطأ، وأنا موافيكم قبل خروجه إن شاء الله.

قال: فنهضتُ، فما شَعَرتُ الا وأنا في الزُّقاق، فوافيت الزَّنبيلَ على ما كان عليه، فقعدت فيه، وصعدت، وصرتُ الى الموضع الذي اعرف، فلم ألبثْ الاّ هنيهة وإذا بها قد طلعت، فقالت: ضَيفنا؟

قلت: إي والله.

قالت: اوَقد عاودت؟

قلت: نعم ولا أظنُّ الا وقد ثقّلت.

فقالت: مادح نفسه يُقرئك السلام.

فقلت: هَفوةٌ، فمُنّي بالصفح.

قالت: قد فعلنا فلا تَعُدْ.

قلت: إن شاء الله.

قال: ثم جلسْنا واخذنا فيما كُنا فيه من المُذاكرة والإنشاد واحضرنا النبيذ، ولم نزلْ على تلك الحال وافضلَ، وقد انِستَتْ وانبسطت بعضَ الانبساط، وهي مع ذلك لا تزال تقول لي: أوْهِ، لو كنت الآنَ على ما أنت عليه واحكمتَ من تلك الصنعة شيئاً، لقد تناهيتَ وبرعت.

فقلت: والله لقد حرصت على ذلك وجَهدتُ فيه فما

وكنتُ معلّقَ القلب بها ، فلمّا تشاغل أميرُ المؤمنين أطال الله بقاءه ، عني ، وخلوتُ وقد كانت فيّ بقيةٌ ، طالبتْني نفسي بها ، فمضيتُ مُسرعاً فأحضرتُها وأحضرت نبيذاً ، فسقيتُها وشربتُ معها ، وغلب عليّ السُكر ، فقطعَني عما أردت ، وذهب بي النومُ الى انْ أصبحت .

فقال لي : ما اكثر ما يتهيأ على الناس من هذا ، فهل لك في مثل ما كُنّا فيه أمس ؟

فقلت : يا امير المؤمنين ، وهل احدٌ يمتنع من ذلك ؟

قال : فإذا شئت . فنهضَ ونهضت ، فصِرنا الى المجلس الذي كُنّا فيه بالامس ، على مثل حالنا تلك وأفضل ، حتى إذا كان في الوقت وثبَ قائماً ، فقال : يا إسحاق ، لا ترِمْ فإني أجيئك ، وقد عزمتُ على الصُبحة[1] . فما هو الا ان توارى عنّي حتى ضُرِب بي ، وتأمّلت ما كنت فيه فإذا هو شيء لا يصبر عنه الا جاهل ولو بزوال نعمته .

قال : فنهضتُ ، فقال لي الغلمان : الله الله ، فإنه البارحةَ قد انكر علينا تخليتك ، وطالبنا بك ، وقال : لِمَ تركتموه ؟ ولا تحسبك الا تُحب الايقاع بنا .

فقلت : والله لا نالَ أحدَكم بسببي مكروهٌ ابداً ، ولكن أبادر

---

١ الصبحة : نوم الغداة .

عجوزٌ كأنها داية[1] لها ، فقالت : أيْ بنية ، ان الوقت قد حضر ، فإذا شئت فانهضي .

قال : فلما سمِعَتْ مقالَتها نهضَتْ فقالت : عزمتَ ؟

قلت : إي والله .

فقالت : مُصاحَباً ، عليك بستْرِ ما كنتَ فيه ، فإن المَجالس بالأمانة .

فقلت : جُعلتُ فداك ، أوَأحتاج الى وصيّةٍ في ذلك ؟ فودّعتها وودّعَتْني ، وقالت : يا جارية ، بين يديه . فأتي بي بابٌ في ناحية الدار ، ففُتح لي وخرجت منه الى طريق مُختصَرة ، وبادرت البيت ، فصلّيت الصُّبح ووضعت رأسي ، فما انتبهت إلا برسُل الخليفة على الباب ، فقمت وقد أُسرج لي ، فركبت الى الدّار ، فسرتُ اليه ، فلما مَثَلْتُ بين يدي المأمون قال لي : يا إسحاق ، جفوناك ما كنّا ضمِنّاه لك ، وتشاغَلْنا عنك.

فقلت : يا سيدي ، ليس شيءٌ آثر عندي ولا أسرّ الى قلبي من سرور يَدخُل على أمير المؤمنين ، فإذا كَمَل سروره وطاب عيشه ، فعيشنا طيّب وسرورنا بسروره متّصل .

ثم قال : ما كانت حالك ؟

قلت : يا سيدي ، كنت قد اشتريت صبيّةً من السُّوق ،

---

١ الداية : المرضع .

اذهبَ ، تركتُه واعرضتُ عنه ، وإن في قلبي من ذلك لحُرقة وحرارة، وإني لمُستهتَرٌ به مائلٌ اليه ، وما اكره ان اسمع في مجلسي هذا من جيّده شيئاً لتكمل ليلتي ، ويَطيبَ عيشي .

قالت : كأنك قد عرّضتَ بنا .

فقلت : لا والله ما هو تعريضٌ ، ولا هـو الا تَصريح ، وقد بدأتِ بالفضل ، وانت حريّة باستتمام ما بدأت به .

فقالت : يا جارية ، عود .

فأحضرت العود فأخذَته ، فما هـو إلاّ ان جَسّته حتى ظننت ان الدار قد سارت بي وبمَن فيهـا ، واندفعتْ تغني بصوت ما ظننت أحداً يغني به ، مع صحة إيماء ، وجَودة ضرب ، فقلت : والله لقد اكمل الله فيك خلال الفضل ، وحَباك بالكمال الرائع ، والعقل الوافر ، والأخلاق المرضيّة ، والافعال السنية .

فقالت : هل تعرف لمن هذا الصوت ، ومن غنّى به ؟

فقلت : لا والله .

قالت : الغناء لفلان ، والشعرُ لفـلان ، وكان من سببه كذا وكذا .

فقلت : هذا والله احسَنُ من الغناء .

فلم تزل تلك حالَها في كلّ صوتٍ تُغنيه ، وهي مع ذلك تشرب واشرَبُ ، حتى اذا كان عند انشقاق الفجر او قبلَه جاءت

منزلي ، فربما اخبرني من هذه الاحاديث شيئاً ، الى ان صرتُ من خاصّة أخدانه ، وممّن كان لا يفارقه ، فما سمعتِ مني فمنه اخذتُه ، وعنه استفدتُه .

فقالت : يجب ان يكون هذا كذا . ولعمري لقد حفِظتَ فأحسنتَ الحِفظ ، وما هذا الا لقريحة جيدة ، وطبع كريم .

قال إسحاق : وأخذنا في شيء من الشّراب والمُذاكرة ، أبتدىء الحديث فإذا فرغتُ ابتدأت هي في آخرَ احسنَ منه حتى قطعنا بذلك عامّة الليل ، والنّدُّ والعُود وفائق البَخور في المجلس يجدّد ويُسجَر ، وأنا في حالةٍ لو توهّمها المأمون وتأمّلها لاستطار فرحاً وسروراً . ثم قالت لي : يا ابا فلان ، وكنت قد غيّرت عليها اسمي وكُنيتي ، والله اني لأراك كاملًا ، وفي الرجال فاضلًا ، وإنك لوضيء الوجه ، مليح الشكل ، بارع الادب ، وما كان بقي عليك الا شيء واحد حتى تكون قد برعت وبرّزت .

فقلت : وما هو يا سيدتي دفع الله عنك الاسواء ؟

قالت : لو كنت تحرّك بعضَ الملاهي ، او تترنم ببعض الاشعار .

فقلت : والله لقِدماً اشتهيتُه ، وطالما كَلِفتُ به ، وحَرِصت عليه ، فلم أُرزَقه ، ولا وجدتني ممّن تعلّق بشيء منه ، فلما طال عنائي به ، وكلّما تقدّمت في طلبه كنتُ منه أبعدَ وعنه

سلطان ؛ قد عُبِّىء احسنَ تعبئة ، وهيِّىء بأحسن تهيئة .

قال إسحاق : فتثاقلتُ عن الشُّرب لتكون هي التي تبتدىء . فقالت : ما لي أراك متوقّفاً عن الشُّرب ؟

قلت : انتظاراً لكِ ، جُعِلتُ فداكِ .

فسكبتُ قدحاً فشربتُ ثم سكبتُ قدحاً آخر فشربتُ ، ثم قالت : هذا أوانُ المذاكرة فإنّ المذاكرةَ بالأخبارِ وذكر ايام الناس مما يُطرِب .

قلت : لعمري ان هذا لمن اوقاته . فاندفعت فقلت : بلغني انه كان كذا وكذا ، وكان رجلٌ من الملوك يقال له فلان ابن فلان ، وكان من قصته كذا وكذا ، حتى مررتُ بعدة أخبار حسان من اخبار الملوك وما لا يُتحدّث به الا عند ملكٍ او خليفة ، فسُرّت بذلك سروراً شديداً ، ثم قالت : والله لقد حدّثتني بأحاديثَ حِسان ، ولقد كثُر تعجُّبي من ان يكون احدٌ من التجّار يحفظ مثلها ، وإنما هي من احاديث الملوك ، وما لا يُتحدّث به الا عند ملك او خليفة .

فقلت لها : جُعلت فداكِ ، إنه كان لي جارٌ ينادم بعض الملوك ، وكان حسنَ المعرفة ، كثير الحِفظ ، فكان ربما تعطّل عن نوبته التي كان يذهب فيها الى دار صاحبه لشُغلٍ يمنعه من ذلك ، او لأمر يَقطع ، فأمضي اليه ، وأعزِم عليه وأصير به الى

نشيدي ، وأقبلت تسألني عن أشياء تمرُّ في شعري كالمختبرة لي، وأنا أجيبُها بما اعرف في ذلك ، وهي مُصغية اليّ ومُستحسنة لما آتي به ، حتى إذا أتيتُ على ما فيه مَقنعٌ قالت : والله ما قَصَّرت ، وما توهمت فيك ما ألفيت ، وما رأيت في ابناء التجّار وابناء السُّوقة مثلَ ما معك، فكيف معرفتك بالاخبار وأيام الناس ؟

قلت : قد نظرت في شيء من ذلك .

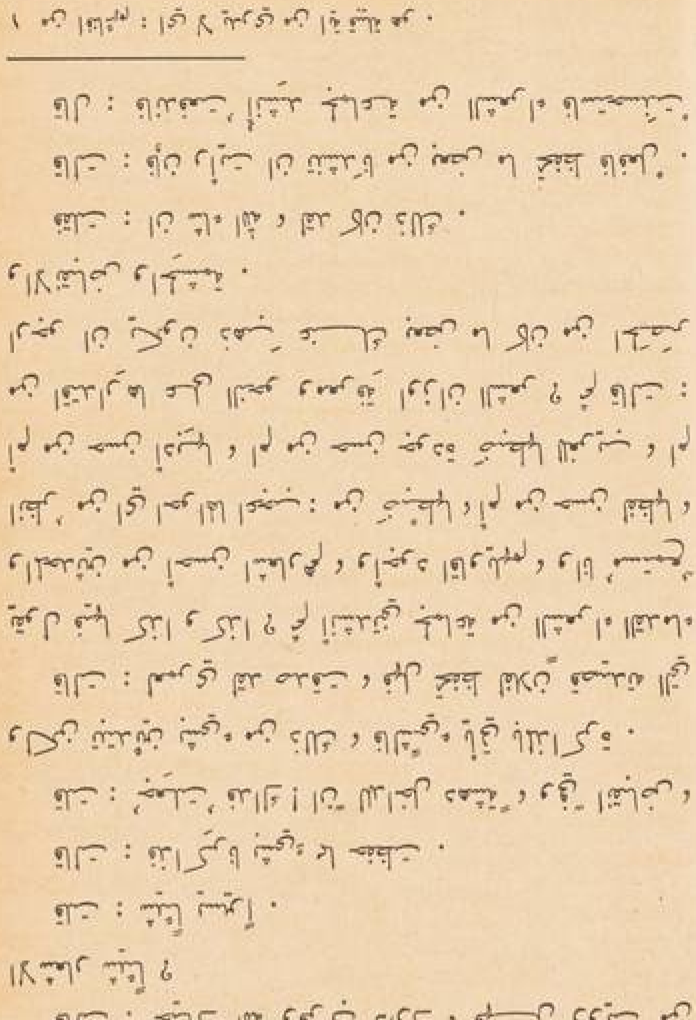
فقالت : يا جارية احضرينا ما عندك .

فما غابت عنا شيئاً حتى قدّمت الينا مائدة لطيفة ، قد جُمع عليها غرائبُ الطعام السريّ[1] ، فقالت : ان الممالحة[2] أوّل الرضاع ، فدونَك .

فتقدّمت وانا اعتذر بعض الاعتذار وهي مع ذلك تحثني وتضعُ بين يديّ، وإني لمتقسّم القلب لما ارى من ظَرفها وعقلها، وحسن خفَرِها ، وكثرة ادبها ، حتى رُفعت المائدة ، وأُحضرت آنيةُ النبيذ، فوُضِعت بين يديّ صينية وقنينة وقَدَح ومِغسَل، وبين يديها مثلُ ذلك، وفي وسَط المجلس من صُنوفِ الرياحين وغرائبِ الفواكه ما لم أرَه اجتمع لأحدٍ ، الا لوليّ عهدٍ او

١ السري : الجيد .

٢ المالحة : المراضعة ، والمؤاكلة .



جارية كأنها تمثالُ عاج ، تتهادى بينهن كالبدر الطالع ، بقدٍّ يُزري على الغصون ، ودَلٍّ وشكل ، فما تمالكت عند رؤيتها أن نهضت فقالت : مرحباً بـك من زائرٍ اتى ، وليست تلك عادتَه .

وجلستُ ورفَعت مجلسي عن الموضع الذي كنت فيه . فقالت : كيف كان ذا والله لي ولك ، ولا علمَ كان وقع لي ، فما السبب ؟

قال : قلت : انصرفتُ من عند بعض إخواني وظننتُ أني على وقت ، فخرجت في وقت ضيّق وأخذني البول ، فأخذتُ الى هذا الطريق ، فعدلت الى هذا الزقاق ، فوجدتُ زنبيلاً معلّقاً ، فحملني النبيذ على ان جلستُ فيه ، فإن كان خطأٌ فالنبيذ أكسبنَيه ، وان كان صواباً فالله ألهمنَيه .

قالت : لا ضيرَ إن شاء الله ، وارجو ان تحمَد عواقبَ امركِ ، فما صناعتُك ؟

قلت : بزّاز .

قالت : واين مولدُك ؟

قلت : بغداد .

قالت : ومن ايّ الناس أنت ؟

اليه وتبيَّنته قلت : والله إن لهـــذا لسبباً ، وإن له لأمراً . فأقمتُ ساعة أروّي في امره وأفكّر فيه ، حتى اذا طال ذلك بي قلتُ: والله لأتجاسرَنّ ولأجلسنّ فيه كائناً في ذلك ما كان.

ثم لففتُ رأسي بردائي وجلستُ في جَوف الزنبيل ، فلما أحسّ مَن كان على ظهر الحائط بثقله جذبوا الزنبيـل اليهم ، حتى انتهوا الى رأس الحائط ، فاذا بأربـع جوارٍ ، واذا هنّ يقلنَ : انزل بالرّحب والسعة ، أصديقٌ أم جديد ؟

فقلت : لا بل جديد .

فقلن : أنت يا جارية بين يديه الشمعة .

فابتدرت احداهن الى طَست فيه شمعةٌ وأقبلتْ بين يديَّ حتى نزلتُ الى دار نظيفة بها من الحُسن والظرف والنظافـة ما حِرْتُ له ، ثم ادخلتْني الى مجالس مَفروشة ، ومناص[١] مرصوصة بصنوفٍ من الفَرش الذي لم أر مثله إلاّ في دار ملك او خليفة، فجلستُ في ادنى مجلسٍ من تلك المجالس ، فما شعرتُ بعد ساعة الا بضجّة وجلَبة وستُور قد رُفعت في ناحيـةٍ من نواحي الدار ، واذا بوصائف يتساعَين في ايدي بعضهن الشمع ، وبعضهن المجامر ، يُسجَر[٢] فيهـا العُود والندّ ، واذا بينهنّ

---

١ المناص : الفرش الموطأة ، والكراسي تقعد عليها العرائس، الواحدة منصة .

٢ يسجر : يحرق .

فيه عن طلبي ، وقد كان بيني وبينه موعدٌ قد جاوز وقته ، ولا وجهَ لجلوسي .

قال اسحاق : وكنت مقدّم الأمر في دار المأمون ، مقبولَ القول فيه ، لا أعارَض في الشيء اذا أومأتُ اليه ، فخرجتُ مبادراً الى باب الدار ، فلقيَني غِلمان الدار ، واصحابُ النّوبة ، فقالوا : يا سيّدنا ، إن غلمانك قد انصرفوا وكانوا قد جاؤوك بدابّة ، فلما علموا بمَبيتك انصرفوا .

قلت : لا ضيرَ ، فأنا أتمشى الى البيت وحدي .

قالوا : نُحضِرك دابّة من دوابّ النوبة .

قلت : لا حاجةَ لي في ذلك .

قالوا : فنمضي بين يديك بمشعل .

قلت : لا ، ولا اريد ايضاً ذلك .

وأقبلت وحدي نحو البيت ، حتى اذا صرتُ ببعض الطريق أحسست بحركة البول ، فعدلت الى بعض الأزقّة ، لئلا يجوز بي أحدٌ من العوام فيراني أبولُ على الطريق ، فبُلت حتى اذا قمتُ للتمسّح ببعض الحيطان اذا انا بشيء معلّق من تلك الدُور الى الزقاق فما تمالكت أن تمسحت ثم دنوت الى ذلك الشيء لأعرفَ ما هو ، فاذا بزنبيل كبير معلّق بأربع آذان ، واذا هو ملبسٌ ديباجاً ، وفيه اربعة أحبُل إبريسم[1] ، فلمّا نظرتُ

---

١ ابريسم : حرير.

قال : فإني قد فكرت في شيء ، فهل لك فيه ؟

قلت : يا سيدي أو َأتأخر عن رأي امير المؤمنين ، أطال الله بقاءه ؟

قال : لعلّنا نُباكر الصَّبوحَ في غُدوتنا هذه ، وقد عزمتُ على دَخْلةٍ الى دار الحرم ، فكُنْ بمكانك ولا تَرِمْ ، فإني أوافيك عن قريب .

قال : قلت : السمع والطاعة يا أمير المؤمنين .

ثم نهض الى دار النساء ، فما عرفتُ له خبراً الى أن ذهب من الليل عامته .

قال اسحاق : وكان المأمون من أشغف خلقَ الله بالنساء ، وأشدّهم ميلاً اليهنّ واستهتاراً بهنّ ، وعلمتُ أن النبيذَ قد غلب عليه ، وأنهنّ قد أنسينَه امري ، وما كان تقدّم إليّ ووعدني من سرعة رجوعه ، فقلت في نفسي : هو أعزه الله في لذته وانا هاهنا في غير شيء ، وفيّ بقية ، وعندي صَبيّة كنت قد اشتريتُها ، فنهضتُ مُسرعاً عند ذكرها ، فقال الخدم : على أيّ شيء عزمت ؟ والى أين تريد ؟

قلت : أريد الانصراف .

قالوا : فإنْ طلبك أمير المؤمنين ؟

قلت : إنه أدام الله سُرورَه قد شَغله الطرب ولذة ما هو

أما استحسنتَ مني المكارمُ والعلا ،
اذا صرَّحتَ ، أني أقولُ وأفعلُ ؟

•

إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، قال :

بينا أنا ذاتَ يوم عند المأمون ، وقد خلا وجهُه ، وطابت نفسُه ، اذ قال لي : يا اسحاق ، هـذا يوم خَلوة وطِيب .
فقلت : طيَّب الله عيشَ أمير المؤمنين ، وأدام سروره وفرحه.
فقال : يا غلمان خُـذوا علينا الباب ، وأحضِروا الشراب .
قال : ثمّ أخذ بيدي وأدخلني في مجالس غير المجالس التي كنا فيها ، واذا قد نُصبت الموائد ، وأصلح كل ما كان يحتاج اليه الحال ، حتى كأنه شيء قد كان تقدّم فيه[1] .

قال : فأكلنا وأخذنا في لذتنا وشربنا ، فأقبلت السّتيرات[2] من كلّ ناحية بضُروبٍ من الغنـاء ، وصنُوفٍ من اللهو ، فلم نزلْ على ذلك الى آخر النهـار ، فلما غربت الشمس قال لي : يا اسحاق ، خيرُ أيام الفتى أيامُ الطرب .

قلت : هو والله ذاك يا أمير المؤمنين .

---

١ تقدم فيه : امر فيه .
٢ الستيرات : المستورات .

فأرسل إليها أن من الأمر كذا وكذا ، فَرَيْ رأيَكِ .

فقالت : ما كنت لأستبدّ برأيي دون رأي القرشي ، خياري ما اختار .

قال : قد ردّتِ الأمرَ إليك .

قال : فحمدتُ الله وصلّيت على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقلت : قد زوّجتُها العُذري ، وأصدقتُها هذه الألف الدينار وجعلتُ تكرِمتَها العبدَ والبعير والقُبّة ، وكسوتُ الشيخَ المُطرف .

فسُرّ به ، وسألتُه أن يَبني بها من ليلته ، فأجابني الى ذلك ، فضُربت القُبة في وسط الحيّ ، وهَديتُ اليه ليلاً ، وبتُّ عند الشيخ في خير مَبيت ، فلما أصبحتُ غدوت فقمت بباب القُبّة ، فخرج إليّ وقد تبين الجَذَل فيه ، فقلت : كيف كنت بَعدي أبا مُسْهِر ؟

قال : أبدتْ لي كثيراً مما كانت أخفته يوم رأيتُها .

فقلت : أقم على أهلكَ بارك الله لك .

ثم انطلقتُ الى أهلي وأنا أقول :

كَفيتُ الفتى العُذريّ ما كان نابَه ،
ومِثلي لأثقالِ النوائب أحمَلُ

قال : فدخلَتني له رقّة . فلما انقضى الموسم شددتُ على ناقتي وشَدّ على ناقته وحملت غلاماً لي على بعير ، وحملت عليه قُبّة حمراء من أدَم كانت لأبي ربيعة ، وأخذتُ معي ألف دينار ، ومُطرَف خزّ ، ثم خرجنا حتى أتينا بلادَ كَلب ، فاذا الشيخ في نادي قومه ، فسلّمت عليه ، فقال : وعليك السلام ، من أنت ؟

فقلت : عمر بن أبي ربيعة بن المُغيرة المخزومي .

قال : المعروفُ غير المَنكور فما الذي جاء بك ؟

قلت : جئت خاطبا .

قال : أنت الكفء الكفيّ ، الذي لا يُرغب عن وَصله ، والرجلُ الذي لا يُردّ عن حاجته .

قال : قلت : إني لم آتك لنفسي وإن كنتُ في موضع الرّغبة ، ولكنني أتيتُكم لابن اختكم العذري .

قال : والله إنه لكفء الحسب ، كريم النسب ، غيرَ أنّ بناتي لم يعرفن هذا الحيّ من قريش .

قال : فعرَف الجزَعَ من ذلك في وجهي ، فقال : أما إني أصنع بك ما لم أصنع لغيرك ، أخيّرها في نفسها ، فهي وما اختارت .

فقلت : خيّرها .

ثم قام الى فرسه ، فلما أقبـل برقَت لي بارقةٌ من تحت الدرع ، فإذا ثديٌ كأنه حقّ عاج .

قلت : نشدتُك الله ، امرأة ؟

قالت : إي والله ، امرأة ، تَكره العُهر ، وتُحبُّ الغزل.

قلت : وانا والله كذلك .

قال : فجلسَتْ والله تُحدّثني ما أفقد من أُنسها شيئاً ، حتى مالت على الدوحة سَكرى . فاستحسنت والله يا ابن ابي ربيعة الغَدر ، وزُيّن في عيني ، ثم ان اللهَ عصمني منه فما لبثَتْ ان انتبهتْ مذعورة ، فلاثت[1] عمامَتها برأسها ، وأخذت الرُّمح ، وجالت في مَتن فَرسها ، فقلت : مضيتِ ولم تزوّديني منك زاداً.

فاعطَتني بنانها ، فتمسحتُ والله منها كالنباتِ المطور زُهر الثلج[2] . ثم قلت : اين الموعد ؟

قالت : إن لي إخوةً شُوساً[3] وأباً غيوراً، والله لأن أُسِرّك أحبُّ إليّ من أن أضرّك .

ثم مضت ، فكان والله آخرَ العهد بها الى يومي هذا ، وهي التي بلّغتني هذا المبلغ ، وأحلّتني هذا المحل .

---

١ لاثت : لفّت .

٢ الزهر ، الواحد ازهر : الابيض .

٣ الشوس ، الواحد اشوس : الذي يرفع رأسه تكبراً .

قلت : شراب أهداه اليّ بعض أهلك ، فهل لك فيه ؟
قال : ما نكرهه اذا كُرِه .
فأتيتُه به ، فوضعتُه بيني وبينه ، فلما شَرب منه شيئاً نظرتُ الى عينيه كأنهما عينا مهاةٍ قد أضلّت ولدَها ، ثم رفع عقيرتَه يتغنّى :

إنّ العيون التي في طَرفها مَرضٌ ،
قتَلْننا ثم لم يُحيين قتلانا

يَصرَعن ذا الحِلمِ حتى لا حَراك به ،
وهنّ أضعفُ خَلْق الله أركانا[1]

ثم قمت لأصلح من أمر فَرسي ، فرجعت وقد حَسَر العمامة عن رأسه ، واذا غلامٌ كأنّ وجهه دينارٌ هِرَقْليّ ، فقلت : سبحانك اللهمّ ما أعظمَ قُدرتك !
قال : كيف ؟
قلت : ذلك لما راعني من نُورك وبَهَرني من جَمالك .
قال : وما الذي يروعك من رِزق الدوابّ ونبيش التراب ، ثم لا يَدري أينعَم أم يبؤس ؟
قلت : لا يصنع الله بك الا خيراً .

---

١ البيتان لجرير .

نطعنهم سُلكى ومَخلوجةً ، كرَّكَ لأمَين على نابل[1]

فقلت له : إنك قد تعبتَ وأتعبت ، فلو نزلتَ . فثنى رجله فنزل ، فشدَّ فرسه بغصنٍ من أغصان الشجرة ، ثم أقبل حتى جلس معي ، فجعل يُحدِّثني حديثاً ذكرتُ به قول الشاعر :

وإنَّ حديثاً منكِ ، لو تَبذلينه ،
جنى النحلِ في ألبانِ عُوذٍ مَطافلِ[2]

فبينا هو كذلك ، اذ نكت بالسوط على ثَنيّتيه ، فما مَلكتُ نفسي أن قبضت على السَّوط ، فقلت : مَه .

قال : ولِمَ ؟

قلت : اني أخاف ان تكسرهما ، إنهما رقيقتان عذبتان .

قال : فرفع عقيرته وجعل يتغنى :

اذا قبَّل الانسانُ آخرَ يَشتهي
ثَناياه ، لم يأثم وكان له أجرا

وقال : ما الذي تعلقت في سرجك ؟

---

١ البيت لامرىء القيس . السلكى : المستقيمة . المخلوجة : المعوجة عن يمين وشمال . اللأمان : السهان عليها ريشها .

٢ العوذ ، الواحدة عائذة : الحديثة النتاج من الظباء والابل والخيل . المطافل ، الواحدة مطفل : التي لها طفل . والبيت لابي ذؤيب الهذلي .

فقلت له : وما يوم الدّوحة ؟

قال : سأخبرك إن شاء الله ، ولو لم تَسلْني .

فيمّمنا نحو المُزدلفة فأقبل عليّ وقال :

اني رجل ذو مالٍ كثير، ونَعَم وشاء ، واني خَشيت على مالي عامَ أوّلَ التّلف ، فأتيت اخوالي كلباً فأوسعوا لي عن صدر المجلس، وسَقوني جمة البئر[1]، وكنت منهم في خير أحوال، ثم اني عزمتُ على مرافقة اهل ماء لهم يقال له الحوادث ، فركبتُ يوماً فرسي ، وعلّقتُ معي شراباً أهداه اليّ بعض الكلبيين ، فانطلقت حتى اذا كنت بين الحي ومرعى النعم ، رُفِعت لي دوحةٌ عظيمة ، فقلت : لو نزلتَ تحتَ هذه الشجرة ثم تروّحتَ مُبرداً! ففعلت فشددتُ فرسي بغصن من اغصانها، ثم جلست تحتها ، فإذا بغبارٍ قد سطع من ناحية الحيّ ثم تبينتُ فبدت لي شخوص ثلاثة ، فإذا فارسٌ يطرُد مِسحلاً وأتاناً[2] ، فلما قَرُب مني اذا عليه دِرع أصفر ، وعمامة خَزٍّ سوداء، فما لبثَ ان لحق المِسحل فطعنه فصرعه ، ثم ثنّى طعنةً للأتان ، وأقبل وهو يقول :

---

١ جمة البئر : ما جم منها وارتفع .

٢ المسحل : الحمار الوحشي . الاتان : اتاه .

لئِن كانت عُديلةُ ذاتَ مَطلٍ ،
لقد علمتْ بأنّ الحبّ داء

وإنّك ، لو تكلّفتَ الذي بي ،
لزال الظلمُ ، وانكشف الغطاء

فإنّ مَعاشري ورجالَ قومي ،
حُتوفُهمُ الصّبابةُ واللّقاء

اذا العُذريُّ مات بحَتفِ أنفٍ ،
فذاكَ العبدُ يبكيه الرّشاء[1]

فقلت : يا ابا مسهر ، إنها ساعة عظيمة تُضرب فيها أكبادُ الابل من شرقِ الارضِ وغربها ، فلو دعوتَ الله كنتَ قِمناً ان تظفر بحاجتك ، وتُنصَر على عدوّك .

فجعل يدعو ، حتى اذا مالت الشمس للغروب ، وهَمّ الناس ان يُفيضوا ، سمعتُهُ يُهينِم بشيء فأصغيتُ اليه مستمعاً فجعل يقول :

يا ربّ كلّ غدوةٍ ورَوحهْ ،
من مُحرمٍ يَشكو الضّبا ونَوحه
انتَ حسيب الخَلْق يومَ الدّوحهْ

١ يبكيه الرشاء : اي هو من الذين يتهنون في الاستقاء . والرشاء : حبل الدلو .

قلت : والله إنك وأخاك كالوَشي والبِجاد[١]، لا يَرقعك ولا تَرْقَعه . ثم انطلقت وأنا أقول :

أرائحــةٌ حُجاجُ عُذرَةَ رَوحــةً
ولمّا يرُحْ في القوم جَعـدُ بن مِهجَعِ ؟[٢]

خليلـيَّ يَشكو ما يُلاقي من الهـوى ،
ومَهما يقـلْ أسمعْ ، وإن قلتُ يسمعِ

الا ليت شِعري ، أيّ شيء أصابـهُ ،
أمِن زَفرات هِجنَ من بين أضلُعِ ؟

فلا يُبعدنك الله خِــلاًّ ، فإنني
سألقى ، كما لاقيتَ ، في الحُبّ مَصرعي

قال : فلما حججتُ ووقفت بعرفات اذا به قد أقبـل ، وقد تغيّر لونُه وساءت هيئته وما عرفتُه الا بناقته ، فأقبـل فأدنى ناقتَه من ناقتي حتى خالف بينَ اعناقهما ، ثم اعتنقني وجعل يبكي ، فقلت له : ما الذي دهاك ؟

قال : بَرح الخفاء ، وكشف الغِطاء . ثم أنشد يقول :

---

١ الوشي : ضرب من الثياب رقيق. البجاد : كساء مخطط من أكسية الاعراب.
٢ جعد بن مهجع : هو اسم ابي مسهر .

الموسمَ في كلّ سنة ، فإذا ابطأ تُرجِمتْ له الاخبار، واستُوقفت له السفّار .

وإنه راثَ[1] عنّي سنةً من ذلك خبرُه ، حتى قدم وَفْد عُذرة ، فأتيت القومَ أنشُدُ صاحبي فإذا رجلٌ يتنفّس الصُعَداء، فقال : أعن ابي مُسهِر تسأل ؟

قلت : نعم .

قال : هيهات هيهات ! اصبح والله ابو مُسهِر لا حيّـاً فيُرجى ولا ميتاً فينسى ، ولكنه كما قال الشاعر :

لعمرك ما حُبّي لأسماء تاركي
صحيحاً ، ولا أقضِي به فأموتُ

فقلت : وما الذي به ؟

قال : كمثل الذي بك ، من أنهماكِكُما في الضّلال ، وجرّكما أذيال الخَسار[2] ، كأنكما لم تسمعا بجنة ولا نار .

قلت : فما انت منه يا ابن أخي ؟

قال : أخوه .

---

١ راث : ابطأ .

٢ الخسار : الخسران ، وهو الضلال .

فقلت : ما هو الا كقول الآخر :

مَن قرّ عيناً بعيشه نَفعَه[1]

ولعليّ بن الجهم :

أعظمُ ذنبي عندكم ودّي ،
فليت هذا ذنبُكم عِندي

يا حسرتا ! أهلِك وجداً بمن
لا يعرف الشكوى مِن الوجدِ

•

حمّادٌ الراوية قال : أتيتُ مكةَ فجلستُ في حَلْقةٍ منها، فيها عمر بن ابي ربيعة القُرشي ، واذا هم يتذاكرون العُذريّين وعِشقَهم وصبابتهم ، فقال عمر بن ابي ربيعة : أحدّثكم عن بعض ذلك : كان لي خليل من عذرة يُكنى أبا مُسهِر وكان مُستهتَراً[2] بأحاديث النساء ، يصبو بهنّ ويُنشد فيهنّ ، على أنه كان لا عاهرَ الخلوة ، ولا حديثَ السّلوة ، وكان يُوافي

---

١ هذا البيت للاضبط بن قريع وصدره :
واقبل من الدهر ما اتاك به

٢ المستهتر بالشيء : المولع به .

لم يُطيقوا أن ينزلوا ونزلنـــا ،
وأخو الحرب مَن اطاقَ النُزولا[1]

•

الأصمعي قال: بينا انا سائر بالقَيفاء[2] إذ سمعتُ صوتاً يقول:

جنّبُوني ديارَ هِنـــد وسُعدى ،
ليسَ مِثلي يَحُـلُّ دارَ الهوانِ

قال: فالتفتُّ يمنَـة ويَسْرة فإذا أنا بالصوت يخرج من حش[3]، فأقبلت حتى وقفت عليه، فإذا بحشّاش[4] وبيده كأس، فقلت: يا سبحان الله، انت في بيت عَذِرة وتقول:

ليس مثلي يحلُّ دار الهوان

فأنّى ذلك، وأيُّ هوانٍ أكثر مما أنت فيه؟
قال: فرفع رأسه اليّ وقال:

لا تَلُمني ، فإنني نَشوانُ ، انا في المُلك ما سقتني الدنّانُ

•

---

١ البيت للمهلهل .
٢ القيفاء هنا : اسم موضع .
٣ الحش : الكنيف ، بيت الخلاء .
٤ الحشاش : من يعمل في الحش .

وثيق العصَب ، نقيّ القَصب ، يُشير بأذنيه ، ويتشوّف برأسه ، ويَخطِر بيديه ، ويَدحُو برجليه[1] كأنه موجٌ في لُجة ، او سَيل في حَدور ، او منحطٌ من جبل .

فقال له النخّاس : نعم كذلك كان صلوات الله عليه .

قال : إنما أصف لك فرساً .

قال : ما حسبتُك إلاّ في وصف نبيٍّ منذ اليوم .

•

قال : ودخل ابو نخيلة اليمنَ فلم يرَ بها احداً حسناً ، ورأى نفسَه وكان قبيحاً احسن مَن بها ، فقال :

لم أرَ غيري حسنا ، منذُ دخلتُ اليمنا
فيا شقاءَ بلدةٍ ، أحسنُ مَن فيها انا

•

قال سفيان بن عُيينة : دخلت الكوفةَ في يوم فيه رَذاذٌ من مطر ، فإذا انا بكنّاس قد فتح كنيفاً ، ووقف على رأس البئر ، وهو يقول :

بلدٌ طيّبٌ ، ويومٌ مَطيرُ ، هذه روضةٌ ، وهذا غديرُ

ثم قال لصاحبه : انزل فيها . فأبى عليه ، فنزل وهو يقول :

---

[1] يدحو : يرمي بيديه رمياً ، لا يرفع سنبكه عن الارض كثيراً .

ولقي رجلٌ امرأةً جميلة فجعل يتعرّضها ، وألحّ عليها ، فدخلت درباً و كشفت عن وجه قد شاطرَ البدر حسنه وقالت له : انظر الى ما يسخّن عينك .

•

وهنأ رجـــل رجلاً في عُرسه، فقال : باليُمن والبركة ، وشِدة الحركة ، والظّفر في المعركة .

•

الهيثمُ بن عدي قال : بينا انا بكُناسة الكوفة اذا برجـلٍ مكفوف البصر قد وقف على نخّاس من نخاسي الدواب ، فقال له : أبغِني حماراً ليس بالصغير المحتقَر ، ولا بالكبير المشتَهر ، اذا خلا له الطريق تدفّق ، واذا كثر الزّحـام ترفّق ، وإن أقللتُ علفَه صبَر ، وإن اكثرتُه شكَر ، واذا ركبتُه هام ، وإن ركبه غيري نام .

قال له النخّـاس : يا عبد الله ، اصبر فإذا مَسخ الله القاضي حماراً أصبت به حاجتك إن شاء الله .

•

قال : ودخل رجلٌ السُوق في شراء فرس ، فقال له النخّاس : صِفْه لي . فقال : اريده حَسَنَ القَميص[1] ، جيّد الفُصوص ،

---

[1] يعني بالقميص : جلده .

ففعلوا فكانوا يركبون اليه حتى فسدت أحـــداث مكة ، فعادوا بشكايتـه الى والي مكة ، فأرسَل فيه فأتي بـه فقال : يا عـــدو الله ، طردتك من حـرم الله فصرت بفسادك الى المشعر الأعظم .

فقال : يَكذبون عليّ اصلح الله الأمير .

فقالوا: دليلنا أصلَحك الله على ما تقول أن تأمر بحمير مكة فتُجمع وتُرسَل بها أمناء الى عرفات ويرسلونها ، فإن لم تقصد لمنزلِه من بـين المنازل كعادتها اذا ركبها السفهاء فنحن غير مبطلين .

فقال الوالي : إنّ في هذا لدليلًا وشاهداً عدلاً . فأمر بحمير من حمـير الكراء فجُمعت ثم أرسلت ، فصارت الى منزله كما هي من غير دليـل ، فأعلمه بذلك أمناؤه فقال : ما بعد هـذا شيء ، جرّدوه . فلما نظر الى السياط قال : لا بـدّ اصلحك الله من ضَربي ؟

قال : نعم يا عدوّ الله .

قال : والله ما في ذلك شيء هو اشدُّ عليّ من أن يَشمت بنا اهلُ العراق ويضحكوا منا ويقولوا : أهل مكة يجيزون شهادة الحمير .

قال : فضحك الوالي وخلّى سبيله .

•

[illegible]

قال : وتعرّفني بالمنازل والسّكك التي جئتَ عليها؟

قلت : نعم .

قال : فما كان الا أن فرغ ودخل رسول أمير المؤمنين ومعه كُركيّ[1]، فقال : ان أميرَ المؤمنين يقرئك السلام، وهو يَعذِرُك فيما هاجَ بك من الدمِ ، وقد أمركَ بالتخلّفِ في منزلك هذا إلى أن تغدو عليه إن شاء الله . ويقول : ما أهدي الينا اليومَ غير هذا الكُركيّ فشأنَك به .

قال : فالتفتَ السندي الى جُلسائه فقال : ما يُصنع بهذا الكُركيّ ؟

فقال الحجّام : يُطبخ سِكْباجاً[2] .

قال السنديّ : يُصنَع كما قال . وحلَف على الحجّام أن لا يبرح ، فحضَر الغداء فتغدّينا وهو ينظر ، ثم قُدّم الشراب فلمّا دارت الأقداح قلت : يعلّق الحجّام في العُقابَين[3] .

ثم قلت : جُعلت فداك، إنك سألتني عن المنازل والسّكك التي قدمت عليها ، وأنا مشغولٌ في ذلك الوقت وأنا أقصّها

---

١ الكركي : طائر كاللقلق .

٢ السكباج : مرق يصنع من اللحم والخل .

٣ العقابان : خشبتان يشبح الرجل بينهما فيجلد .

وُجد مَنبوذٌ بضفةِ العراق وعند رأسه مائة دينار ورقعة مكتوب فيها : انا الشقيّ ابن الشقية ، وابن القَدَح والرطلية ، وابن البغيّ والبَغيّـة ، وابن الأبقال الطرِبة ، مَن كفلني فله هذه المائة .

•

السّندي بن شاهَك قائد الخليفة ، قال : بعث اليَّ المأمونُ بريداً وأنا بخُراسان ، فطويتُ المراحلَ حتى أتيتُ باب أمير المؤمنين وقد هاج بي الدّم وانصرفت الى منزلي ، فقلت : أحضروا اليَّ الحَجّام .

قالوا : هو محموم .

قلت : فهاتوا حجّاماً غيره ولا يكون فضوليّاً .

فأتَوني به ، فما هو الا أن دارت يداه على وَجهي حتى قال : جُعِلت فداكَ ، هذا وجه ما أعرفه ، فمن أنت ؟

قلت : السّندي بن شاهَك .

قال : ومن أين قدِمت فإني ارى اثرَ السفر عليك ؟

قلت : مِن خُراسان .

قال : وايُّ شيء أقدمَك ؟

قلت : وجّه اليَّ امير المؤمنين بريداً ، ولكن إذا فرغتُ سأخبرك بالقصّة على وجهها .

الحمد لله ، أحمدُه وأستعينه ، واتوكل عليه ، وأشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريكَ له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، حيّ على الصلاة ، حيّ على الفلاح . فقال الأعرابيّ : لا تُقِم الصلاة فإني على غير وضوء .

•

وقال العوّام بن حَوشب : قال لي عيسى بن موسى : مَن أرضعتْك ؟ قلت : ما ارضعَني خلق سوى أمي . قال : قد علمت ان ذلك الوجه القبيحَ لا يصبر عليه سوى أمّك .

•

كان رجل مَقيتٌ قد تنسّك ، وتشبه بالحسن البصري ، فشهِد جنازة ، فوقف على القبر والى جنبه رجلٌ مَليح ، فضحك ، فقال له الناسك : ما أعددتَ لهذه الحُفرة يا فلان ؟ قال : قَذْفُك فيها الساعة .

•

ودخل أعرابيٌ الحمام فضرط ، فقال نبطيّ كان في الحمام : سُبحانَ الله ! فقال له الاعرابيّ : يا ابن اللخناء لكنّ ضرطتي افصح من تسبيحك .

•

وقيل لأعرابيّ : ما لك لا تجاهد ؟ قال : والله إني لأبغض الموتَ على فراشي ، فكيف أن أسعى اليه ركضاً !

•

أبو الخطاب قال : كان عندنا رجلٌ أحدب فسقط في بئر فذهبَتْ حدَبته وصار آدَرا[١] ، فدخلوا يهنئونه ، فقال : الذي جاء شرٌ من الذي ذهب !

•

ابو حاتم قال : رُمي رجلٌ أعورُ بنُشّابة[٢] فأصابت عينَه الصّحيحة فقال : أمسينا وأمسى المُلك لله .

•

قالوا : أتي الحجاجُ بسفَط قد أصيب في بعض خزائن كسرى مُقفل ، فأمر بالقُفل فكسر فاذا فيه سفطٌ آخر مُقفل ، فقال الحجاج : مَن يشتري مني هذا السفط بما فيه ولا ادري ما فيه؟

فتزايَد فيه أصحابُه ، حتى بلغ خمسةَ آلاف دينار ، فأخذه الحجاج ونظر فيه ، فقال : ما عسى ان يكون فيه الا حماقة من حماقات العَجم ! ثم انفذ البيعَ وعَزم على المشتري ان يفتحَه ويُريه ما فيه ، ففتحه بين يديه فإذا فيه رُقعة مكتوب فيها : من أراد ان تطول لحيتُه فَليُمشّطها من أسفل .

•

قال : وخطب رجلٌ خطبةَ نِكاح ، وأعرابيٌ حاضر ، فقال :

---

١ الآدر : العظيم الخصية .

٢ النشابة ، واحدة النشاب : وهي السهام .

سيّدي مِلْ بعناني ، نحو باب الأصبَهاني
إنّ بالباب أتاناً ، فضلَت كلَّ أتان
تيّمتني ، يوم رُحنا ، بثناياها الحِسان
وبغُنْجٍ ودلال ، سلّ جسمي وبَراني
ولها خدٌّ أسيل مثل خدّ الشيفران
فبها مِتُّ ، ولو عِشْـ ـتُ ، إذا طال هَواني

فقال له رجل من القوم : يا أبا معاذ ، ما الشَّيفران ؟ قال: هذا من غريب الحمير . فإذا لقيتم حماراً فسلوه .

•

وأخِذَ رجلٌ شَرِبٍ ، فأتي به الوالي فقال : استنكهوه. فقالوا: انّ نكهته لا تبين عنه . قال: فقيّئوه. فقال الشارب: فإن لم أقِءْ نبيذاً فمن يضمن لي عشائي ؟

•

ورافق رجلٌ أعرابياً في سَفر فقال له : أنا والله أشتهي كَشْكيةً[١] ! ومدّ بها صوته فضرط. فقال له صاحبه : ما أسرَعَ ما نفَخَتْك يا ابن أمّ .

•

---

١ الكشكية : نسبة الى الكشك بالفتح ، وهو ماء الشعير .

المضحكات

ابو الحسن المدائني قال : خطبَ رجلٌ من بني كِلاب امرأةً فقالت أمها : دعني حتى أسألَ عنك . فانصرف الرّجلُ فسأل عن أكرم الحيّ عليها ، فدُلّ على شيخ منهم كان يُحسن المحضر في الأمر ، فسأله عنه ، فأتاه فسأل أن يُحسنَ عليه الثناء ، وانتسب له ، فعرّفه .

ثم إنّ العجوز غدت عليه فسألته عن الرجُل ، فقال : انا أعرَفُ الناس به .

قالت له : فكيف لسانه ؟

قال : مِدرهُ[1] قَومه وخطيبُهم .

قالت : فكيف شجاعته ؟

قال : منيع الجار ، حامي الذّمار .

قالت : فكيف سماحته ؟

قال : ثمالُ قومِ[2] وربيعُهم .

---

١ المدره : السيد ، زعيم القوم المتكلم عنهم .

٢ ثمال القوم : غياثهم .

قال : قد أمرنا لك بكلب تصطاد به .

قال : وغُلامٌ يقود الكلب .

قال : وغلام يقود الكلب .

قال : وخادمٌ تطبخ لنا الصيد .

قال : وخادم .

قال : وداراً نسكنها .

قال : وداراً تسكنها

قال : وجارية آوي اليها .

قال : وجارية .

قال : بقي الآن المعاش .

قال : قد أقطعناك الفَ جَريب عامرة ، وألف جريب غامرة .

قال : وما الغامرة ؟

قال : التي لا تَعْمَر .

قال : فأنا أُقطِع اميرَ المؤمنين خمسين الفاً من فيافي بني أسد .

قال : فإنّا نجعلها عامرة كلها .

قال : فيأذن امير المؤمنين في تقبيل يده .

قال : امّا هذه فدعْها .

قال : ما منعتَني شيئاً ايسرَ على امّ عيالي فقداً منه .

إذا جئتَ الأميرَ ، فقل سلامٌ
عليكَ ، ورحمةُ اللهِ الرَّحيمِ

وأمّا بعدَ ذاكَ ، فلي غريمٌ
من الأنصارِ ، قُبِّحَ من غَريمِ

لَزومٌ ما علمتُ بباب داري ،
لزومَ الكلبِ اصحابَ الرقيمِ[1]

له مائةٌ عليَّ ونصفُ أُخرى ،
ونصفُ النصفِ في صكٍّ قديمِ

دراهم ، ما انتفعت بها ، ولكن
حَبوتُ بها شُيوخَ بني تميمِ

•

ودخل ابو دُلامة على المهديّ ، وعنده محمد بن الجهم وزيره وكان المهديُّ يَستثقله ، فقال له : أبا دُلامة ، والله لا تَبرحُ مكانَكَ حتى تهجوَ احدَ الثلاثة. فهمَّ ابو دلامة بهجاء ابن الجهم ، ثم خاف شرَّه ، فرأى أنّ هجاء نفسِه أقلُّ ضرراً عليه ، فقال:

ألا أبلغْ لديكَ أبا دُلامهْ ،
فليسَ من الكِرامِ ولا كَرامهْ

---

١ اصحاب الرقيم : اي اصحاب الكهف .

فبلغَ جيرانَــه الخبرُ ، فأهدَوا له ثلاثـين كبشاً وهو في المصلّى لا يَعلم ، فلمّا صار الى منزله ورأى ما فيه من الأضاحي ، قال لامرأته : من اين هذا ؟

قالت : أهـدى لنا فلانٌ وفلان وفـلان . حتى سمّت جَماعتَهم .

فقال لها : يا هذه ، تحفّظِي بديكنا هذا ، فلهو اكرمُ على الله من إسحاق بن إبراهيم ، إنه فُدِي بكبشٍ واحدٍ ، وقـد فُدي ديكُنا هذا بثلاثين كبشاً .

•

خرج ابو دُلامة مع المهديّ في مَصادٍ لهم ، فعنّ لهم ظبيٌ فرماه المهـديّ فأصابه ، ورمى عليُّ بن سليمان فأخطأ وأصاب الكلب ، فضحك المهديّ وقال لأبي دلامة : قل . فقال :

قد رمى المهديّ ظبياً ، شكّ بالسّهم فؤادَه
وعلـيُّ بنُ سليما ن رمى كلباً ، فصاده
فهنيئاً لهمـا ، كُ لُّ امرئ يأكل زاده

•

وكتب ابو دُلامة الى عيسى بن موسى ، وهو والي الكوفة ، رقعةً فيها هذه الأبيات :

المُحال : كان كوفياً مُعتزلاً ، وكان من بني عبد الله بن غطفان ، ويرى رأي الشعوبية . ومحال أن يكون عربيٌ شعوبياً . ومات وهو ابن سبعين سنة .

•

وقيل لشُرَيح القاضي : أيُّهما أطيب : اللَّوزينق او الجوزينق ؟ فقال : لا أحكم على غائب .

•

وسأل رجلٌ عُمَرَ بن قيسٍ عن الحصاة من حَصَى المسجد يجدها الانسانُ في ثوبه او خُفّه او جبهته ؟ فقال له : ارمِ بها . قال الرجل : زعموا أنها تصيح حتى تُرَدّ الى المسجد . قال : دعها تَصيح حتى ينشقّ حلقها . قال الرجل : أوَلها حلق ؟ قال : فمن اين تَصيح ؟

•

الأصمعيُّ قال : وليَ رجلٌ مُقِلٌ قضاء الأهواز ، فابطأت عليه أرزاقُه ، وحضر الأضحى ليس عنده ما يضحّي به ولا ما يُنفق ، فشكا ذلك الى امرأته ، واخبرها بما هو فيه من الضّيق وأنه لا يقدر على الأضحية .

فقالت له : لا تغتمّ ، فإنّ عندي ديكاً جليلاً قد سمنته ، فإذا كان يوم الأضحى ذبحناه .

يابسة ومِلح جَريشٌ . ووقف سائلٌ بالباب ، فقال له : بُورك فيك . فألحّ عليه في السؤال ، فقال له : لئن خرجتُ اليك لأدقنّ ساقيك ! فقال ابن المقفّعِ للسائل : انك واللهِ لو علمت من صدقِ وعيده ما علمتُ من صدقِ وعده لم تُراده كلمة ، ولا وقفتَ طرفةَ عين .

•

مرّ برقبةَ بن مَصقلة رجلٌ زاهد غليظ الرّقبة ، فقال : هذا رجلٌ زاهد ، والعلامات فيه بخلاف ذلك . فقال له رجل : أكلّمه بذلك أصلحك الله ، لئلا تكون غِيبة ؟ قال : كلّمه حتى تكون نَميمة .

•

قال شَريك بن عبد الله القاضي : سبعٌ من العجائب : عمياء مُنتقبة ، وسوداء مختضِبة ، وخَصِيّ له امرأة ، ومُخنّثٌ يؤمّ قوماً ، وأمويّ شيعيّ ، ونَخَعيّ مُرجِيّ[1] ، وعربيّ أشقر . ثم قال شريك : من المحال عربيّ أشقر .

•

قالوا : كانت في أبي عمرو ضرارِ بن عمرو ثلاثةٌ من

---

١ مرجي : مسهل مرجئي ؛ نسبة الى المرجئة ، وهي احدى البدع التي ظهرت في الاسلام ثم تلاشت .

نِطْعاً[1] وجلست عليه ، وابناه محمد وإبراهيم صبيّان يلعبان ، فلما نظرا إليّ قال أحدهما لصاحبه : ميم . فقال له الآخر : جيم . فقلت أنا : نون واو نون . فاستغربا ضحكاً وخرجا الى ابيهما .

•

أبو زيد قال : سَكِرَ حائِكٌ من الزُّطّ[2] ، فحلف بالطلاق ليغنّينّه أبو علي الأشرس ، فمضى معه جماعةٌ الى أبي علي ، فأخبروه ، وقالوا : سكِرَ وامتلأ وحلف بالطلاق لتغنّينّه . فأقبل على الحائك ، فقال: يا مُرْد سَبْز، يا مُرْد خُشْ، يا مُرْد تَرْ إياك أن تعود .

قال أبو زيد : تفسيره : ياسمين أخضر ، ياسمين طيب ، ياسمين رطب .

•

وكان شيخ من البُخلاء يأتي الى ابن المُقفّع ، فألحّ عليه يسأله الغداء عنده ، وفي كلّ ذلك يقول له : أترى أنك تراني أتكلّف لك شيئاً ؟ لا والله ، لا أقدّم لك إلاّ ما عندي . فأجابه يوماً ، فلما أتاه إذا ليس عنده ولا في منزله إلاّ كِسرةٌ

---

١ النطع : الجلد .
٢ الزط : جيل من الهند .

وكان يجلس إليه خَصِيٌّ لزِرْيابٍ ، قد حجَّ وتنسّك ولزِم الجامع ، فيتحدّث في مجلسه بأخبار زِرياب ، ويقول : كان أبو الحسن رحمه الله يقول كذا و كذا . فقال له الأعرج : من أبو الحسن هذا ؟ قال : زِرياب . قال : بلغني عنه أنه كان أخرقَ الناس لاستِ خَصِيٍّ .

•

وسأله مرّة وقال له : ما تقول في الكبش الأعرج ، أيجوز في الاضحِية ؟ قال : نعم والخصيُّ أيضاً مثلك .

•

وسمع أبو يعقوب الخريميُّ منصورَ بن عمّار صاحب المجالس يقول في دعائه : اللهم اغفر لأعظمنا ذنباً ، وأقسانا قلباً ، وأقربنا بالخطيئة عهداً ، وأشدّنا على الدنيا حرصاً .

فقال له : امرأتي طالق إن كنتَ دعوتَ إلاّ لابليس .

•

الأصمعي قال : حدّثنا بعضُ شيوخنا عن ابن طاوس قال : أقبلتُ الى عبد الله بن الحسن ، فأدخلني بيتاً قد نُجِّد بالرُّهاوي والميسانيّ[١] ، وكل فرشة شريفة . قال : فبسطت

---

١ الرهاوي : نسبة الى الرها ، مدينة بالجزيرة . الميساني : نسبة الى ميسان ، وهي كورة بين البصرة وواسط .

وسأله رجلٌ يوماً : ما تقول ، يرحمُكَ الله ، في رجل مات يوم الجمعة ، أيعذَّب عذاب القبر ؟

قال : يُعذَّب يومَ السبت .

•

وقال له آخر : أتجد في بعض الحديث أن جهنم تخرب ؟

قال : ما أشقاك إن اتكلت على خرابها .

•

واستسقى بالنّاس يوماً ، فأسرع بالصلاة قبل أن يتوافى الناسُ ، فلما انصرف تلقّاه بعض الوزراء ، فقال له : أسرعت أبا عبد الله .

قال : ليس علينا أن ننتظر حتى تشربوا وتأكلوا .

•

وكانت لقومس الكاتب منه منزلة وجِوار ، وكان يُتحفه ويتفقده بما أمكنه من الهدايا ، وكانت صلاتُه معه في الجامع والأعرجُ صاحب الصلاة ، فإذا حضرت الصلاةُ ولم يحضُر قومس قال لبعض القَوَّمة : أنت يا شيطان ، كلّم هؤلاء الكلاب لا يقيموا الصلاةَ حتى يأتي ذا الخِنزير . فكان برُّه في حبس الصلاة عليه برّاً العقوقُ خيرٌ منه .

•

أكلت عندك يومي هذا طعاماً !

قال : فحملتُ الطعام اليه .

•

وكثر الشَّعْر على الأعمش فقلنا له: لو أخذتَ من شَعرك؟

قال : لا أجد حجّاماً يسكت حتى يفرغ .

قلنا له : فإنا نأتيك بحجّامٍ ونتقدّم اليه أن يسكتُ حتى يفرغ .

قال : فافعلوا .

قال : فأتيناه بحجّام وأعذَرنا اليه[1] ألا يتكلم حتى ينقضيَ أمرُه .

فبدأ الحجّام بحلقِه ، فلمّا أمعنَ في حلقه سأله عن مسألة ، فنفضَ ثيابَه وقام بنصف رأسه محلوقاً ، حتى دخل بيته ؛ ثم جئناه بغيره ، فقال : لا والله لا أخرُج اليه حتى تصوّموه أو تحلّفوه .

فحلّفناه ألاّ يسأله عن شيء . فخَرَج اليه .

•

ولمحمّد بن مطروح الأعرج من التبرّم المليح ، والضجَر الموقّعِ ، ما هو أحسنُ من هذا وأوقع .

---

[1] اعذرنا اليه : ابدينا له عذراً .

اليـك لَذُلٌ ، وإنَّ تركَكَ لحسرة ، تُسأل الحكمة فكأنما تُسْعَط الخردل ، وما أُشبّهك إلاّ بالصّماخيقون[1] فإنه كريه الشّربة ، نافعٌ للمعدة .

فرفع الأعمش رأسَه وقال : مَن هذا المتكلم ؟

فقيل له : رقبة بن مَصقلة .

فنكّس رأسه .

•

وقال رجلٌ من تلاميذ الأعمش : صنَعتُ للأعمش طعاماً ، ثم دعوتُــه ، فمضى معي وأنا أقوده ، حتى سقطت رجله في حُفرة يعملها الصّبيان للكُرَة ، فقال : ما هذا؟

قلت : حُفرة يعملها الصبيان للكُرَة .

قال : لا ، ولكنك حفرتهـا لتقع رجلي فيها . والله لا أكلتُ عندك يومي هذا طعاماً .

قال : فحملت الطعام اليه ، ثم صنعتُ له بعد ذلك طعاماً ودعوته اليه ، فقال : ادخل بنا الحمّامَ قبل ذلك .

فأدخلته الحمام ، فلما جئت أن أصبّ الماء الحار على رأسه قال : ما دعـاك الى هذا ؟ أردتَ أن تسلُخ قفاي ، والله لا

---

[1] الصماخيقون : يجب ان يكون ضرباً من النبات .

[illegible]

[illegible]

•

[illegible]

•

[illegible]

•

[illegible]

•

[illegible]

•

[illegible]

[illegible]

●

[illegible]

●

[illegible]

●

[illegible]

وسأل رجلٌ من اشعبَ أن يُسلفه ويؤخّره فقال : هاتان حاجتان ، فإذا قضيتُ لك إحداهما فقد أنصفت .

قال له الرجل : رضيت .

قال : فأنا أؤخرك ما شئتَ ولا أسلفك .

•

عن ابي القعقاع ، قال : رأيت اشعبَ في السُّوق يبيع قطيفةً ، ويقول للمشتري : أريد أن أبرأ اليك من عيب .

قال : وما ذاك ؟ قال : يحترق تحتها مَن دُفن فيها .

•

وقيل لأشعب : هل خُلِق خَلْق أطمع منك ؟

قال : بلى ، أمّي ؛ فإني كنت إذا جئتها بفائدةٍ قد أعطيتُها قالت : ما جئتَ به ؟ فأتهجّى لها الشيء حرفاً حرفاً . ولقد أُهدي لنا مرّة غلام فقالت : ما أُهدي لنا ؟ قلت : غين . قالت : ثم ماذا ؟ قلت : لام ألف ميم . فأغمي عليها ، وجعلت تَضرط . ولو اخبرتها به جملةً لطار قلبُها فرحاً .

•

وقيل له : ما بلغ من طمعك ؟ قال : لم انظر الى اثنين يتسارّانِ إلا حسبت أنهما يأمران لي بشيء .

•

قال : رأيتُني أحمل بَدرةً ، فمن شدّةِ ثقلها عليَّ كنت أسلَحُ في ثيابي ، ثم انتبهت فإذا انا بالسَّلح ولا بَدرة .

•

ساوم أشعبُ رجلاً بقوس ، فقال له : أقلُّ ثمنها دينار .
قال اشعبُ : والله لو أنك ، إذا رميت بها طائراً في جوّ السماء فوقع مَشوياً بين رغيفين ، ما اشتريتها منك بدينارٍ ابداً.

•

وقيل لأشعب : خفّفتَ صلاتَك. قال : إنه لم يُخالطها رِياء.

•

وضرب الحجّاجُ اعرابياً سبعَمائة سوط ، وهو يقول عند كلّ سوط : شكراً لك يا ربّ. فلقيه أشعبُ، فقال : أتدري لمَ ضربك الحجّاجُ سبعمائة سوط ؟
قال : ما أدري .
قال : لكثرة شكرك لله . يقول الله : لــئن شَكَرتم لأزيدنّكم . فقال الأعرابيّ :

يا رب ! لا شُكراً ، فلا تَزِدْني ،
أسـأتُ في شكركَ ، فاعفُ عني
باعـدْ ثـوابَ الشاكرينَ مـني

•

نوادر اشعب

قال أشعب : فيَّ وفي أبي الزّناد عجب ، كنتُ أنا وهو في كَفالة عائشة بنت عثمان ، فما زال يعلو وأسفل حتى بلغنا غايتنا هذه .

•

قيل لأشعب : لو أنك حفِظتَ الحديث حِفْظَكَ هذه النوادر لكان أولى بك .

قال : قد فعلتُ .

قالوا له : فما حفظتَ من الحديث ؟

قال : حدّثني نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من كان فيه خصلتان كُتب عند الله خالصاً مُخلصاً .

قالوا : إن هذا حديث حسن ، فما هاتان الخصلتان ؟

قال : نَسي نافع واحدة ونَسيت أنا الاخرى .

•

وقال أشعب : رأيتُ رُؤيا نِصفُها حقٌ ونصفها باطل .

قالوا له : كيف ذلك ؟

أبو زيـد قال : لم يكن بالبَصرة افصحُ لساناً ولا أظهرُ جمـالاً من الحسن بن ابي الحسن البصري ، وزُرعـــة بن ابي حَمزة الهلاليّ .

•

قال : وأخبرني الوليد بن عُبيد البُحتري الشاعر قال :

كنا عند المتوكّل على الله يوماً ، وبين يديه عُبادة المخنّث، فأمرَ بـه فألقي في بعض البِـرك في أيام الشتاء ، فابتـلّ وكاد يموت برداً .

قال : ثم أُخرج من البركة وكُسي ، وجُعل في ناحية من المجلس . فقيل له : يا عُبادة ، كيف أنت وما حالك ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، جئتُ من الآخرة .

فقال له : كيف تركت أخي الواثق ؟

قال : لم أجُزْ بجهنم .

فضحك المتوكل وأمر له بصلة .

قال : فولّني على أرمينية .

قال : أخشى أن يبطىء عليّ خبرُك .

قال : فغيّرها .

قال : لا أريد أن أبعدَك من نفسي .

•

واختصم الى زياد بنو راسب وبنو طُفاوة[1] في غلام ادّعوه وأقاموا جميعاً البيّنةَ عند زياد . فأشكلَ على زيادٍ أمرُه ، فقال سعدُ الرابية ، من بني عمرو بن يربوع : أصلح الله الأمير، قد تبين لي في هذا الغلام القضاء ، ولقد شهدت البيّنةُ لبني راسب والطّفاوة ، فولّني الحكمَ بينهم .

قال : وما عندك في ذلك ؟

قال : أرى أن يُلقى في النهر ، فإن رسَب فهو لبني راسب، وإن طفا فهو للطّفاوة .

فأخذ زيادٌ نعليه وقام وقد غلبه الضحك ، ثم أرسل اليه فقال : ألم أنهَكَ عن المزاح في مجلسي ؟

قال : أصلح الله الأمير ، حَضرني أمرٌ خِفتُ أن أنساه .

فضحك زياد وقال : لا تعودنّ .

•

---

١ بنو راسب : حي من جرم . وبنو طفاوة : حي من قيس عيلان .

فاستظرف ذلك منه ورفع درجته .

•

أبو زيد قال: كان عطاء بن أبي رَباح مع ابن الزُبير، وكان أملحَ الناس جواباً ، فلمّا قُتل ابن الزبير أمّنه عبدُ الملك بن مروان ، فقَدم عليه ، فسأل الاذن ، فقال عبدُ الملك : لا أريده يُضحِكني ، قد أمّنته فلينصرف .

قال أصحابه : فنحن نتقدّم اليه[1] أن لا يفعل .

فأذن له عبدُ الملك ، فدخل وسلم عليه ، وبايعه ، ثم ولّى ، فلم يَصبِر عبدُ الملك أن صاح به : يا عطاء ، أمَا وجدَتْ أمُّكَ اسماً إلاّ عطاء ؟

قال : قد والله استنكرتُ من ذلك ما استنكرتَه يا أمير المؤمنين ، لو كانت سمّتني بأمي المباركة صلوات الله عليها مريم.

فضحك عبد الملك ، وقال : اخرج .

•

لعب رجلٌ بين يدَي هارون بالشّطرنج ، فلما رآه قد استجاد لِعبَه وفاوضه الكلام قال له : ولّني نهر بُوق .

قال : بل أوَلّيك نصفه ، اكتبوا عهده على بُوق .

---

[1] نتقدم اليه : نأمره .

وتناولتُ كفَّها ، ثم قلت : اسمعي الخبر
كلُّ شيءٍ سوى الخيا نة ، في الحُبِّ ، يُغتفَرْ
فإذا خانكَ الحبيـ ـب ، فذَرْه الى سَقَر[1]

•

قال الأصمعيّ : رأيت على باب الرشيد وصائف على عصابة كلّ واحدة منهن مكتوب :

نحن حورٌ ، نَواعِمٌ ، من أراضٍ مُقدَّسهْ
أحسنَ الله رِزقَنا ، ليس فينا مُنحَّسه
فاتَّقِ الله ، يا فتى ، لا تَدعني مُوسوسَه

•

وقال ابو جعفر الكَرْمانيّ يوماً للمأمون : أتأذن لي في دُعابة ؟ قال : هاتِها وَيحَك فما العيشُ الا فيها !

قال : يا أمير المؤمنين إنك ظلمتَني وظلمتَ غسّان بن عباد.

قال : وكيف ذلك ويلَك ؟

قال : رفعتَ غسّان فوق قدرِه ، ووضعتَني دون قَدري، إلاّ أنك لغسّانَ أشدُّ ظُلماً .

قال : وكيف ؟

قال : لأنك أقمتَه مقام هِرٍّ ، وأقمتني مقام رَخمَة .

---

[1] سقر : جهنم .

الحمدُ لله ، وحدَهُ ، وللخليفةِ بعدَهُ
وللمُحِبِّ ، اذا ما حَبيبُه بات عنده

•

وقال : ورأيت في مجلسٍ سريراً مكتوباً عليه بالذهب :

أشهى وأعذبُ من راحٍ ومن وَردٍ ،
إلفان قد وَضعا خدّاً على خَدّ

تضمُّ إحداهما أحشاء صاحبِه ،
حتى كأنهما للقُرب في عقد

هذا يَبوحُ بما لاقاه من حُرَقٍ ؛
وذاك يُظهر ما يُخفي من الوَجد

•

وفي عصابة أخرى :

فإنْ يحجبوها بالنهار ، فما لهمْ
بأن يحجبوا ، بالليل ، عنّي خيالَها

•

قال ابو عَبيدة : ورأيت على عصابة حسناء مكتوباً :

كتبَتْ ، في جَبينها ، بعَبيرٍ على قمرْ
في سُطورٍ ثلاثة : لعنَ الله مَن غدر

[illegible]

●

[illegible]

●

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

قال : وحدّثني الحسنُ بن وهب قال : كتبتْ شَعَبُ على قلنسوةِ جاريتها شكْل :

لم ألقَ ذا شَجَنٍ يبوحُ بحُبّـه ،
إلاّ حسِبْتُـك ذلك المَحْبوبا

حذراً عليك ، وإنني بك واثقٌ ،
أن لا ينال سواي منكَ نصيبا

•

وكتب شفيع خادم المتوكل على عاتق قبائه الأيمن :

بدرٌ على غُصنٍ نَضيرْ ، شَرِقُ الترائب بالعَبيرْ

وعلى عاتقه الايسر :

خطّت محاسنُ وجهه ، في صَفحة القمر المُنيرْ

•

وكتبت وصيفُ جارية الطائي على عِصابتها :

الكفْرُ والسّحرُ في عَيني ، اذا نظرت ،
فاغرُبْ بعينيك ، يا مغرورُ ، عن عيني

فإنّ لي سيفَ لحظٍ ، لستُ أغمِدُه ،
من صَنعةِ الله ، لا من صَنعة القَيْنِ

•

لو تفرّغتُ لاستطالة ليلي ،
ولرَعْي النُّجوم ، كنتُ مُخَلاّ

•

قال : وخرجت الينا مَنال ، وعليها دِرع خام[١] ، على جانبها الأيمن مكتوب :

كتبَ الطرفُ ، في فؤادي ، كِتاباً
هو ، بالشّوق والهَوى ، مَختومُ

وعلى الأيسر مكتوب :

كان طَرفي ، على فؤادي ، بلاءً ،
إنّ طرفي ، على فؤادي ، مَشومُ

•

قال : وكان على عصابــة ظَبي جارية سعيد الفارسي مكتوبٌ بالذهب :

العـينُ قارئةٌ لِما كَتبتْ ،
في وجنَتيّ ، أناملُ الشّجنِ

•

---

١ الخام : القطن الابيض .

وكتبت في عِصابتها بيتين من شعر الحَسن بن هانىء، وهما :

يا رامياً ، ليس يدري ما الذي فعلا ،
عليك عقلي ، فإنّ السهم قد قتَلا[1]

أجريتَه في مَجاري الرّوحِ من بَدني ،
فالنفسُ في تَعبٍ ، والقلبُ قد شُغِلا

•

وقال عليّ بن الجهم : خرجتْ علينا عالج ، جاريةٌ خالصةٌ ، كأنها خُوطُ بان ، وهي تَميس في رُوقةٍ[2] ، وعلى طرّتها مكتوب بالغالية ، وكانت من مُجّانِ أهل بغداد مع عِلمها بالغناء :

يا هلالاً ، من القُصورِ ، تجلّى ،
صامَ قلبي ، لمقلتَيْهِ ، وصلّى

لستُ أدري ! أطال ليليَ أم لا ،
كيف يدري بذاكَ من يتقلّى ؟

١ العقل : الدية .
٢ في روقة : اي في سرب من الحسان يروقن العيون .

بيَ طاب العيشُ ، في الصّيف ، وبي طاب السرورُ
مُمسكي ، يَنفي أذى الحرّ ، إذا اشتدّ الحَرورُ
النّدى ، والجُود ، في وجه أمين الله نورُ
ملِكٌ أَسلَمه الشّبهُ ، وأخلاه النظير

وفي عصابتها :

ألا بالله قُولوا يا رجالُ ،
أشمسٌ في العصابة أم هلالُ ؟

وفي اخرى :

أتهوَونَ الحياةَ ، بلا جُنونٍ ،
فكُفّوا عن مُلاحظة العيونِ

وكتبت ورد جاريةُ الماهاني على عِصابتها ، وكانت تُجيد الغِناء مع فصاحتها وبراعتها :

تمّت ، وتمّ الحُسنُ في وَجهها ،
فكُلُّ شيء ، ما سواها ، مُحالْ

للناس في الشهر هلالٌ ، ولي ،
في وجهها ، كلّ صباح هلالْ

ما يكتب على العصائب وغيرها

أبو الحسن قال : دخلتُ على هارون الرشيد وعلى رأسه جَوارٍ كالتماثيل ، فرأيت عصابةً منظّمة بالدرّ والياقوت ، مكتوباً عليها في صفائح الذهب :

ظلمتني في الحبّ ، يا ظالمُ ، والله ، فيما بيننا ، الحاكمُ

قال : ورأيتُ في عصابةٍ أخرى :

ما لي رَميتُ ، فلم تُصبكَ سِهامي ،
ورميتَني ، فأصبتني يا رامي

قال : ورأيتُ في عصابةٍ أخرى : وضعُ الخدّ للهوى عِزٌ .
قال : ورأيت في صدر أخرى هلالاً مكتوباً عليه :

أفلتُ من حُور الجِنانِ ، وخُلقتُ فتنةً من يراني

•

قال إسحاق بن إبراهيم : دخلت على الأمين محمد بن زبيدة ، وعلى رأسه وصائفُ في قراطقَ مفروجة ، بيد وصيفة منهن مروحة مكتوب عليها :

تعالَـوا أعِينوني على الليل ، إنه ،
على كلّ عينٍ لا تَنامُ ، طويـلُ

قال : فطرقَني عيسى بنُ طلحـة قال : إني سمعت قولك فجئت أعينك .

فقلت : يرحمك الله ، اغفلتَ الاجابةَ حتى أتى الله بالفرج .

•

ابو المهلهل الخُزاعي قال: ارتحلت الى الدهناء ، فسألت عن مي صاحبة ذي الرّمة ، فدُفِعت الى خيمـةٍ فيها عجوز هيفاء ، فسلـّمت عليها ، وقلت : اين منزل مي ؟

فقالت : ها انا مي .

فقلت : عجباً من ذي الرمة و كثرةِ قوله فيك !

قالت : لا تعجبْ فإني سأقوم بعُذره .

ثم قالت : فلانة ! فخرجت من الخيمة جاريةٌ ناهـدٌ عليها برقع ، فقالت لها : أسفري . فلما أسفرت تحيرتُ لما رأيتُ من حُسنها وجمالهـا ، فقالت : عَلِقني ذو الرمـة وانا في سن هذه ، وكلُّ جديدٍ الى بِلى .

قلت : عذرتُه والله . واستنشدتُها من شعره ، فانشدَتْني .

ثم ولّت عني ، فاستعذتُ بالله من الشيطان الرجيم .

•

حدّث مُسلم بنُ عبد الله بن مسلم بن جُندب قال : خرجت انا وزَبّان السّواق الى العَقيق، فلقِينا نسوةً نازلات من العقيق لهنّ جمال وشارة ، وفيهن جارية حسّانة العينين[1] ، فلما رآها زبان قال لي: يا ابن الكرام دمُ ابيك والله في ثيابها ، فلا تطلب اثراً بعد عين . وانشد قول ابي مُسلم بن جُندب :

ألا يا عباد الله ! هـــذا اخوكمُ
قتيلاً ، فهل منكم له ، اليومَ ، ثائرُ ؟

خُذوا بدمي ، إنْ متُّ ، كلَّ مليحةٍ ،
مريضةِ جفنِ العين ، والطرفُ ساحرُ

قال : فقالت لي الجارية : انت ابن جُندب ؟

قلت : نعم .

قالت : فاغتنمْ نفسَك واحتسِب اباك ، فإن قتيلنا لا يُودى واسيرَنا لا يفدى .

•

عبد الله بنُ مسلم بن جندب قال : قلت :

---

١ حسانة العينين : حسنتها .

يَرحمهُ لِمَا بـه ، من ضُرّه ، ذو حسده

ثم ودّعني ومضيت .

•

وحدّثني ابو الفضل قال :

إني لفي الطّوافِ امـام الحِجْر ، إذ سمعت حنيناً يخرج من بين الأستار ، واذا قائل يقول :

عفا الله عمّن يحفظ الودَّ جهدَه ،
ولا كان عفوُ الله للناقضِ العهـدِ

وضعتُ على الأستارِ خدّيَ ، ليلةً ،
ليجمَعني مع من وضعتُ له خـدّي[1]

قال : فرفعتُ الأستـار ، فإذا جاريةٌ منفردة ، كأنها شمس تجلّت عنها غمامة . فقلتُ : يا هذه لو سألتِ الله الجنّةَ مع هذا التضرّع والبكاء ما حرمك إياها .

قال : فسترتْ وجهَهـا ، وقالت : سُبحـان مَنْ خلق فسوّى ، ولم يهتِك العلانية والنّجوى . اما والله إني لفقيرة الى رحمة ربي ، وقد سألتُه اكبرَ الأمرين عندي ، رجاء فضله واتكالاً على عفوه .

---

١ وضعت له خدي : اي اذللته له .

قلت له : أبو من أعزك الله ؟

قال : ابو عيشونة الخيّاط ، شهدتُ حروب ابن زُبيدة كلها ، وجاريْتُ الفِتيان في غاية كلِّ ميدان ، واعترفَ لي كل فاتك وأذعنَ لي كلُّ شاطر ، ونزلت تلك الدارَ عشرين سنة . وأوما الى سجن بغداد ، ثم تنفّس الصُّعَداء وقال : أنا الذي أقول :

لِي فؤادٌ مُستهامُ ، وجُفونٌ ما تنامُ
ودموعٌ ، آخرَ الدهـر ، بعينيَّ سِجامُ[1]
وحبيبٌ ، كلما خا طبْتُـه قال : سلامُ
فاذا ما قلت : صِلْني ! قال لي : ذاكَ حرامُ

ثم بَكى تخالُجاً ، فلما أفاق قلت : ما يُبكيك ؟

قال : وكيف لا ابكي ، ولي حبيبٌ بالبصرة عُلّقته ، وهو ابنُ سبعَ عشرة سنة ، ثم غِبْتُ عنه ثلاثاً وثلاثين سنة ، فلمّا عِيلَ صبري خرجت الى البصرة فطُفت في شوارعها حتى رأيته ، فما رأيتُ وجهاً احسن منظراً ولا ازهى منه . ثم انشأ يقول :

مُردَّدٌ في كَمده ، مُعذّبٌ في سُهُده
خلّى به السُّقمَ ، فما اسرعَه في جَسده

---

١ سجام : سائلة .

الأيمن ، وفي يده خُوصة[1] يَشمّها ويقول :

عشرون ألفَ فتًى ، ما منهمُ أحدٌ ،
إلاّ كألفِ فتى مِقدامةٍ ، بَطلِ

أضحت مَزاودُهم مملوءةً نَشَباً ،
ففرّغوها وأوكَوها على الأملِ[2]

فقلت له : أحسنت ، لله أنت !

فقال : أتُحبّ رقيقةً ؟

فقلت : ما أحوجني اليها !

فقال :

إنما هيّج البلا ، حينَ عضّ السفرجلا
وعلا الوردُ وجنتَيْه ، فأبدى التخجُّلا
يفضح البدرَ في الكما ل ، إذا البدرُ أكملا
ولقد قام لحظُ عيني على القلب بالقِلى[3]

١ الخوصة : ورقة النخل .
٢ النشب : المال ناطقه وصامته .
٣ القلى : البغض .

والأربعاءُ صفا فيه النعيمُ لنا ،
والكأسُ ، يَضحكُ في حافاتِها الزَّبد

ثمّ الخميس ، وصلناهُ بليلتِه ،
قَصفاً ، وتَمّ لنا بالجُمعةِ العددُ[1]

يا حُسنَنا ، وبحارُ القُفص تغمُرنا ،
في لُجّةِ الليلِ ، والأوتار تجتلِد

في مجلسٍ ، حولَه الأشجارُ مُحدقة ،
وفي جوانبه الأطيارُ تغترد

لا نستخفُّ بساقينا ، لعِزّته ،
ولا يردُّ عليه حكمَه أحد

عند الهُمام أبي عيسى ، الذي كمُلَت
أخلاقُه ، فهي كالأوراق تُنتقد

•

أبو محمد الدمشقي قال : مررتُ ذات ليلة ، أيام فتنة المُستعين ، والقمرُ يزهرُ بباب الشام ، فاذا أنا بشيخ غليظ ، أصلعَ نَشوان ، قد توشّحَ في إزارٍ أحمر ، ومال على شِقّه

---

[1] القصف : الاكل والشرب ، واللهو .

لمّا أخذنا بها الصهباء ، صافيةٌ ،
كأنها النارُ ، وسطَ الكأس ، تتّقدُ

جاءتك من دَنّ خمّارٍ بطينتها ،
صَفراء مثلَ شُعاعِ الشمس ترتعدُ

وقام كالبدرِ ، مَشدوداً قراطقُه ،
ظَبيٌ يكاد من التّهييفِ ينعقدُ[1]

فسَلّها من فمِ الابريقِ ، فانبعثت
مثلَ اللسانِ جرى ، واستمسك الجسدُ

فلم نزل في صَباحِ السبت نأخذُها ،
والليلُ يأخذنا ، حتى بدا الأحدُ

واستشرقت غُرّةُ الاثنين ، واضحةٌ ،
والجَديُ مُعترضٌ ، والطالع الأسدُ[2]

وفي الثُلاثاء أعملنا المطيّ بها ،
صهباء ما قرَعتها ، بالمِزاج ، يدُ

---

١ قراطقه ، الواحد قرطق : قباء ذو طاق واحد . التهيف : رقة الخصر .
٢ الجدي والاسد : من بروج السماء .

هذا يومُ شكٍّ ، وبعض أهل العلم يصومُه ، فقال : لا عليك ،
ليس الشكُّ حجّةً على اليقين .

•

حدّثنا أبو جعفر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : صُوموا لرؤيته وأفطِروا لرؤيته . ثم قال أبو عيسى :

لو شئتَ لم تَبرحْ من القُفصِ ،
نشربُها حمراءَ كالحُصّ[1]

نَسرق هذا اليومَ من شَهرنا ،
واللهُ قد يعفو عن اللصّ

•

وذكروا أنّ أبا عيسى خرج الى القُفص متنزّهاً ومعه الحسن ابن هانىء ، فحمله وخلعَ عليه ، فأقام فيها اسبوعاً ، ثم قال : بحياتي صِفْ مجلسنا والأيامَ كلها . فقال في ذلك :

يا طِيبَنا بقُصور القُفْص مُشرِقةً ،
بها الدّساكر ، والأنهار تطّرِدُ[2]

---

١ الحص : الورس ، او الزعفران .
٢ الدساكر : امكنة اللهو والشراب .

فأتاني فقال : هيا عِصمة ، قد رحلَتْ مي ولم يبقَ إلا الآثار ، ورسومُ الدّيار . وأنشدَني :

ألا يا اسلمي ، يا دار ميٍّ ، على البلى ،
ولا زال منهلاً بجَرْعائك القَطْرُ[١]

•

الفضل بن الربيع قال : قعد المخلوع للناس يوماً وعليه طيلسانٌ أزرق ، وتحتَه لِبد أبيض ، فوقّع في ثمانمائة قصّة ، فوالله لقد أصابَ فما أخطأ ، وأسرع فما أبطأ ، ثم قال لي : يا فضل ، أتراني لا أحسن التدبير والسياسة ، ولكني وجدتُ شمّ الآسِ ، وشُربَ الكاسِ ، والاستلقاء من غير نعاس ، أشهى إليّ من ذلك .

•

قال ابن قُتيبة : خرج أبو عيسى جبريلُ بن أبي عيسى الى متنزّه له بالقُفْص[٢] ، ومعه الحسن بن هانىء ، في آخر شعبان ، فلما كان اليومُ الذي أوفى به الشهر ثلاثين يوماً قيل له : إن

---

١ الجرعاء : رملة مستوية لا تنبت شيئاً .
٢ القفص : قرية مشهورة بين بغداد وعكبراء، كانت من مواطن اللهو ومعاهد النزهة ، وتنسب اليها الخمور الجيدة والحانات الكثيرة .

اذا راجعَتكَ القولَ ميّةُ ، أو بدا
لكَ الوجهُ منها ، أو نضا الثوبَ سالبُه[1]

فيا لكَ من خدٍّ أسيلٍ ، ومنطقٍ
رخيمٍ ، ومن خَلْقٍ تعلّلَ جادبُه[2]

فقالت الظريفة : ها هي ذه قد راجعَتْك ، وقد بدا لك الوجهُ منها ، فمن لك بأن يَنضُوَ الدّرعَ سالبُه ؟

فالتفتت مَيّة اليها فقالت : قاتلكِ الله ، ما أنكرَ ما تُجيبين به !

فتحدّثن ساعة ، ثم قالت الظّريفة للنساء : إنّ لهذين لشأناً ، فقُمنَ بنا وقمتُ معهن ، فجلستُ في بيتٍ أراهما منه ، فما رأيتُه بَرِح من مَقعده ، ولا فقدتُه ، فسمعتُها قالت له : كذبتَ والله . ولا أدري ما قال لها ، فلبثتُ قليلاً ، ثم جاءني ومعه قارورة فيها دُهن ومعه قلائد للجؤذر ، فقال : هذا دُهنُ طيبٍ أُتحِفنا به ، وهذه قلائدُ للجؤذر ، ولا والله ما أقلّدهنّ بعيراً أبداً ! وشدّ بهنّ ذوائبَ سيفه وانصرفنا . فكنّا نختلف اليها حتى انقضى الربيع ، ودعا الناسَ المَصيفُ ،

١ سالبه : مختلسه او منتزعه .
٢ الجادب : العائب .

فقالت ظريفةٌ منهنّ : لكن الآن ، فلتَجِلْ .

قال : فنظرتْ اليها ميّةُ متكرّهةً ، ثم مضيت في القصيدة حتى انتهيت الى قوله :

اذا سرحت من حُبّ ميٍّ سوارحٌ ،
على القلبِ ، لبّتْه جميعاً عوازبُـه[1]

فقالت الظريفة : قتلتِه قتلكِ الله .

قالت ميّة : ما أصحّه وهنيئاً له .

فتنفّس ذو الرمة تنفساً ظننت معه أن فؤاده قد انصدع ، ومضيت فيها حتى انتهيت الى قوله :

وقد حلفتْ بالله ميّـةُ ما الذي
أقول لهـا ، إلاّ الذي أنا كاذبُه

اذاً فرماني اللهُ من حيثُ لا أرى ،
ولا زال في أرضي عدوٌّ أحاربُه

فالتفتتْ اليه فقالت : خَفْ عواقب الله .

ومضيتُ في القصيدة حتى انتهيت الى قوله :

---

١ عوازبه : ما بعد وغاب عنه .

الحي ، فإذا هم خُلوف[١] ، واذا بيتٌ ميّة ناحيةً ، فعرفن ذا الرمـة فتقوّضن[٢] النساء الى ميّ ، وجئنا حتى أنخنا ، ثم دنونا فسلّمنا وقعدنا نتحدّث، فاذا هي جاريةٌ أملودٌ واردة الشّعر[٣] بيضاء تغمُرها صُفرة ، وعليها ثوبٌ أصفر ، وطاقٌ أخضر ، فقلن : أنشدنا يا ذا الرُمة . فقال : أنشدهنّ يا عِصمة . فأنشدتُهنّ :

نظرتُ الى أظعانِ ميّ ، كأنها
ذُرى النخل ، او أثل تَميل ذوائبُه[٤]

فأعربَتِ العينانِ ، والصدرُ كاتمٌ ،
بمغرورقٍ نمّت عليه سَواكبه

بُكا وامقٍ جاء الفراقُ ، ولم تَجُل ،
جوائلَها ، أسرارُهُ ومَغايبه[٥]

---

١ الخلوف ، الواحد خالف : وهم القوم الذين ذهبوا من الحي يستقون وخلفوا النساء والاثقال .

٢ تقوضن : جئن وذهبن في غير استقرار .

٣ أملود : ناعمة مستوية القامة . الشعر الوارد : المسترسل الطويل .

٤ الاثل : شجر . ذوائبه : اعاليه .

٥ الوامق : المحب . المغايب : اراد ما يغيب في ضميره ويكتمه .

[illegible]

كالهِراوة، فبالحَرَى والله ما تخلصت منه حتى خرجنا من الغار
واذا هنَّ يتضاحكن ويتَهادَيْن الى الحَيات ؛ فقلتُ لصاحبي :
من أينَ أقبل الأسود ؟

قال : كان يرعى غنَماً الى جانب الغار فدعونه ، فوسوسن اليه شيئاً فدخل عليـــك ! فقلت : أبا عليّ ، أتُراه كان يفعل فيَّ شيئاً ؟

فقال : أتراك خلصتَ منه ؟

فانصرفت وأنا أخزى الناس .

قالت لها: تلك اذاً قِسْمةٌ ضِيزى[١]. وقالت أخرى منهن: قد أطلنَّ الخِطاب في غير أرَب، فسَلْنَ الرجل عن نيّته، وقصده وبُغيته، فلعله لِغير ما أنتنَّ فيه قصَد. فقلن: حيّاكَ الله، وأنعمَ بكَ علينا، مَنْ تكون، ومن أنت، وما تعاني، وإلامَ قصدت؟

فقلت: أمّا الاسم فالحسن بن هانيء، رجلٌ من اليمن، ثم من سَعد العشيرة، وأحَد شعراء السلطان الأعظم، وممَن يُدنى مجلسُه، ويُتّقى لسانه، ويُرهَب جانبه. وأمّا قصدي فتَبريد غلّة، وإطفاء لوعةٍ، قد أحرقت الكبدَ وأذابتها.

قالت: لقد أضَفتَ الى حُسن المَنظر كرم المَخبر، وأرجو أن يُبلغك الله أمنيّتك، وتنالَ بغيتَك.

ثم أقبلتْ عليهنَّ، فقالت: ما بواحدةٍ منكن عن مثله مَرغَب، فتعالَين نشترك فيه، ونقترع عليه، فمن واقعَتها القُرعة منا تكون هي البادية. فاقترعن فوقعت القُرعة على المَليحة التي قامت بأمري، فعلّقنَ إزاراً على باب مغارٍ يجاورهنَّ وأُدخلتُ فيه، وأبطأنَ عني وجعلت أتشوّف لدخول إحداهنَّ عليَّ، اذ دخل عليَّ أسود كأنه سارية، وبيده شيء

---

١ ضيزى: جائرة.

فلمّا قضَينا حجّنا وانصَرفنا راجعين ، مررنا بذلك المنزل وقد تضاعف حُسنُـه وتمّت بهجتُه ، فقلت لصاحبي : امضِ بنا الى صاحبتنا . فلمّا أشرفنا على الخِيام ، فصعدنا رَبوة ونزلنا وَهدة ، اذا هي تتهادى بين خمسٍ ما تصلُح أن تكون خادماً لأدناهن ، وهنّ يجنين من نَور ذلك الزّهر ، فلمّا رأيننا وقفنَ فقلنا : السلام عليكنّ .

فقالت من بينهن : وعليكَ السلام ، ألستَ صاحبي ؟

قلتُ : بلى .

قلنَ : وتعرفينَه ؟

قالت : نعم . وقصّت عليهنّ القصة ما خرمت حرفاً .

قلن لها : ويحك ، فما زوّدتِه شيئاً يتعلل به ؟

قالت : بلى ، زوّدته لحداً ضامراً ، وموتاً حاضراً .

فانبرَتْ لها أنضرُهنّ خدّاً ، وأرشقُهنّ قدّاً ، وأسحرهنّ طرفاً ، وأبرعهنّ شكلاً ، فقالت : والله ما أحسنتِ بَدْءاً ، ولا أجملتِ عَوداً ، ولقد أسأتِ في الردّ ، ولم تُكافئيه في الوُدّ ، فما عليكِ لو اسعفتِه بطَلِبتِه ، وانصفتِه في مودته ، وإنّ المكانَ لخالٍ ، وإنّ معك من لا يَنمّ عليك .

فقالت : أمّا والله لا أفعلُ من ذلك شيئاً أو تشركَني في حُلوه ومُرّه .

عن بُلوغ نَعتِها ، وفخِذان لفّاوان[١] ، وساقان خَدلّجان[٢] يخرسان الخلاخيل ، وقدمان كأنهما لسانان . ثم قالت : أعاراً ترى لا أبا لك ؟

قلتُ : لا والله ، ولكنّ سبَبَ القدرِ المُتاح ، ومَقربي من الموت الذُّباح ، يُطبقُ عليّ الضريح ، ويتركني جَسداً بغير روح .

فخرجتْ عجوزٌ من الخباء ، فقالت له : امض لشأنك ، فإنّ قتيلها مطلول لا يُودَى ، وأسيرَها مَكبول لا يُفدَى . فقلت لها : دَعيه فإنّ له مثل قول غَيلان :

فإلاّ يكن إلاّ تعلّلُ ساعة
قليلاً ، فإني نافعٌ لي قليلُها

فولّت العجوز .

فنحن كذلك حتى ضُرب الطبلُ للرّحيل ، فانصرفتُ بكمدٍ قاتل ، وكَرب خابل ، وأنا أقول :

يا حَسرتي مما يُجِنّ فؤادي ،
أزِفَ الرّحيلُ بغُربتي وبِعادي

---

١ لفاوان : ضخمتان .

٢ خدلجان : ممتلئتان .

فقالت : أمّا ما ذهبتَ اليه لا أبا لك ، فلا والله ، لأنا بقول الشاعر :

مُنعَّمةٌ ، حَوراء ، يجري وُشاحُها ،
على كشحٍ مُرتجّ الروادف ، أهضمِ [1]

لها بَشَرٌ صافٍ ، وعينٌ مَريضة ،
وأحسن إيماء بأحسنِ معصمِ [2]

خُزاعيّة الأطرافَ ، سَعديّة الحَشا ،
فزاريّة العَينين ، طائيّة الفمِ

أشبهُ من قولك الآخر . ثم رفعت ثيابَها حتى بلغت بها نَحرها ، وجاوزت مَنكبيها فإذا قضيبُ فضّة قد شيبَ بماء الذهب ، يهتزّ على مثل كثيب النّقا ، وصدرٍ كالوذيلة [3] ، عليه كالرّمّانتين ، وخَصرٍ لو رُمتَ عَقدَه لانعقد ، مطويّ الاندماج ، على كفل رَجراج ، وسُرّة مُستديرة ، يقصُر فهمي

---

١ يجري وشاحها : كناية عن ضمور خصرها . الكشح : ما بين السرّة ووسط الظهر . الروادف ، الواحد ردف : العجز . الأهضم : الذي في كشحه دقة ولطف .

٢ البشر : ظاهر جلد الانسان ، واحدتها بشرة .

٣ الوذيلة : المرآة.

النفوس ، وتخفّ في محاسنه رَزانة الحليم ، ويَحار في بهائه طرْف البصير .

فدقّتْ وجَلّت واسبطرّت وأكمِلَتْ ،
فلو جُنّ إنسان من الحُسنِ جُنّتِ !١

فلم أتمالك أن سجدت وخَررت ساجداً فأطلت من غير تسبيح ، فقالت : ارفع رأسَك غير مأجور ، ولا تذُمّ من بعدها بُرقعاً ، فلربما انكشف عما يَصرف الكَرى ، ويَحلّ القُوى ، ويُطيل الجوى ، من غير بُلوغ إرادة ، ولا دَرَك طَلِبة ، ولا قضاء وطَر ، ليس إلا للحَين المجلوب ، والقدَر المكتوب ، والأمل الكَذُوب .

فبقيتُ واللهِ معقولَ اللسان عن الجواب ، حيرانَ لا أهتدي لصواب ، فالتفت إليّ صاحبي ، فقال لمّا رأى هلعي ، كالمسلّي لي عن بعض ما أذهلني : ما هذه الخفّةُ لوجهٍ برقَتْ لك منه بارقة لا تدري ما تحتَه ؟ أما سمعتَ قول ذي الرُمّة :

على وجه ميٍّ مَسحةٌ من ملاحةٍ ،
وتحتَ الثّياب العارُ لو كان باديا

١ البيت للشنفرى الأزدي . اسبطرت : امتدت قامتها .

[illegible]

هَمَتْ برذاذ ، ثم بطَشٍّ ، ثم برَشٍّ ، ثم بوابـل[1] ، ثم أقلعت وقـد غادرت الغُدران مُترعة تتدفّق ، والقِيعان تتألق ، رياض مُونقة ، ونوافح من ريحها عَبِقة ، فسرّحت طرفي راتعاً منها في أحسن منظر ، وانتشقتُ من ريّاهـا أطيبَ من المسك الأذفر[2] .

قال : فلما انتهينا الى أوائلها ، اذا نحن بخباء على بابه جارية متبرقعة ، ترنو بطرفٍ مريض الجفون ، وَسنانِ النظر ، قد أشعِرت حماليقُه[3] فتوراً ومُلئت سحراً ، فقلت لزميلي : استنطقها .

قال : وكيف السبيل الى ذلك ؟

قلت : استسقها ماء .

فأستسقاها فقالت : نَعـم ونُعمَى عين[4] ، وإن نزلـتم ففي الرُّحب والسعة .

---

١ الرذاذ : المطر الضعيف . الطش : كذلك المطر الضعيف وهو اقوى من الرذاذ . الرش : المطر القليل ، وهو اشد من الطش . الوابل : المطر الشديد .

٢ الاذفر : هنا الطيب الرائحة .

٣ حماليق العين : باطن اجفانها .

٤ نعمى العين : اي قرة العين .

خبر الحسن بن هانىء مع الاسود

قال الحسن بن هانىء :

حججتُ مع الفضل بن الربيع ، حتى إذا كنا ببلاد فَزارة ، وذلك إبّانَ الربيع ، نزلنا منزلاً بإزاء ماء لبني تميم ، ذا روض أريض ، ونَبت غَريض[1] ، تخضع لبهجته الزرابيُّ المبثوثة[2] ، والنّمارق المصفوفة[3] ، فقرّت بنضرتها العيون ، وارتاحت الى حُسنها القلوب ، وانفرجت ببهائها الصدور ، فلم نلبث أن أقبلت السماء ، فأسفّ[4] غمامها ، وتدانى من الأرض رُكامها ، حتى اذا كان كما قال أوس بن حَجر حيث يقول :

دانٍ ، مُسِفٌ ، فُويقَ الأرضِ هَيدبُه[5]
يكاد يدفعه مَن قام بالرّاحِ

---

١ الأريض : الزكي المعجب للعين . الغريض : الطري .
٢ الزرابي ، الواحد زربي : كل ما بسط واتكىء عليه . المبثوثة : المفرقة .
٣ النارق ، الواحدة نمرقة : الوسادة الصغيرة ، او الطنفسة فوق الرحل .
٤ اسف : دنا من الأرض .
٥ الهيدب : من السحاب المتدلي الذي يدنو من الأرض .

فقال : يا امير المؤمنين ، عرفتُ ما في نفسك فأعربتُ عما في ضميرك .

فأمر له بأربعة آلاف درهم ، ولصاحبيه بمثلها .

•

وقال بعض العراقيّين :

غضبتِ من قُبلةٍ بالكَره جُدتِ بها ،
فها انا جئتُ فاقتصّيه أضعافا[1]

لم يأمر الله الا بالقصاص ، فلا
تستَجوري ما رآه الله إنصافا[2]

•

عتبت ماردةُ على هارون الرشيد ، فكانت تُظهر الكراهة وتُضمر له المحبة ، فقال فيها :

تُبدي صُدوداً ، وتُخفي تحتَه صِلةً ،
فالنفسُ راضيةٌ ، والطّرف غضبانُ

يا مَن وضعتُ له خدّي ، فذلّله ،
وليس فوقي سوى الرّحمن سلطان

١ اقتصيه ، من الاقتصاص : وهو القصاص .
٢ لا تستجوري : اراد لا تعديه جوراً ، اي ظلماً .

وقال مُصعب :

أتعذُلني ، وقلبك مُستطارُ ،   كئيبٌ ، لا يَقرُّ له قَرارُ
بحُبٍّ مليحةٍ صادت فؤادي ،   بألحاظٍ ، يُخالطها احورار[١]
ولما ان مددتُ يدي اليها   لألمسَها ، بدا منها نِفارُ
فقلت لها : عِديني منك وعداً ،   فقالت : في غدٍ منك المَزار
فلما جئتُ مُقتضياً أجابت :   كلامُ الليل يمحوه النهار

وقال ابو نُواس :

وخَودٍ اقبلت في القصر سكرى ،
ولكن زيَّن السكرَ الوقار[٢]

وهزَّ المشيُ أردافاً ثِقالاً ،
وغصناً فيه رُمّانٌ صِغار

وقد سَقط الرِّدا عن مَنكِبيها
من التَّجْميش وانحلَّ الازار[٣]

فقلت : الوعدَ سيدتي ، فقالت :
كلامُ الليل يمحوه النهار

فقال له : أخزاكَ الله ، أكنتَ معنا ومُطّلعاً علينا ؟

١ الاحورار : شدة سواد سواد العين ، وشدة بياض بياضها .
٢ الخود : الحسنة الخلق ، الشابة .
٣ التجميش : المغازلة .

تسحب أذيالَه ، فراودَها عن نفسها ، فقالت : يا امير المؤمنين ، انا على حال ما تَرى ، ولكن اذا كان من غد ان شاء الله . فلما كان من الغد مَضى اليها ، فقال لها : الوعد .

فقالت له : يا امير المؤمنين ، اما علمت ان كلامَ الليـل يمحوه النهار ؟

فضحك ، وخرج الى مجلسه ، فقال : من بالباب من شعراء الكوفة ؟

فقيل له : مُصعبٌ والرَّقاشي وأبو نواس .

فأمر بهم فأدخلوا عليه ، فلمّا جلسوا بين يديه قال : ليقلْ كلُّ واحد منكم شعراً يكون آخره :

كلام الليـــل يمحوه النهار

فأنشأ الرَّقاشي يقول :

متى تصحو وقلبك مُستطارُ ،
وقد مُنِـعَ القرارُ ، فلا قَرارُ

وقد تركَتْك صبّاً مُستهاماً ،
فتـاةٌ لا تزور ، ولا تُزار

اذا استنجزتَ منها الوعدَ قالت :
كلامُ الليل يمحوه النهـار

ثم إنّ المأمون أقبل مُسترضياً لها فسلّم عليها ، فلم تردّ عليه، وكلّمها فلم تُجبه ، فأنشأ يقول :

تكلّمْ ليس يوجِعُكِ الكلامُ ، ولا يُؤذي محاسنَكِ السّلامُ
أنا المأمون ، والملِكُ الهُمامُ ، ولكني بحُبّكِ مُستهام
يَحقُّ عليكِ ألاّ تَقتليني ، فيبقى النّاسُ ليس لهم إمام

•

كتبت امرأةُ عمر بن عبد العزيز الى عمر ، لما اشتغل عنها بالعبادة :

الا يا أيُّها الملكُ الذي قد
سَبى عقلي ، وهام به فؤادي

أراكَ وسِعتَ كلَّ الناس عدلاً ،
وجُرت عليَّ من بين العباد

وأعطيتَ الرعيّة كلَّ فضلٍ ،
وما أعطيتَني غيرَ السُّهاد

فصرف وجهَه اليها .

•

حدّث ابو جعفر قال : بينا محمّد بن زُبيدة الأمينُ يطوف في قَصرٍ له ، إذ مرّ بجاريةٍ له سَكرى ، وعليها كِساء خزّ

وعَد المأمون جاريةً وأخلفها الوعد ، فكتبت اليه :

أرِقتْ عيني ، ونامَتْ عينُ من هُنْتُ عليه
إنّ نَفسي ، فاعذرَنْها ، أصبحتْ في راحتَيْه
رَحِم اللهُ رحيماً ، دلّ عَيني عليه

فلما قرأ رُقعتَها ضَحك ، ووفى بوعده .

•

عتب المأمون على جاريةٍ من جواريه ، وكان كَلِفاً بها فأعرض عنها ، وأعرضت عنه ، ثم أسلمه العَزاء ، وأقلقه الشّوق ، حتى أرسل يَطلب مراجعتَها ، وأبطأ عليه الرّسول ، فلما رجع اليه أنشأ يقول :

بعَثتُك مرتاداً ، ففُزتَ بنَظرةٍ ،
وأغفلتَني حتى أسأتُ بك الظنّا
وناجيتَ مَن أهوى ، وكنتَ مقرّباً ،
فيا ليتَ شِعري ، عن دنوّك ، ما أغنى
ونَزّهتَ طَرفاً في محاسن وَجهِها ،
ومَتّعتَ ، باستظراف نغمتِها ، أذنا
أرى أثراً منها بعينيك لم يكُن ،
لقد سَرقتْ عيناك ، من وجهها ، حُسنا

خبّريني ، مَن الرسولُ اليكِ ،
واجعليه مَن لا ينمُّ عليكِ

قلت : ما أعرفه .

قالت : هو هذه ، ورمتْ الي بالتفاحة ، فوالله ما وجدتُ لها جواباً من نظير كلامها .

•

وقال شيخٌ من أهل البصرة : لقيت الحَسن بن وهب ، فأردتُ ان أمتحن سلامةَ طبعه ، ومعي تفاحة ، فأريتُه إياها وسألته ان يَصفها .

فقال لي : نحن على الطّريق ، ولكن مِلْ بنا الى المسجد. فملْنا اليه ، فأخذها وقلّبها بيده شيئاً ، وقال :

يا رُبَّ تُفاحةٍ خلوتُ بها ،
تُشعِلُ نار الهوى على كَبدي

قد بتُّ في لَيلتي أقلّبها ،
أشكو اليها تطاوُلَ الكمدِ

لو أنّ تُفاحةً بكَتْ لبكتْ ،
مِن رحمةٍ ، هذه التي بيدي

•

فيمينُه تحت الوساد ، وخدُّه
ويسارُه فوق الفؤادِ الخافقِ

•

أهدت جاريةٌ من جواري المهديّ تفاحةً الى المهدي وطيّبتها ، وكتبت فيها :

هديّة مني الى المَهدي ، تُفاحةٌ تُقطفُ من خدّي
مُحمرةٌ مُصفرةٌ طُيّبت ، كأنها من جنّة الخُلد

فأجاب المهدي :

تُفاحةٌ من عندِ تُفّاحةٍ ، جاءت ، فماذا صنعَت بالفؤادْ
والله ما أدري أأبصرتُها يقظانَ أم ابصرتُها في الرُّقادْ

•

وكتب بعضُ الكتّاب الى مُدامٍ ، جاريةِ المازنيّ ، وبعث اليها بقنّينة من مُدام :

قُل لمن يَملك الملوكَ ، وإن كان قد مُلِكْ
قد شَرِبناك مَرّةً ، وبعثنا اليك بك

•

وقال عليّ بن الجَهم : دخلتُ على ابي عثمان المازنيّ ، وعنده جارية له كأنها شِقّة قمر ، وبيدها تفّاحة مَعضوضة ، فقالت : عرفت ما اراد الشاعر بقوله :

ان كان دهرُ بني ساسان فرّقهمْ ،
فإنما الدهر أطوارٌ دهاريرُ[1]

وربما أصبحوا يوماً بمنزلةٍ ،
تهاب صَولتهم الأسدُ المَهاصيرُ[2]

قال : صدقت .

•

وكتبت جاريةٌ الى علي بن الجهم رقعة ، فأجاب فيها :

ما رُقعة جاءتك مكتوبة ، كأنها خــدٌ على خد
تَبدو سواداً في بياضٍ ، كما ذُرّ فتيتُ المِسْك في الوَرد
ساهمةُ الأسطر ، مَصروفة عن جهة الهزل الى الجِدّ
يا كاتباً اسلمني عَتْبُه اليه ، حَسْبي منك ما عندي

وكتبت ايضاً :

قلبٌ يملُّ على لسانٍ ناطقٍ ،
ويدٌ تَخُطُّ رسالةً من عاشقِ

مُزِجَ المِدادُ بعَبرةٍ شهدتْ له ،
من كل جارحةٍ ، بحبٍّ صادقِ

---

١ دهارير : مختلفة .
٢ الصول : الصولة .

فالتفت الى جليسٍ له ، وهو محمد بن سلاّمٍ صاحب المظالم ، فقال له : ويحك يا محمد ، اتدري ؟

قال : نعم يا امير المؤمنين ، ذكرتَ قول الشاعر :

ذَكر الهوى ، فتنفّسَ المُشتاقُ ،
وبدا عليه الذُلُّ والإطراقُ

يا مَن يُصبّرني لأصبرَ بعده ،
الصبرُ ليس يُطيقُهُ العشّاق

فقال : لا والله ما نكأتها[1] . ثم التفت الى جليس له آخر ، فقال له : ويحك أتدري ؟

قال : نعم يا أمير المؤمنين ، ذكرتَ قول ابن الاحنف :

تذكّرت بالرّيحان منكِ شمائلا ،
وبالرّاح عذباً من مُقبّلكِ العذْبِ

فقال : لا والله ما نكأتها . ثم التفت الى كوثر الخادم ، فقال له : ويحك ! اتدري ؟

فقال : نعم يا امير المؤمنين، ذكرتَ قول ابن نُفيلة الغساني:

---

١ نكأ القرحة : قشرها قبل ان تبرأ . اراد : لم تقع على القرحة .

لها حُكمُ لقمانٍ ، وصُورة يُوسف ،
ونغمةُ داودٍ ، وعِفّــــة مَريمِ

فقال : أحسنتَ والله ، يا اصمعي . فهل عرفتَ اسمها ؟
فقلت : لا يا امير المؤمنين .
فقال : اسمها دنيا .
قال : فأطرقت ساعة ثم قلت :

إنّ دُنيـا هي التي تسحر العينَ ، سافره
ظَلموها شطر إسمها، فهي دُنيـا وآخِرَه

قال الأصمعي : فأمر لي بعشرة آلاف درهم .

•

أخبرنا الأنطاكي انّ المتوكل علــى الله طلب من محمودِ الورّاقِ جاريةً مُغنّية ، وأعطاه بها عشرة آلاف دينار فأبى ، فلما مات محمود اشتراها في ميراثه بخمسة آلاف ، وقال لها : كُنّا قد اعطينا مولاكِ بكِ عشرة آلاف ، وقد اشتريناكِ من ميراثه بخمسة آلاف. قالت : يا أمير المؤمنين، اذا كانت الخلفاء تتربّص بلذّاتها المواريثَ فسنُشترى بأوخص مما اشتريت .

•

تنفّس محمد بن هارون الأمين يوماً في مجلسه أيام الحِصار ،

لئن أودَعتْ سطراً من المِسك خدَّها ،
لقد أودعَتْ قلبي من الحُبِّ أسطُرا

فيا مَن لمملوكٍ تملّكَ مالكاً ،
مُطيعاً له ، فيما أسرَّ وأظهرا

ويا مَن مُناها ، في السرائرِ ، جعفرٌ ،
سَقى الله ، من صَوبِ الغمامةِ ، جعفرا

قال : فأفحِمتُ فلم أنطق ، وتغلّبت عليَّ خواطري فما قدَرت على حرفٍ أقوله ، وضحك امير المؤمنين .

•

الاصمعيّ قال : دخلت على هارون الرشيد ، وبين يديه جاريةٌ حسناء ، عليها لِمَّة جعدةٌ ، وذُؤابة تَضرب الحِقْوَ[1] منها ، وهلالٌ بين عَينيها مكتوبٌ عليه بالذهب : هذا ما عُمِل في طِراز الله . فقال : يا أصمعيُّ ، صِفها .

فأنشأتُ اقول :

كنانيّةُ الأطرافِ ، سَعديّةُ الحشا ،
هلاليّـــةُ العينينِ ، طائيّة الفَم

---

١ الحقو : الخصر .

شَهيدي على ما في فؤادي ، من هَوًى ،
دُموعٌ تُباري المُستهلَّ من القَطْرِ

وأسلمَني من كان ، بالامسِ ، مُسعِدي ،
وصار الهوى عوناً عليَّ مع الدهر

•

قال عليُّ بن الجهم : دخلتُ يوماً على المتوكّل ، فقال لي : يا عليّ .

قلت : لبّيك يا أمير المؤمنين .

قال : دخلتُ الساعةَ على قبيحة[١] ، وقد كتبت بالمسك في خدّها اسمي ، فوالله ما رأيت سواداً في بياض أحسنَ منه في ذلك الخدّ ، فقل فيه شعراً .

فقلت : يا امير المؤمنين ، امظلومة[٢] معي ؟

قال : نعم .

ومظلومةُ خلف سِتارةٍ ، فدعت بدواة وبدرت بالقول ، فقالت :

وكاتبةٍ بالمِسك في الخدّ جعفرا ،
بنفسيَ خطُّ المِسك من حيثُ أثّرا

---

١ قبيحة : قينة .

٢ مظلومة : قينة .

سيّدي ، سيّدي ، ومولاي ، ومَن
ألبسني ذلّةً وأضرعَ خـدّي

لا أُحبُّ الذي يلوم ، وإن كان
حريصـاً عـلى صلاحي ورُشدي

وأُحبُّ الأخَ المُشارِكَ في الحُبِّ ،
وإن لم يكن به مِثلُ وَجْدي

كصديقي ابي علـيٍّ ، وحاشا
لصديقي مِن مِثل شِقْوة جَدّي

إنّ مولايَ عبدُ غيري ، ولولا
شُؤم جَدّي لكان مولاي عَبْدي

فلما التقى ابن الزيات الوزيرُ وكاتبُه الحسن بن وهب في بيت الديوان تداعبا في ذلك ، وسأله ابنُ الزيات ان يتجافى له عنه ، فقال له الحسن : طاعتك واجبة في المحبوب والمكروه ، ولكن الرئيس ادام الله عزّه كان اولى بالتفضل .

فقال له ابنُ الزيات : هيهاتَ ، هذه علّة نفسانية تؤدّي الى التّلف ، فتنحَّ عن تَصبيك مني .

فقال الحسن : إن كان هذا هكذا سمعنا وأطعنا . وأنشد :

قد كتمتُ الهوى بمبلغ جُهدي ،
فَفَشا منه بعضُ ما كنت أُبدي

وخلعتُ العِذار ، فليعلم الناسُ
بأني إيّاك أُصفي ودّي

مَن عذيري من مُقلتيك ، ومن إشراق
وجهٍ ، من حولِ حُمرةِ خدّ ؟

فصادف رسولهُ رسولَ محمد بن الزيات الوزير ، فرأى رقعة الحَسن ، فاحتال حتى أخذها ، وأوصلها الى الوزير محمد بن عبد الملك . فلمّا قرأها كتب الى كاتبه الحسنِ بن وَهب :

ليت شِعري ، عن ليتَ شِعْرك هذا
أبِهَزْلٍ تقولهُ أم بجِدّ

فلئن كان ما تقولُ بجِدٍّ ،
يا ابن وهب ، لقد تفتّيتَ بعدي

وتشبّهتَ بي وكُنتُ أرى أنّي
انا الهائم المتيّم وحدي

اتركُ القَصد في الامور ، ولولا
غَمَراتُ الصّبا لأبصرتُ قَصْدي

سقاني بكفّيه وعَينيه شَربةً ،
فأذكَرني ما قد نَسيتُ من العهدِ

سقى الله دهراً لم أبِتْ فيه ليلةً ،
من الدّهر الا مِن حبيب على وعد

فأمر المتوكلُ شفيعاً ان يسقيني وخاصّة ، وبعث معه اليّ بتحايا في عبير وشمّامات[1] .

•

وذكروا أنّ محمد بن عبد الملك الزيات وزير المتوكل كان يعشق خادماً للمتوكل يقال له شفيع ، وكان الحسنُ بن وهب كاتبه كلِفاً بذلك الخادم ، فلقيه الحسنُ بن وهب يوماً ، فسأله عن خبره ، فأخبره أنه يريد ان يحتجم ، فلم تَبقَ بالعراق غريبة الا بعث بها اليه ، ولا طريفاً من الاشربة الا ادخله عليه ، وكتب اليه بهذه الأبيات :

ليت شِعري ، يا أملحَ الناسِ عندي ،
هل تَعالجتَ ، بالحجامة ، بعدي

دفع الله عنكَ لي كلَّ سوء
باكرٍ ، رائحٍ ، وإن خنتَ عهدي

١ الشمامات : ما يتشمم من الروائح الطيبة .

فقلتُ لها : سيري ، وأرخي زِمامَه ،
ولا تُبعديني من جَناكِ المُعلَّلِ[1]

وكانَ الفرزدق أروى الناسِ لأخبار امرىء القيس وأشعاره. وذلك أنّ امرأ القيس رأى من أبيـــه جَفوة ، فلحق بعمّه شُرَحْبيلَ بن الحارث ، وكان مُسترضَعاً في بني دارم ، فأقام فيهم ، وهم رَهطُ الفرزدق .

•

قال الحسين بن الضّحّاك :

دخلت على جعفر المتوكّل ، وشفيعٌ الخادم ينضّـد ورداً بين يديه ، ولم تَعرِفْ في ذلك الزمان خادماً كان احسنَ منه ولا أجمـلِ ، وعليه ثياب مورّدة ، فأمره أن يسقيني ويَغمزَ كفّي . ثم قال لي : يا حُسين ، قُل في شَفيع . وكان قد حيّا المتوكّل بوردة ، فجعل المتوكل يشرب ويَشمّ الوردة ، فقلت :

فيا وردةً جاءت الينـــا بجمرةٍ
من الورد، تمشي في قَراطقَ كالوَردِ[2]

ويَغمزِ كفّي ، عند كلّ تحيّـةٍ ،
بكفّيهِ ، يستدعي الشّجيَّ الى الورد

١ المعلّل : المكرر .
٢ القراطق ، الواحد قرطق : القباء .

وقالت الاخرى : انا احمل رَحْلَه وأنساعه[١] .
فتقسَّمْن متاعَه وزاده . وبقيت عنيزة لم تحمل له شيئاً .
فقال لها : يا ابنةَ الكرام ، لا بد ان تحمليني معك ، فإني لا أطيق المشي .
فحملَتْه على غاربِ بعيرها ، فكان يجنح اليها فيُدخِل رأسَه في خِدرها فيقبّلها ، فإذا امتنعَتْ مال حِدجُها ، فتقول: عقرتَ بعيري فانزل ! ففي ذلك يقول :

ويومَ عَقرتُ للعذارى مطيّتي ،
فيا عجبا من رَحْلِها المتحمَّلِ

فظلّ العذارى يرتمين بلحمها
وشحمٍ كهُدّاب الدّمَقس المفتّل[٢]

ويومَ دخلتُ الخدرَ خدرَ عنيزةٍ ،
فقالت : لك الويلاتُ إنك مُرجلي[٣]

تقول ، وقد مال الغَبيط بنا معاً :
عقرتَ بعيري، يا امرأ القيس، فانزلِ[٤]

---

١ الانساع ، الواحد نسع : سير ينسج عريضاً تشد به الرحال .
٢ الهداب : اسم لما استرسل من الشيء . الدمقس : الحرير .
٣ الخدر : الهودج .
٤ الغبيط : نوع من الرحال او الهوادج .

سار مع رجالِ قومِه غَلْوة ، فكمن في غَيابة من الأرض ، حتى مرّ به النساء وفيهنّ عنيزة ، فلمّا وردن الغدير قلن : لو نزلْنا فاغتسلْنا في هذا الغدير فيذهب عنا بعضُ الكلال ! فنزلْن في الغدير ونَحّين العبيد ، ثم تجرّدْن فوقعن فيه ، فأتاهنّ امرؤ القيس فأخَذَ ثيابَهنّ ، فجمعَها وقعد عليها ، وقال : والله لا أعطي جاريةً منكنّ ثوبَها ، ولو قعدَتْ في الغدير يومَها ، حتى تخرجَ متجرّدةً فتأخذَ ثوبها .

فأبَيْنَ ذلك عليه حتى تعالى النّهار ، وخَشِين أن يقصّرن عن المنزل الذي يُرِدنه فخرجْنَ جميعاً ، غيرَ عنيزة فناشدَتْه الله ان يطرحَ ثوبها فأبى ، فخرجَتْ فنظر اليها مُقبلةً ومدبرة ، وأقبلْن عليه ، فقلن له : انّك عذّبتَنا وحبستنا وأجعتنا .

قال : فإنْ نحرتُ لكنّ ناقتي أتأكلْن منها ؟

قلن : نعم . فجرّد سيفَه فعرقَبَها[1] ونحَرها ثم كشَطها[2] ، وجمع الخدمُ حطباً كثيراً ، فأجّجن ناراً عظيمة ، فجعل يقطع اطايبَها ويُلقي على الجمر ، ويأكلْن ويأكل معهنّ ، ويشرب من فضلةٍ كانت معه ويَسقيهن ، وينبذ الى العبيد من الكباب . فلمّا ارادوا الرّحيلَ قالت إحداهنّ : أنا احمِل طنفسته .

---

١ عرقبها : قطع عراقيبها .
٢ كشطها : سلخها .

يوم دارة جلجل

قال الفرزدق : واصابنا بالبَصرة ليلاً مطرٌ جَود ، فلما اصبحتُ ركبت بغلةً لي وسرت الى المِربد ، فإذا انا بآثار دوابٍّ قد خرجت الى ناحية البرّيّة ، فظننتُ أنّهم قوم خرجوا للنُّزهة ، وهم خُلقاء ان تكون معهم سُفرة ، فاتّبعت آثارَهم حتى انتهيتُ الى بغالٍ عليها رحائل ، موقوفةٍ على غدير ، فأسرعت الى الغدير ، فإذا فيه نسوة مستنقِعاتٌ في الماء ، فقلت : لم أرَ كاليوم قطُّ ، ولا يوم دارةِ جُلجُل . وانصرفتُ مستحياً ، فنادينَني: يا صاحبَ البغلة ، ارجعْ نسألك عن شيء . فرجَعت اليهنّ فقعَدْن في الماء الى حلوقهنّ ، ثم قلن: بالله الا ما أخبرتَنا ما كان من حديث دارةِ جلجل . قلت :

حدّثني جدّي ، وانا يومئذ غلامٌ حافظ ، أنّ امرأ القيس كان عاشقاً لابنة عمّه ، ويقال لها : عُنيزة ، وانه طلبها زماناً فلم يصل اليها ، حتى كان يومُ الغدير ، وهو يوم دارة جُلجُل . وذلك ان الحيّ تحملوا ، فتقدّم الرجال ، وتخلّف النساء والخدَم والثَّقَل[١] . فلما رأى ذلك امرؤ القيس تخلف بعدما

١ الثقل : متاع المسافر وحشمه .

قالت إحداهما للأخرى : ويلكِ ما يقول ؟

قالت : يسأل ان يُغنى :

أوحَشَ الحِشّانُ ، فالرَّبعُ منها ،
فمناهـــا فالمــنزل المعمور[1]

فرفعتا عقيرتَيهما تغنّيانه فقال : ما أراهما الا كوفيّتين ، وأهل الكوفة يسمُّونهـا الكُنُف . فقال : يا حبيبتيّ ، اين يكون الكنيف ؟

قالت إحداهما للأخرى : يعيش سيّدنا ، هل رأيت أكثرَ اقتراحاً من هذا الرجُل ؟ أفهميني ما يقول .

قالت : يقول غنّياني :

تكنّفني الهوى طفلا ، فشيّبَني وما اكتهـلا

قال : فغلبه بطنُه ، وعلم أنهمـا تَولَـعان به[2] ، والهاشمي يتقطّع ضحكاً ، فقال : كذبتما يا زانيتان ، ولكني أعلمكما ما هو ؟ فرفع ثيابه فسلَحَ عليهمـا ، فانتبه الهاشميّ فقال : سبحان الله ، اتُحدِث على وطائي[3] ؟

فقال : الذي خرج من جَوفي أعزُّ عليّ من وطائك ، إنّ هاتين حسبتا أنّا أسأل عن الحُشّ للضُراط ، فأردتُ أنْ أعلمهما ما هو؟

١ الحِشّان ، الواحد حش : أطم بالمدينة .
٢ تولعان به : تحرصان على إيذائه .
٣ الوطاء : ما يفترشه النائم .

رحضتِ فؤادي ، فعنّيتِني ،
أهيمُ من الحُبّ في كلّ وادِ

فاندفعتا فغنّتاه فقال في نفسه : لم تفهما والله عنّي ، اظنُّهما شاميّتين ، وأهل الشام يسمُّونها المَذاهب . قال : يا حبيبتيّ ، اين المَذهب ؟

فقالت إحداهما لصاحبتها : ما يقول ؟

قالت : يسأل ان يغنّى :

ذهبتَ من الهجران في كلّ مذهبِ ،
ولم يكُ حقاً كلُّ هـذا التجنّبِ

فغنّتاه الصوتَ فقال في نفسه : لم تَفهما عني ، ما اظنهما الا مدنيّتين ، وأهلُ المدينة يسمونها بيت الخلاء . قال : يا حبيبتيّ ، اين بيت الخلاء ؟

قالت إحداهما لصاحبتها : ما يقول ؟

قالت : يسأل أن يغنّى :

خلّى عليّ جوى الأحزان ، إذ ظَعنَا
من بَطنِ مكّة ، والتسهيدَ والحَزَنا

قال : فغنّتاه فقال في نفسه : إنا لله وإنا اليه راجعون ، ما احسبهما الفاسقتَين الا بصريتين ، واهل البَصرة يسمونها الحُشوش .

قال : يا حبيبتيّ ، اين بيت الحُشّ ؟

خبر الهاشمي مع المضحك

كان بالمدينة رجلٌ من بني هاشم ، وكان له قينتان يقال لإحداهما جُؤذَر ، وللأخرى رشأ ، وكان يعجبه السماع ، وكان بالمدينة مُضحِكٌ يغِبُّ مجالس المتظرّفين ، ومواضع المُلْهِين ، فأرسل اليه الهاشميُّ ذاتَ يوم ليضحك منه ، فلما جاءه قال له المضحِك : إنّك أصلحك الله في لذّتك ، ولا لذّة لي .

قال له : وما لذّتك ؟

قال : تُحضرني نبيذاً فإنه لا يطيب لي عيشٌ الا به .

فأمر الهاشميّ بإحضار نبيذ ، وأمر ان يُطرح فيه سكّر العُشَر[1] ، فلما شربه المُضحك تحرّك عليه بطنُه وتناوم الهاشميّ وغمزَ جواريه عليه ، فلمّا ضاق عليه الأمر واضطرّ الى التبرّز قال في نفسه : ما أظنُّ هاتين المغنّيتين إلاّ يمانيتين ، وأهل اليمن يسمّون الكُنُف المراحيض . قال لهما : يا حبيبتيّ ، اينَ المرحاض ؟

قالت إحداهُما لصاحبتها : ما يقول ؟

قالت : يقول : غنّياني :

---

١ العشر : من العضاه وكبار الشجر ، له صمغ حلو ، وسكر يخرج من شعبه وزهره ، وفي سكره شيء من مرارة .

فلما سلّمتُ قلتُ : تأذنين جُعِلت فداكِ في الدنوّ منك ؟

قالت : تجرّدْ. وأشارت الى ثيابها كأنها تريد أن تتجرّد ، فكدتُ أن أشقّ ثيابي عجلةً للخروج عنها ، فتجرّدتُ وقمتُ بين يديها مُكفّراً لها[1] . قالت : امض الى زاوية البيت ، وأقبِلْ وأدبر حتى اراك مقبلًا ومدبراً .

قال : واذا حَصيرٌ في الغرفة عليه طريقٌ الى زاوية البيت فأخطِرُ عليه ، واذا تحتَه َخرْق الى السُّوق ، فاذا انا في السوق قائماً متجرّداً ، واذا الشّيخانِ الشاهدانِ قد أعدّا لي نِعالَهما ، وكمنا لي في ناحيةٍ ، فلما هبطتُ عليهما بادرَا اليّ فقطّعا نعالهما على قفَاي ، واستعانا بأهل السُّوق ، فضُربتُ والله يا أبا محمد حتى نسِيتُ اسمي ، فبينا انا أُضرَبُ بنعالٍ مخصوفةٍ وأيدٍ شديدة اذا صوتٌ من فوق البيت يغنى به ، وهو :

ولو علم المجرّد ما أردنا ، لخاضَ لنا المجرّدُ بالصّحاري

فقلت في نفسي : هذا والله وقتُ هذا البيت ، فنجَوت الى رحلي ، وما فيّ عظمٌ صحيح ، فلما انقضى حجُّنا وانصرفنا جعلتُ طريقي على ذلك الموضع فسألتُ عنها فقيل لي : انها امرأةٌ من آل أبي لهَب .

فقلت : لعَنها الله ولعن الذي هي منه .

---

[1] التكفير : اظهار الخضوع والتعظيم .

راحوا يصيدون الظّباء ، وإنني
لأرى تصيُّدَها عليَّ حراما

أعزِزْ عليَّ بأن أرُوعَ شبيهها ،
او أن تـذوقَ على يديَّ حِماما

فقلت : جُعِلتُ فداكِ ، مَن تَغَنّى بهذا؟

قالت : اشتَرَكَ فيه جماعة ، هو لمعبد ، وتغنى به ابن سُرَيج وابنُ عائشة . فلمّا نُعِيَ الينا النهار وجاءت المغرب ، تغنّتْ بصوتٍ لم افهمْه ، للشقاء الذي كُتِب عليَّ ، فقالت :

كأني بالمجرَّدِ قد علَتْه
نعالُ القوم، أو خشَبُ السّواري

قلت : جُعِلتُ فداكِ ، ما أفهم هذا البيتَ ، ولا احسبه مما يُتغنّى به .

قالت : أنا أوّلُ من تغنى به .

قلتُ : فإنما هو بيتٌ عائر لا صاحبَ له .

قالت : معه آخرُ ليس هذا وقتَه ، وهو آخِر ما أتغنى به.

قال : فجعلت لا أنازعُها في شيء إجلالاً لها . فلما أمسينا وصلّينا المغرب ، وجاءت العِشاء الآخِرة ، وضعَت القضيب ، فقمت وصلّيت العِشاء وما ادري كم صليت عجَلةً وشوقاً ،

فقلتُ في نفسي : ابو الحسن وابو الحسين هو علي بن ابي طالب .

قال : فاذا شيخانِ خاضبان نبيلان قد اقبلا فصعدا ، فقصّت المرأة عليهما القصة ، فخطب احدُهما وأجاب الآخر . واقررتُ بالتزويج واقرّت المرأة ، فدَعَوَا بالبركة ، ثم نهضا ، فاستحييت أن أحمّل المرأة شيئاً من المؤونة ، فأخرجْت ديناراً آخر ، فدفعته اليها ، وقلت : اجعلي هذا لطيبك .

قالت : يا اخي ، لستُ ممن يَمسُّ طيباً لرجل ، انما اتطيّب لنفسي اذا خلوت .

قلت : فاجعلي هذا لغَدائنا اليوم .

قالت : أمّا هذا فنعم .

فنهضت الجاريةُ ، وأمرَتْ بإصلاح ما يُحتاج اليه ، ثم عادت وتغدّينا ، وجاءت بدواةٍ وقضيب ، وقعدت تجاهي ، ودعتْ بنبيذ ، فأعدّته واندفعت تغني بصوتٍ لم أسمع مثلَه قطُّ؛ فإني ألفتُ بيوتَ القيان نحواً من ثلاثين سنة ، فما سمعت مثلَ ترنّمِها قط، فكدت أجَنُّ سروراً وطرباً ، فجعلت أريغ[1] أن تدنوَ مني فتأبى ، الى أن غنّت بشعرٍ لم أعرفه ، وهو :

---

[1] أريغ : أحاول .

كأنها دُمْية ، فسلّمَتْ وقعدَتْ كالخجلة . فقالت لها الأولى : إن هذا الذي ذكرتُك له ، وهو في هذه الهيئة التي ترَيْن .

قالت : حيّاه الله ، وقرّب داره .

قالت : وقد بَذل لك من الصّداق ديناراً .

فقالت : اي أمّ ، اخبرتِه بشريطتي ؟

قالت : لا والله يا بُنيّة ، لقد أنسيتُها .

ثم نظرت اليّ فغمزَتْني ، وقالت : أتدري ما شريطتُها ؟ قلت : لا . قالت : اقول لك بحضرتها ما إخالُها تكرهُه ، هي والله أفتَكُ من عَمرو بن معديكرب ، واشجع من ربيعة بن مكدّم ، ولستَ بواصلٍ إليها حتى تَسكرَ وتُغلَبَ على عقلها ، فاذا بلغت تلك الحالَ ففيها مطمع .

فقلت : ما أهونَ هذا وأسهلَه .

قالت الجارية : وتركتِ شيئاً ايضاً .

قالت : نعم واللهِ ، اعلمْ انك لن تصلَ اليها حتى تتجرّد لها فتراك مجرّداً ، مُقبلاً ومدبراً .

قلت : وهذا ايضاً أفعله .

قالت : هلمّ دينارَك . فأخرجتُ ديناراً فنبذتُه اليها ، فصَفَقَتْ صفقةً اخرى فأجابتها امرأةٌ ، قالت : قولي لأبي الحسن وابي الحسين : هلمّا الساعةَ .

قالت : ارجع في حَرامِكَ ، ومَن يريدُكَ على حرام ؟

فخجِلتُ وغلبَتْني نفسي على رأيي ، فتبعتُها فدخلتْ زُقاق العطّارين ، فصعِدَتْ درَجة وقالت : اصعد .

فصعِدتُ ، فقالت : أنا مشغولة وزوجي رجلٌ من بني مخزوم وأنا امرأةٌ من زُهْرة ، ولكنْ عندي وجهٌ احسنُ من العافية ، في مثل خُلُق ابن سُرَيج[1] ، وترنُّم مَعبَد ، وتيه ابن عائشة . أجمع لك هذا كله في بدنٍ واحد بأصفَر سُلَيم[2] .

قلت : وما أصفر سُليم ؟

قالت : بدينارٍ واحد يومَكَ وليلتك ، فاذا قمتَ جعلتَ الدّينار وظيفةً وتزويجاً صحيحاً .

قلت : فذلكِ لكِ ان اجتمع لي ما ذكرت .

قال : فصفّقَتْ بيدها الى جاريتها فاستجابت لها . قالت : قولي لفلانة : البَسي عليكِ ثيابَكِ وعجّلي ، وبحياتي لا تمسّي غُمراً[3] ، ولا طِيباً ، فحسْبُنا بدلالك وعِطرك .

قال : فاذا جارية اقبلت ما أحسبُ الشمسَ وقعت عليها ،

---

١ ابن سريج : من المغنين المشهورين .

٢ اصفر سليم : كناية عن الدينار .

٣ الغمر : طلاء تطلى به العروس يتخذ من الورس. والغمرة ايضاً : تمر ولبن يطلى به وجه المرأة ويداها حتى ترق بشرتها .

[illegible]

في ثمنها ، دعوني أُعْطِهِ بها خمسمائة دينار ، كما سأل .

قلنا له : وإنه قد حطّ مائتين .

قال : وإنْ فعل .

قال : فصادفتُ من مولاها رجلاً حرّاً ، فأخذ ثلاثمائة وجهّزها بالمائتين . فما زال الينا محسناً حتى فرّق الموت بيننا .

فاشتُريت لي ضياعٌ بعشرين ألف درهم ، ودفع إليَّ بقيّة المال . فهذا الخبرُ الذي عاقني عنكم ، فهلمُّوا حتى أقاسمَكم الضياع ، وأفرّق فيكم المال .

قلنا له : هنأك الله مالَك ، فكلٌّ منا يرجع الى نعمةٍ من أبيه وأهله .

فأقسَمَ واقسَمْنا ، قال : فأنتم فيه أسوتي .

فقلنا : أما هذا فنعَمْ .

قال : فامضُوا بنا الى الجارية حتى نشتريَها .

فمشينا الى صاحبتها وكانت جاريةً جميلةً حلوة ، لا تحسنُ شيئاً ، أكثرُ ما فيها ظَرف اللسان ، وتأدية الرَّسائل ، وكانت تساوي على وجهها خمسين ومائةَ دينار . فلمّا رأى مولاها مَيْلَ المشتري استامَ بها خمسَمائة ، فأجبناه بالعَجَب فحطّ مائةً ، ثم حط مائة . فقال العبّاس: يا فِتيانُ ، إني والله احتشمُ أن أقولَ بعدما قلتم ، ولكنها حاجةٌ في نفسي بها يتمُّ سروري ، فإن ساعدتم فعلت .

قلنا له : قلْ .

قال : هـذه الجارية أنا أعاينُها منـــذ دهرٍ ، وأريدُ إيثارَ نفسي بها ، فأكرهُ أن تنظرَ إليَّ بعينِ مَن قد ماكَسَ

قافيـة ، ثم انفتحَ لي شيء والرُسل تُعنّتني ، فجاءتني أربعةُ ابيـات رضيتُها ، وقعتْ صحيحةَ المعنى ، سهلةَ الالفـاظ ، ملائمةً لما طُلِب مني ، فقلت لأحد الرُسل : أبلِـغ الوزيرَ أني قلت أربعةَ أبيات ، فإن كان فيها مقنع وَجّهت بها . فرجع اليَّ الرسول بأنْ هاتِها ، ففي أقلِّ منها مَقنَع . وفي ذَهـاب الرسول ورُجوعه قلتُ بيتين من غير ذلك الرويّ ، فكتبت الأبياتَ الأربعةَ في صدر الرُقعة ، وعقّبت بالبيتين ، فقلت :

العاشقانِ كلاهمـا متغضّبُ ؛
وكلاهمـا متوجّـدٌ ، متعتّبُ

صدّت مغاضِبةً ، وصدّ مغاضِباً ،
وكلاهما ، ممـا يعالج ، متعَبُ

راجِـعْ أحبّتَك الذين هجرتَهم ،
إنّ المتـيّمَ قلّما يَتجنّبُ

إنّ التجنُّب ان تطاولَ منكمـا
دبّ السلوُّ ، فعزّ منه المطلبُ

ثم كتبت تحت ذلك :

لا بـدّ للعاشق من وقفـةٍ ،
تكونُ بـين الهَجر والصّرمِ

أعرّفكم أولاً بنفسي ، أنا العباسُ بن الأحنف ، وكان من خبري بعدكم أني خرجتُ الى منزلي من عندكم ، فإذا المسوّدة[1] محيطةٌ بي ، فمُضي بي الى دار أمير المؤمنين ، فصرتُ الى يحيى ابن خالد ، فقال لي: ويحك يا عبّاس ، انما اخترتُك من ظُرفاء الشعراء لقُربِ مأخذِك ، وحسن تأتّيك ، وإنّ الذي ندبتُك له من شأنك ، وقد عرفتَ خطَرات الخلفاء ، وإني أخبرك أنّ ماردة[2] هي الغالبة على أمير المؤمنين ، وأنه جرى بينهما عَتْب ، فهي بدالّة المعشوق تأبى أن تعتذِر ، وهو بعزّ الخلافة وشرف الملك يأبى ذلك ، وقد رُمت الأمر من قِبلَها فأعياني ، وهو أحرى أن تستعزّه[3] الصَّبابة ، فقلْ شعراً يسهّل عليه هذه السبيل .

فقضى كلامَه ، ثم دعاهُ أميرُ المؤمنين فصار اليه ، وأُعطيتُ قرطاساً ودواة ، فاعتراني الزَّمَع[4] ، وأذهَب عني ما أُريد الاستحثاثُ ، فتعذّرتْ عليّ كلُّ عَروض[5] ، ونفرتْ عني كلُّ

---

١ المسودة : الذين يلبسون السواد وهو شعار العباسيين .

٢ ماردة : اسم جارية .

٣ تستعزه : تغلبه .

٤ الزمع : الدهش والخوف ، وشبه الرعدة تأخذ الانسان .

٥ العروض : ميزان الشعر ، مؤنثة .

فقال: يا إخواني، إنيَ والله، على ما تَرَون منّي من شِدّة الشّغف والكَلَف بها، ما قَدّرت بها حراماً قطُّ، ولا تقديري الا مطاولتُها ومصابرتُها إلى أن يمُنّ الله بثروةٍ فأشتريَها .

فأقام معنا شهرين ونحنُ على غاية الاغتباط بقُربه، والسرور بصحبته ، الى ان اختُلِس منّا ، فنالنا بفراقه ثُكلٌ مُمِضّ ، ولوعة مؤلمة ، ولم نعرفْ له منزلاً نلتمسه فيه . فكدُر علينا من العيش ما كان طاب لنا به ، وقَبُح عندنا ما كان حَسُنَ بقُربه ، وجعلنا لا نرى سروراً ولا غمّاً إلا ذكرناه ؛ لاتصال السرور بصحبته وحضوره ، والغمّ بمفارقته ، فكنا فيه كما قال القائل :

يذكّرُنيهم كلُّ خيرٍ رأيتُه
وشرٍّ ، فما أنفكُّ منهم على ذُكر

فغابَ عنا زُهاء عشرين يوماً ، ثم بينا نحن مجتازون يوماً من الرُّصافة ، اذا به قد طلَع في مَركَبٍ نبيل ، وزيٍّ جليل ، فحيث بصُر بنا انحطّ عن دابّته ، وانحطّ غلمانُه ، ثمّ قال : يا اخواني ، والله ما هَنَأني عيشٌ بعدكم ، ولست أماطِلكم بخَبَري حتى آتيَ المنزل ، ولكن ميلوا بنا الى المسجد . فمِلْنا معه ، فقال :

وأخِلَّة[1] ، فأصبْنـا من ذلك ثم أفَضنا في شرابنا ؛ وانبَسط الرجل ؛ فإذا أحلى خَلْق الله إذا حدّث ؛ وأحسنُهم استماعاً اذا حُدّث ، وأمسكُهم عن مُلاحاةٍ إذا خولف .

ثم أفضَيْنا منه الى أكرم مُخالفة ، واجمل مساعَدة . وكنّا ربما امتحنّاه بأن ندعوَه الى الشيء الذي نعلم أنه يكرهه، فيُظهر لنا أنه لا يحبُّ غيره ، ويُرى ذلك في إشراق وجهه ، فكنّا نَغنى به عن حسن الغِناء ، ونتدارسُ أخباره وآدابه ، فشغَلَنا ذلك عن تعرُّف اسمِه ونسبِه، فلم يكن منا الا تعرُّف الكنية، فإنّا سألناه عنها فقال : أبو الفضل .

فقال لنا يوماً بعد اتّصال الأنس: ألا أخبركم كيف عرفتكم؟

قلنا : نعم إنا لنحبُّ ذلك .

قال : أحببتُ جاريةً في جواركم ، وكانت سيّدتُها ذاتَ حبائب، فكنت أجلسُ لها في الطريق ألتمِس اجتيازها فأراها ، حتى أخلقني[2] الجلوسُ على الطّريق ، ورأيتُ غرفتكم هـذه ، فسألتُ عن خبرها ، فخُبّرت عن ائتلافـكم ومساعدةِ بعضكم بعضاً ، فكان الدُّخول فيما أنتم فيه آثرَ عندي من الجارية .

فسألناه عنها فخبّرنا، فقلنا له : فإنا نختدعُها حتى نُظفِرك بها.

---

١ الاخلة ، الواحد خلال : ما تخلل به الاسنان ، المسواك .

٢ اخلقني : اراد ابلى شبابي .

ان تقع مؤونتنا على واحدٍ منا اذا أمكنه ، ويبقى الواحد منا لا يقدر على شيء فيقوم به اصحابه الدّهرَ الاطول .

وكنا إذا أيسَرْنا أكلنا من الطّعام أليَنَه ، ودَعونا المُلهين والمُلهيات . وكان جلوسُنا في أسفل الدار ، فإذا عَدِمنا الطرب فمجلسنا غرفةٌ لنا نتمتّع منها بالنظر الى الناس ، وكنا لا نُخِلُّ بالنّبيذ في عُسر ولا يُسر .

فإنا لكذلك يوماً اذا بفتىً يستأذِن علينا ، فقلنا له : اصعَد . فإذا رجلٌ نظيفٌ حلو الوجه ، سريُّ الهيئة ، ينبيء رُواؤه على انه من أبناء النّعَم ، فأقبل علينا فقال : إني سمعت بمجتمعكم ، وحسنَ منادمتكم ، وصحة أُلفتِكم حتى كأنكم أُدرجتم جميعاً في قالب واحد ، فأحببتُ أن أكون واحداً منكم ، فلا تحتشموا .

قال : وصادفَ ذلك منا إقتاراً من القوت ، وكثرةً من النّبيذ . وقد كان قال لغلام له : أوّلَ ما يأذنون لي ان أكون كأحدهم : هاتِ ما عندك . فغاب الغلام عنا غيرَ كثير ، ثم إذا هو قد اتانا بسلّة خيزُران ، فيها طعام المَطبخ : من جديٍ ، ودَجاج ، وفِراخ ، ورقاق[١] ، وأشنان[٢] ، ومَحلَب[٣] ،

---

١ الرقاق : الخبز المنبسط الرقيق .

٢ الاشنان : ما تغسل به الايدي من الحمض .

٣ المحلب : شجر له حب يجعل في الطيب .

من المفاكهات

حديث عباس بن الأحنف

حدّث ابو العبّاس النحويّ المعروف بالمبرّد قال : حدثنا محمد بن عامرٍ الحنفيّ ، وكان من سادات بكر بن وائل ، وأدركته شيخاً كبيراً مملقاً[1] ، وكان اذا أفاد على إملاقه شيئاً جاد به ، وقد كان قديماً وليَ شرطة البَصرة ، فحدّثني هذا الحديثَ الذي تذكره ، ووقع اليّ من غير ناحيته ، ولا اذكر ما بينهما من الزيادة والنّقصان ، إلاّ أن معانيَ الحديث مجموعة فيما اذكر لك :

ذكر أن فتياناً كانوا مجتمعين في نظامٍ واحد ، كلّهم ابنُ نَعْمة ، وكلهم قد شَرَد عن أهله ، وقَنِع بأصحابه ، فذكر ذاكرٌ منهم قال : كنا قد اكترَينا داراً شارعة[2] على احد طرق بغداد المعمورةِ بالناس ، فكنا نُفلِس أحياناً ونُوسِر أحياناً ، على مقدار ما يمكن الواحدَ من أهله ، وكنا لا نستكثر

١ مملقاً : فقيراً .

٢ شارعة : قريبة من الطريق .

قال ابن إسحاق : وقد طربَ الصالحون وضحِكوا ومزَحوا. وإذا مدحت العرب رجلاً قالوا : هو ضَحوكُ السنّ ، بسّام العَشيّات ، هشّ الى الضيف . وإذا ذمّته قالت : هو عَبوس الوجه ، جهم المُحيّا ، كريه المنظر ، حامض الوجنة ، كأنما وجهُه بالخلّ منضوحٌ ، وكأنما أُسعط خَيشومُهُ بالخردل .

•

وكتب يحيى بن خالد الى الفضل ابنه وهو بخراسان : يا بني ، لا تُغفِلْ نصيبَك من الكسل .

•

وهذا حرفٌ جامع لما قصدناه من هذا المعنى، لأنّ بالكسل تكون الراحة، وبالراحة يثوب النشاط، وبالنشاط يصفو الذهن ويصدُق الحِسّ ويكثر الصواب . قال الشاعر :

انما للناس منّا ... حُسْنُ خُلقٍ ومِزاحْ
ولنا ما كان فينا ... من فسادٍ، وصَلاحْ

•

الهيثم بن عديّ قال : رأيت هشام بن عروة قد اجتمع اليه اصحاب الحديث يسألونه ، فقال لهم : يا قوم ، أما ما كان عندي من الحلال والحرام والسنّة ، فإني لا استحل أن امنعكموه ، وأمّا مُلَحِي فلا أعطيكموها ولا كرامة .

عليه وهو أرمدُ ، فوجده وهو يأكل تمراً ، فقال له : أتأكل تمراً وانت أرمد ؟ فقال : انما آكلُ من الجانب الآخر. فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذُه .

•

وكانت سويداء[1] لبعض الأنصار تختلفُ الى عائشة، فتلعب بين يديها وتُضحِكُها ، وربما دخل النبي صلى الله عليه وسلم على عائشة فيجدُها عندها فيضحكان جميعاً ، ثمّ ان النبي صلى الله عليه وسلم فقَدها ، فقال : يا عائشة ، ما فعلت السُّويداء ؟ قالت له : إنها مريضة. فجاءها النبي صلى الله عليه وسلم يعودُها ، فوجدها في الموت ، فقال لأهلها : اذا تُوفّيَتْ فآذِنوني . فلما توفيت آذَنوه ، فشهدها وصلى عليها ، وقال : اللهم انها كانت حريصةً على أن تضحكَني ، فأضحِكها فرحاً .

•

وقيل لأبي نواس : قد بعثوا الى ابي عبيدةَ والأصمعيّ ليجمعوا بينهما ، فقال : اما ابو عبيدة ، فإنْ خلّوه وسِفرَه قرأ عليهم أساطيرَ الأولين والآخِرين ، وأمّا الأصمعيّ فبلبلٌ في قفص يُطربهم بصَفيره .

•

---

١ سويداء : اي جارية سوداء صغيرة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنّ هذا الدِّينَ متينٌ فأوغِلْ فيه برِفق ، فإنّ المُنْبَتّ[1] لا أرضاً قطَع ، ولا ظهراً أبقى .

•

وفي بعض الكتب المترجمة : إن يُحنّا وشَمْعُون كانا من الحواريّين ، وكان يُحنّا لا يجلس مجلساً إلاّ ضحكَ وأضحكَ من حوله ، وكان شمعون لا يجلس مجلساً إلا بكى وأبكى من حوله، فقال شمعون ليُحنّا : ما أكثر ضَحِكَك، كأنك قد فرَغْتَ من عملك ؟ فقال له يحنّا: ما أكثرَ بكاءك ، كأنك قد يئِسْتَ من ربّك ؟ فأوحى الله الى المسيح : أنّ أَحبّ السِّيرتين إليّ سيرةُ يُحنّا .

•

وفي بعض الكتب ايضاً انّ عيسى بن مريم لقي يحيى بن زكريا فتبسّم اليه يحيى ، فقال له عيسى: انك لَتَبْسِمُ تبسُّمَ آمِنٍ ! فقال له يحيى : إنك لَتَعبِس عُبوسَ قانط ! فأوحى الله الى عيسى : إنّ الذي يفعلُ يحيى أحبُّ اليّ .

•

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: دخل نُعَيمان[2] الجنّةَ ضاحكاً لأنه كان يُضحِكني . وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم دخَلَ

---

١ المنبتّ : الذي اتعب دابته حتى عطبت وانقطع بذلك عن مواصلة السير .
٢ هو نعيمان بن عمرو بن رفاعة ، احد اصحاب الفكاهة من صحابة الرسول . توفي في زمن معاوية .

له رائحة ، وأتيتُ النساءَ حتى ما أُبالي امرأةً أتيتُ أم حائطاً ، ما وجدتُ شيئاً ألذَّ إليَّ من جليسٍ تَسقُطُ بيني وبينه مؤونة التحفُّظ .

•

وقيل لعمرو بن العاص : ما ألذُّ الأشياء ؟ قال : ليَخرجْ مَن هاهنا من الأحداث . فخرجوا ، فقال : ألذُّ الأشياء إسقاط المروءة .

•

وقيل لمسلمة بن عبد الملك : ما ألذُّ الأشياء؟ فقال : هَتْكُ الحياء ، واتّباعُ الهوى .

•

وهذه المنزلةُ من إهمالِ النفس وهَتْكِ الحياء قبيحةٌ ، كما أن المنزلة الاخرى من الغلوّ في الدّين ، والتقشف في الهيئة ، قبيحة ايضاً ، وإنما المحمودُ منها التوسُّط ، وأن يكون لهذا موضعُه وهذا موضعُه .

•

وقال مُطَرِّف بن عبد الله لولده : يا بنيّ ، إنّ الحسنة بين السيّئتين – يريد بين المجاوزة والتقصير – وخير الأمور أوساطُها ، وشرُّ السّير الحقحقة[1] .

•

١ الحقحقة : شدة السير .

الى اللهو ، أمّارة بالسُّوء ، مستوطِنة للعجز ، طالبة للراحة ، نافرة عن العمل ، فإنْ أكرهتَها أنضَيتها[1] ، وإن أهملتَها أرديتها .

•

ودخل عبدُ الملك بن عمر بن عبد العزيز على أبيه عمر ، وهو ينام نَومة الضُّحى ، فقال : يا أبتِ ، أتنامُ وأصحابُ الحوائج راكدُون ببابك ؟ قال : يا بنيّ ، إنّ نفسي مطيّتي ، فإن أنضَيْتُها قطعتُها ، ومن قَطَعَ المطيّ لم يبلُغ الغاية .

•

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يضحَك حتى تبدو نواجذه .

•

وكان محمد بن سيرينَ يضحك حتى يسيل لعابُه .

•

وقال صلى الله عليه وسلم : لا خيرَ فيمن لا يَطرب .
وقال : كلُّ كريمٍ طَروب .

•

وقال هشامُ بن عبد الملك : أكلتُ الحُلو والحامضَ حتى ما أجِدُ لواحدٍ منهما طعماً ، وشممتُ الطِّيب حتى ما أجد

---

[1] الانضاء : الإبلاء والإخلاق .

اللؤلؤة الثانية

في الفكاهات والملح

قال الفقيه أبو عُمر أحمد بن محمد بن عبد ربه، رحمه الله :

قد مضى قولُنا في الطعام والشّراب وما يتولّد منهما ، ويُنسَب إليهما . ونحن قائلون بما ألّفناه في كتابنا هذا ، من الفُكاهات والمُلَح التي هي نُزهةُ النفس ، وربيعُ القلب ، ومَرتَع السّمع ، ومَجلَب الرّاحة ، ومَعدِن السُّرور .

•

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : روّحوا القلوبَ ساعةً بعد ساعة ، فإنّ القلوب إذا كَلّتْ عَمِيت .

•

وقال عليُّ بن أبي طالبٍ رضوانُ الله عليه : أجِمُّوا[1] هذه القلوبَ ، والتمِسوا لها طُرَفَ الحكمة فإنها تملّ كما تملّ الأبدان . والنفس مُؤْثِرة للهوى ، آخِذةٌ بالهُوَينى ، جانحةٌ

---

١ اجِموا : أريحوا ، اتركوا الحركة .

١٩٠٤

العقد الفريد

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي

٣١

فكاهات ومُلح

مكتبة صادر
بيروت

العقد الفريد

من اشهر المجموعات الأدبية عند العرب.
فيه ادب – وأقوال – ونوادر – وملح –
وتاريخ – واخبار الخ . الخ . . . .

•

فكاهات ومُلَح

هو كتاب اللؤلؤة الثانية من العقد ،
مضبوط ومشروح بقلم
كرم البستاني

[illegible]